كارين جيرهاردسن

CARIN GERHARDSEN

عُقْدَةُ ذَنْبٍ

VYSSAN LULL

رواية

على لائحة أكثر الكتب مبيعاً
1.3
مليون نسخة
تُرجمت إلى 20 لغة

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

مكتبة 230

عقْدَةُ ذَنْب

VYSSAN LULL

للمزيد والجديد من الكتب والروايات

تابعوا صفحتنا على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

telegram @ktabpdf

telegram @ktabpdf

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

LA COMPTINE DES COUPABLES

(VYSSAN LULL)

حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر

Fleuve Noir

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2010 by Carin Gerhardsen

All rights reserved

Arabic Copyright © 2015 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

تم إصدار هذا الكتاب بدعم من برنامج «أضواء على حقوق النشر» في أبوظبي.

This edition has been produced with a subsidy by the Spotlight on Rights programme in Abu Dhabi

الطبعة الأولى: 2015 م - 1436 هـ

ردمك 978-614-01-1665-8

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

عُقْدَةُ ذَنْب

VYSSAN LULL

رواية

كارين جيرهاردسن

CARIN GERHARDSEN

ترجمة

زينة إدريس

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

telegram @ktabpdf

أدمتني قيود الحياة القاسية.
في حقول الفرح، لا أحصد سوى الأشواك،
مثل قصور من الرمل، تنهار كلّ يوم
آمالي ببهجة الحياة، وأحلامي بالسعادة.
أتوكّأ على صبري، وأتلمّس طريقي في صحراء موحشة ومظلمة.
في أعقابي، أجرّ السلسلة الثقيلة
التي لن يحطّم حلقاتها سوى الموت.
تواسيني أغنية من السماء
جنيّة متوّجة بالورود،
تهبط إلى الأرض محاطة بهالة ذهبية،
لتلامسني بعود من الزنبق،
وتحرّر هذا السجين من سلاسله النحاسية،
ثمّ ترفع جناحها وتنشد بصوتها البلّوري.

telegram @ktabpdf

أحمد

مارس 2008،
ليل السبت الأحد

سُمع للحظة وجيزة صوت أشبه بنعيق طائر، ثمّ خيّم الصمت. تراخى الجسد الذي يمسكه بين ذراعيه، وشاهد عبر مرآة الحمّام كيف سقط الرأس إلى الخلف، على صدره. كان مائلاً بزاوية غير معهودة، بعينين مغمضتين وفم مفتوح تماماً، كمَن غلبه النعاس في الحافلة. وكان من شأن هذه الوضعيّة غير المريحة أن تدفعها قريباً إلى الاستيقاظ، قبل أن تعاود النوم، وهكذا دواليك... لكن لا، فالجرح البليغ عند العنق، والدم الذي ينفر منه ببطء متزايد يشيران إلى أمر آخر. هذه المرأة لن تستيقظ أبداً بعد اليوم.

مسح نصل سكّين الصيد على بنطال الضحية، قبل أن يضعه على المغسلة. ومن دون أن يبدو عليه أنّه يبذل مجهوداً يُذكر، حملها بين ذراعيه، واضعاً إحدى يديه تحت ركبتيها والأخرى تحت كتفيها. اجتاز عتبة الحمّام، وحمل الجسد الرشيق إلى غرفة النوم، ثمّ مدّده بعناية على السرير الكبير، إلى جانب الطفلين النائمين، وعاد بخطى مكتومة وعنيدة إلى الحمّام لاستعادة سلاحه. أحسّت الطفلة الصغيرة الممدّدة بين أمّها وأخيها الأكبر بالحركة، فبدأت تئنّ قبل أن ترفع إبهامها إلى فمها.

في اللحظة نفسها، عاد حاملاً سكّينه، ومن دون أيّ تردّد، قطع عنق الفتاة الصغيرة. لم يصدر عنها أيّ صوت، ولم يعد يعكّر

telegram @ktabpdf

صمت الغرفة سوى أنفاس أخيها الهادئة. حتّى الرجل نفسه لم يبد أنّه يتنفّس. بقي بلا حراك لبضع لحظات، يتأمّل الدماء وهي تسيل من الجسد الصغير. بعد ذلك، ذهب بعجل إلى الجانب الآخر من السرير، ثمّ انحنى فوق الصبيّ المستغرق في النوم، وبحركة واحدة، أنهى حياته القصيرة عبر قطع قصبته الهوائية.

صباح الثلاثاء

للوهلة الأولى، يحسبهم المرء نياماً. هذا ما فكّر فيه المفوّض كوني شوبيرغ وهو ينظر إلى الطفلة الجميلة التي تضع إصبعها في فمها، والصبيّ النائم إلى جانبها باسترخاء تامّ. لكن في الحالتين، لم تكن وضعية الرأس بالنسبة إلى الجسد طبيعية، وهذا يوضح كلّ شيء. ما إن اعتادت عيناه على الظلام، حتّى رأى كمّيات كبيرة من الدم الجافّ على الأغطية والجثث الثلاثة. لم يكن شوبيرغ يحتمل رؤية أعناق مذبوحة، لكنّه أجبر نفسه على تأمّل الضحايا لدقيقة تقريباً، قبل أن يشيح بنظره. يبدو الصبيّ تقريباً في الخامسة من عمره، مثل ابنته مايا. أمّا الفتاة فهي أصغر سنّاً بقليل، أي في سنّ ولديه التوأمين. وقف ينس ساندين إلى جانب شوبيرغ، مديراً ظهره إلى الجثث. ثمّ تحدّث معه بصوت منخفض، مائلاً نحوه بعض الشيء، بحيث احتكّ قليلاً بأذنه.

«على الأقلّ، رحلوا سوية».

«كيف يمكن أن يقدم أحد على ارتكاب جريمة كهذه...؟»

«يستحسن أن ننظر إلى الأمر من زاوية أخرى. لقد ماتت الأمّ وطفلاها معاً».

تمتم شوبيرغ: «لا بدّ أنّه تحرّك بسرعة. فإن كان الولدان نائمَين، هذا يعني أنّه لم يتسنَّ لهما الإحساس بشيء».

أصدرت النافذة صوتاً عندما فتحتها بترا ويستمان، فغمرت أشعّة

telegram @ktabpdf

شمس مارس الغرفة، وأضاءت تفاصيلها. ألقى ساندين نظرة باتّجاه السرير. كان الطفلان نائمَين فوق اللحاف، وكلاهما يرتديان ملابس النوم. ملابس الصبيّ حمراء اللون، تحمل رسم شبكة عنكبوت على السروال وصورة الرجل العنكبوت على صدر القميص. وملابس الفتاة زرقاء، مع رسوم لدببة صغيرة. أمّا الأمّ، فكانت ترتدي سروال جينز مع سترة بيضاء ضيّقة فوق قميص قطني. كانت حافية القدمين، وأظافرها مكسوّة بطلاء أظافر شفّاف.

قال ساندين: « أرض الحمّام مغطّاة بكثير من الدماء المنتشرة أيضاً على طول الطريق المؤدّي إلى السرير».

قال شوبيرغ: «هذا يعني أنّه قتل المرأة أوّلاً، بينما كان الطفلان نائمين على سريرها. بعد ذلك حملها إلى هنا. أنا لا أرى أيّ أثر للمقاومة. لكن لماذا قتل الطفلين اللذين لم يريا شيئاً؟»

قال ساندين: «ربّما كانا يعرفان شيئاً».

«لا أستبعد أن تكون الجريمة عاطفية. هل يوجد رجل في هذه الأسرة؟»

«في الواقع، اللائحة المعلّقة على الباب هي باسم لارسن...»

تابع شوبيرغ: «ولا يبدو عليهم أنّهم ينتمون إلى أسرة لارسن».

التفتا في وقت واحد إلى السرير. شعر أسود لامع، وملامح آسيوية جميلة، على الرغم من خلوّها من الحياة. كانت الأدلّة كثيرة على انتماء الثلاثة إلى بلد بعيد عن السويد.

قال ساندين: «ربّما تايلاند؟»

«ربّما».

على الطاولة المجاورة للسرير، كان ثمّة كتاب مفتوح يحتوي على تهويدات للأطفال باللغة الإنكليزية.

قال جمال حمد، وهو مفتّش مساعد لم يتجاوز الثلاثين من عمره: «من المحتمل أن تكون ابنة متبنّاة». كان منحنياً عند عتبة الحمّام، يتفحّص ما يشبه أثر حذاء على طرف بقعة دماء جافّة.

نهض ونظر إلى رئيسيه، ثمّ تابع قائلاً: «في المدخل حقيبة يد معلّقة على المشجب. هل ألقي عليها نظرة لأرى ما إذا كانت ستكشف لنا هويّة المرأة؟ هكذا، يكون لدى إينار أساس يعمل عليه قبل أن تنتهي بيلاّ».

لم تكن غابرييلا هانسن، المعروفة باسم بيلاّ، وفنّيو الطبّ الشرعي قد وصلوا بعد، لكنّ شوبيرغ يعرف أنّهم في الطريق. فبما أنّه يثق بحدسه، يأمل دائماً أن يتمكّن هو وفريقه من تكوين رأيهم الخاصّ عن مسرح الجريمة قبل أن يحتلّ علماء شعبة الجرائم المكان.

أجاب: «أجل، اذهب»، من دون أن يضيف شيئاً.

كانت ثقته كبيرة بجمال بحيث لا يرى ضرورة ليحدّد له طريقة عمله.

«أين إينار، بالمناسبة؟»

اكتفى ساندين برفع كتفيه إلى الأعلى تعبيراً عن جهل، فيما ردّ جمال من المدخل: «لا فكرة لديّ».

خرج شوبيرغ من الغرفة، وحرص على عدم الدوس في المكان غير المناسب، حتّى لو كان يرتدي فوق حذائه أكياساً واقية. عبَر الممرّ، وانضمّ إلى بترا في المطبخ. كانت تتفحّص المكان، مديرة ظهرها إلى النافذة.

«ما رأيك، بترا؟»

أجابت بنبرة خائبة: «أوّل ما يتبادر إلى ذهني هو أنّ طفلين تعذّبا».

افترض أنّها استعادت ذكرى الصبيّ الصغير الذي عثرت عليه

telegram @ktabpdf

بين الأعشـاب، منذ أقلّ من سـتّة أشـهر. غير أنّ الصورة التي عادت إلى ذهن شوبيرغ هي صورة الفتاة الصغيرة في حوض الاستحمام.

تابعت بترا: «أرى امرأة وحيدة، امرأة ضائعة، تعاني من مشاكل مالية».

«في شقّة تملكها بالشراكة مع نورا هاماربيهامنن؟ في حيّ تعادل فيه قيمة المساكن الملايين!»

«أعـرف أنّ الفكـرة لا تبـدو منطقيـة. لكن عندما ننظر حولنا، لا نجـد أيّ دليـل علـى التـرف. فالخزائن والبرّاد لا تحتوي سـوى على المواد الضرورية. وكلّ المقتنيات رخيصة الثمن: الملابس، والأثاث، والأجهـزة المنزليـة. يمكـن القول إنّ الشـقّة مجهّزة بطريقة اقتصادية. لا سيّما وأنّها لا تحتوي تقريباً على أيّ أغراض للزينة، بل نشعر أنّ سكّانها لم يستقرّوا بعد. هل ترى ذلك، كوني؟»

«وما الذي يجعلك تظنّين أنّها تعيش بمفردها مع الطفلين؟»

«ما قلتُه للتوّ. فكلّ ما هو موجود هنا غير شخصي على الإطلاق. هذا يعني أنّها لم تكن ترغب في السـكن هنا. بيتها الحقيقي هو في مكان آخر».

* * *

عندما وصل فنّيو الطبّ الشرعي، على رأسهم بيلاّ هانسن، كان شـوبيرغ قد غادر الشـقّة الواقعة في 5 شـارع ترولغراند، وأصبح في الباحة.

قال: «مرحباً، بيلاّ».

«تبدو متعباً».

لم تتوقّف، بل اكتفت بإبطاء مشيتها عند مرورها برجال الشرطة.

«ثمّة أطفال بين الضحايا، والدم يملأ المكان».

«أهي حادثة؟»

«هذا مستحيل».

حثّت خطاها وتقدّمت بتصميم، مثقلة بعض الشيء بوزن الحقائب الكبيرة التي تحملها بيدها. لحق بها شوبيرغ مهرولاً ليفتح لها باب المبنى، وغامر بطلب حذر: «نحن بحاجة إلى كلّ العناصر التي يمكن أن تساعدنا على تحديد هويّته. بطاقة هويّة، عناوين، فواتير...»

«... صور فوتوغرافية، مراسلات، وكلّ الباقي. سأضع كلّ شيء على مكتبك قبل الساعة الرابعة».

توافد الطبيب الشرعي كاي زيترستروم وأحد زملاء شوبيرغ إلى داخل المبنى، قبل أن يُفلت هذا الأخير الباب، ويتوجّه نحو القنال، ليسلك الطريق المؤدّية إلى قسم شرطة هاماربي المجاور. لم يكن في عجلة من أمره ليلحق بزملائه الذين رآهم من خلال رذاذ المطر، على بعد مائة متر أمامه. كان يرغب في الانفراد بنفسه لبعض الوقت مع أفكاره، قبل أن يصل إلى المبنى رقم 100 في أوستغوتغاتان.

عصر الثلاثاء

بعد بضع ساعات، اجتمع الفريق حول الطاولة في قاعة الاجتماعات الزرقاء في قسم الشرطة. حضره كوني شوبيرغ، وينس ساندين، وبترا ويستمان، وجمال حمد، فضلاً عن المدّعي العام هادار روزين، بزيّه الرمادي المعتاد مع قميص أبيض وربطة عنق مناسبة. فوجئ شوبيرغ أكثر بوجود نائب رئيس المفوّضين، غونار مالمبيرغ، الذي أتى ليعرف كيف سيتعامل الفريق مع هذه القضية الحسّاسة. تخلّلت ابتسامة مهذّبة ملامح مالمبيرغ الجادّة وهو يحيّيهم فرداً فرداً. وفرح شوبيرغ عندما لاحظ أنّه حتّى بترا تعاملت مع الوضع بشكل طبيعي ظاهرياً. فهو لا يذكر أنّه رآهما في غرفة واحدة منذ الحادثة التي وقعت قبل ستّة أشهر خلت، عندما عمد مالمبيرغ، بناءً على توجيهات كبير المفوّضين رولاند برانت، إلى الطلب من بترا تقديم استقالتها. أتى ذلك بعد رسالة إلكترونية فاضحة أُرسلت إلى برانت من عنوان بترا، وتمنّى شوبيرغ لو أنّه لم يرها أبداً. لكن يبدو أنّ المسألة انقضت، ونسيها الطرفان. وهذا أفضل، لأنّ الوضع حالياً يفرض على الجميع تجنّب الخلافات الداخلية.

قال شوبيرغ: «لم تستطع بيلاّ المجيء بسبب ضيق الوقت، وهذا مفهوم، لكنّها أرسلت لنا بعض المعلومات التي تسمح لنا بمباشرة العمل».

حمل ملفّاً شفّافاً يحتوي على أوراق متفرّقة، بما في ذلك جواز

سفر وبعض البطاقات البريدية.

قال ساندين: «كم هي سريعة هذه الفتاة».

«صحيح، وعلينا أن نكون ممتنّين لها على ذلك».

تساءل روزين، وهو ينظر حوله، وقد ظهر شبح ابتسامة على زاوية فمه: «أين هو اليوم إريكسون الطيّب؟»

أجابه شوبيرغ: «يبدو أنّه في إجازة، ما لم يكن قد رآه أحد اليوم».

تساءل ساندين ساخراً: «أوتظنّ أنّ إينار يذهب في إجازة؟ هل يمكن أن يكون في إيطاليا يمارس التزلّج؟»

صدرت عن جمال ضحكة مكتومة. فصورة شخص غير اجتماعي مثل إينار إريكسون وهو يمارس التزلّج، هو الذي لا يغادر مكتبه إلاّ مجبراً، كانت مبعثاً على الضحك. وجّهت بترا ابتسامة إلى ساندين، بينما تجاهل شوبيرغ المسألة، ولم يبدِ أيّ ردّ فعل.

اكتفى بالقول: «أجل، هذا مؤسف. كان سيفيدنا كثيراً».

نهض واقترب من لوح أبيض، ثمّ تناول قلماً وكتب اسم «كاثرين لارسن»، قبل أن يرسم خطّاً تحته.

«كاثرين لارسن، شهرتها قبل الزواج هي كاليبايان، 34 سنة، مواليد عام 1973. الطفلان هما ولداها فعلاً، ويحملان اسم توم ولين لارسن، يبلغان على التوالي أربعة أعوام وعامين».

كتب هذه المعلومات على اللوح وهو يقرأها بصوت عالٍ عن ورقة دُوّنت عليها بخطّ اليد.

«الشقّة التي وقعت فيها الحادثة تنتمي إليها. وهي أصلاً من الفليبين، لكنّها تقطن في السويد منذ عام 2001، وقد حصلت على الجنسية السويدية عام 2005. تزوّجت من كريستر لارسن، المولود عام 1949، وهو أب لولدين. يعيش حالياً بشكل رسمي في عنوان

telegram @ktabpdf

آخـر، مـا يعنـي أنّهما كانا منفصلَين. سـكنت في البيت الزوجي حتّى شهر يونيو من عام 2006، ثمّ انتقلت إلى 5 شارع ترولغراند».

سأله روزين: «وكيف تكسب قوتها؟»

«إنّهـا مدوّنـة علـى لائحة طالبي العمل منـذ دخول الطفلين إلى الحضانة في أغسطس 2006. لكن قبل أن تصبح أمّاً، احتلّت وظيفة مؤقّتة في شركة تنظيف، ثمّ صُرفت منها بعد أربعة أشهر بسبب «قلّة نشـاطها». وُلد ابنها الأوّل توم بعد أربعة أشـهر، وقد يكون هذا هو السبب الذي دفع صاحب العمل إلى صرفها».

«وهل هي مالكة الشقة؟»

هزّ شوبيرغ رأسه مؤكّداً ذلك.

ردّ روزيـن: «تبدو الشـقة مكلفة بالنسـبة إلـى فليبينية عاطلة عن العمل».

«صحيح، سنبحث هذه المسألة عن كثب. لكنّها... أو بالأحرى كانت دائماً متزوّجة».

تدخّـل سـاندين قائـلاً: «أنـا أميـل إلـى الاعتقـاد أنّهـا تعمل في التنظيف سـرّاً. فهذه وسـيلة جيّدة لكسـب مبلغ كبير من المال. من المحتمـل أيضـاً أنّهـا كانـت تملك المال حيـن وصلت إلى هنا، فمن السهل لنا أن نخمّن كيف كانت تكسب رزقها هناك».

حكّ شوبيرغ زاوية عينه بإصبعه وأطلق تنهيدة خفيفة تعبيراً عن خيبة أمله.

قال: «هل يمكننا أن نحاول العمل بطريقة علمية؟»

قال ساندين، متظاهراً بالإهانة: «يجب على أحدنا أن يتجرّأ على قول ما يفكّر فيه الجميع. لكن لا بأس، فلنعد إلى الطريقة التي تهدف إلى الإثبات بمشقّة ما يعرفه الجميع أساساً».

في اللحظة نفسها، لاحظ شوبيرغ كآبة عابرة على وجه ساندين، الذي سرعان ما شحب لونه. توتّر شوبيرغ قليلاً، وحاول أن يقيّم بسرعة وضع زميله الصحّي، وهو ردّ فعل اكتسبه منذ ستّة أشهر، بعد النوبة التي كادت أن تكلّف ساندين حياته. لم يعرف ما إذا كان ساندين قد لاحظ قلقه، لكن بعد لحظة استعاد سخريته المعتادة.

أشار شوبيرغ بإصبعه إلى رفيق السلاح القديم، وقال كأنّ شيئاً لم يكن: «سنهتمّ أنا وأنت بكريستر لارسن. أمّا بترا وجمال، فستتولّيان مهمّة الاستجوابات، وسينضمّ إليكما ينس في وقت لاحق. وسأفنّد أنا محتويات الحقيبة، وأؤدّي دور إينار حتّى عودته. هل من تعليقات؟»

جال بصره على زملائه المجتمعين حول الطاولة.

قالت بترا: «أشعر أنّها عاشت وحدها مع طفليها، من دون رجل في حياتها».

ردّ جمال: «وأنا أظنّ أنّه كان لديها رجل».

وجّهت إليه بترا نظرة سريعة ومشحونة بالغضب.

قال ساندين: «لكنّها كانت متزوّجة».

رفع شوبيرغ يده لتهدئة الأجواء.

«ما الذي يدفعكِ إلى قول ذلك، بترا؟»

«يمكننا الافتراض أنّ علاقتها بكريستر لارسن انتهت لأنّها انتقلت من منزله. ولم أرَ أيّ إشارة إلى وجود رجل في الشقّة بانتظام. فما من ملابس للرجال، ولا عطور أو لوازم أخرى في الحمّام. وكما سبق وقلت لك، كوني، المكان غير شخصي على الإطلاق، ولا يحتوي على أدنى لمسة ديكور. هذا هو إحساسي».

قال جمال: «لديّ ملاحظتان. الأولى هي أنّها تملك سريراً مزدوجاً».

telegram @ktabpdf

قاطعته بترا بجفاف: «قد يكون لذلك صلة بالطفلين. ربّما كانت تحبّ أن يناما في سريرها».

قال شوبيرغ، وهو يتذكّر كيف ينام أحياناً مع زوجته وأولاده الخمسة في السرير الكبير: «وربّما كانا هما من يحبّان النوم بجانبها».

تابع جمال، من دون أيّ تردّد: «والنقطة الثانية هي وجود سترة رجل خضراء معلّقة على شمّاعة المعاطف عند المدخل».

رفع شوبيرغ أحد حاجبيه استغراباً.

قالت بترا: «لا تتسرّع في الحكم. ربّما كان كريستر لارسن يزورهم من وقت إلى آخر».

سألهم شوبيرغ: «وماذا يمكننا القول عن كيفيّة تصرّف المجرم؟ فهو عنيف، ودموي، ووحشي. هل كان دافعه الكره، أم الانتقام؟ أهي جريمة عاطفية؟»

قال جمال: «من الواضح أنّ الجاني أراد أن يؤذي الطفلين. وإلاّ، فلماذا يهاجمهما وهما نائمَين كما يبدو؟»

«نحن لا نعرف على وجه يقين. زيترستروم هو من سيخبرنا، لكنّني أوافق على أنّ كثيراً من العناصر تدفعنا إلى هذا الاعتقاد. فإن كانت المرأة قد قُتلت في الحمّام، يبدو غريباً أن ينتظرها الطفلان المستيقظان وهما ممدّدَين في السرير بهدوء».

تابع جمال: «من المحتمل أيضاً أن يكون الجاني قد قتلهما أوّلاً، مع أنّه يصعب الاعتقاد أنّه اتّبع هذا الترتيب. المؤكّد هو أنّ الأمّ كانت في الحمّام... وربّما كانا يعرفان بعضهما. في جميع الأحوال، أعتقد أنّ هدفه كان قتل الطفلين، إمّا وحدهما، أو هما والأمّ».

سأله شوبيرغ: «هل الجاني هو رجل فعلاً؟»

هزّ جميع الحاضرين حول الطاولة رؤوسهم موافقين.

قال ساندين: «أداة الجريمة ليست مجرّد سكّين جيب صغير، بل هي أداة مثيرة للإعجاب. والمذبحة التي وقعت في الحمّام لا يمكن سوى أن تكون من صنع رجل. فحتى لو لم تكن كاثرين لارسن امرأة قوية البنية، لا بدّ أنها أبدت بعض المقاومة. وأتخيّل أنّه لو كان الجاني امرأة، لعمدَت إلى طعن الضحية. بالتالي، هذا من صنع رجل، ورجل قويّ وعنيد وذي دم بارد».

أكّد شوبيرغ: «أوافقك الرأي. لكن كيف يُقدم المرء على قتل طفلين؟ ينس، هلاّ أعطيتنا بعض الأفكار الجاهزة لتوفّر علينا العمل؟»

أجاب ساندين على الفور: «لأنّ الجاني هو والد الطفلين، وقد فاض به الكيل، أو لأنّه تمنّى أن يكون والد الطفلين، وسئم من كلّ هذا الوضع».

سأل المدّعي العام: «من الذي أبلغ الشرطة؟»

ألقى شوبيرغ نظرة على الملاحظة التي يحملها بيده.

«أحد الجيران، ويدعى برتيل شوارتز. كانت كاثرين لارسن قد حجزت دورها في غرفة الغسيل في المبنى في الصباح، لكنّها لم تأتِ على الموعد. فقرع شوارتز بابها ليسألها ما إذا كان يستطيع أخذ دورها، لكنّ أحداً لم يجب. عندئذٍ قرّر أن يكتب لها رسالة صغيرة، وعندما حاول أن يدسّ الورقة في فتحة البريد في الباب، انبعثت من المنزل رائحة كريهة. دفعه ذلك إلى إلقاء نظرة إلى الداخل، وبدا له وجود دماء على الأرض. عندئذٍ أبلغ الشرطة. علينا التحقّق من قصّة الغسيل هذه».

وجّه تلك الملاحظة الأخيرة إلى جمال وبترا، ثمّ التفت إلى ساندين قائلاً: «عليك أيضاً زيارة دار الحضانة التي يرتادها الطفلان، لكنّنا سنهتمّ أوّلاً بكريستر لارسن. فلنبدأ على هذا الأساس ولنلتقِ

هنا غداً في الموعد نفسه».

* * *

تمدّد على جنبه في الظلام ليريح ظهره. حاول شعاع من ضوء شمس الشتاء أن يتسلّل عبر النافذة التي تعلو الحوض الملوّث. عندما أغرق بصره في ذلك الضوء، أظلمت بقيّة الغرفة. لكن بما أنّه يحبّ رؤية الأشياء التي تحيط به، ركّز نظره على بعض العلب الموضوعة على أحد الرفوف. تأمّلها من دون أن يراها فعلاً. فقد عاد فكره إلى شهر مايو، واسترجع أحد تلك الأيّام الربيعية الرائعة، التي مضى عليها زمن طويل. كانت يده على خصر زوجته، وهما يقفان معاً أمام نافذة غرفة المعيشة في شقّتهما، يشاهدان ولدَي الجيران يلعبان في الفناء. كان أحد أبواب النافذة مفتوحاً، بحيث هبّ منه الهواء وحرّك بخفّة الستارة البيضاء بجانبهما. هل كانت بيضاء حقاً، أم أنّ كلّ ذكريات ذلك النهار كانت مغلّفة بضباب ناصع؟

لولا أعمال الزراعة الجارية، كان يمكنهما الجلوس على الشرفة. لكنّ الطاولة والكرسيّين كانت مطوية ومستندة بفخر إلى الجدار الطويل، بينما غطّت أوراق الجرائد الأرضية الخرسانية. فُرش نصف كيس من التراب على الورق، وتكوّم عدد من أوعية الزراعة بجانبه، فضلاً عن صندوق أو اثنين من الكرتون يحتويان على نباتات. امتزجت رائحة التراب الآتية من الشرفة برائحة العشب الذي تمّ جزّه حديثاً والمتصاعدة من الفناء.

كان يوم السبت، وقد احتكر الأولاد الأكبر سنّاً كلّ الأراجيح، ما أجبر ولدَي الجيران الصغيرَين على الاكتفاء حالياً باللعب بالتراب. تسلّح كلّ منهما بمجرفة صغيرة، وأخذا يحفران الأرض بشرود وهما يلقيان نظرات خاطفة نحو الأراجيح. غير أنّهما لم يجرؤا على

الاقتراب من الأولاد الأكبر سناً، حتّى لو كانت أمّهما في مكان قريب، تجلس على أحد المقاعد وتتصفّح مجلّة.

سأل زوجته: «هل ترغبين في إنجاب طفلين مثلهما؟»

استدارت نحوه وهي تقرص ذقنه وأجابت ضاحكة: «كلاّ، بل بالأحرى مثلك أنت، لكن أصغر حجماً».

أحاطها بذراعيه، وبقيا على هذا الحال بضع لحظات من دون أن يقولا شيئاً. وقع نظره مجدّداً على الولدين اللذين يلعبان بالرمل، ولاحظ أنّهما فرّا يركضان واختفيا عن الأنظار. ظهرا مجدّداً بعد لحظات ممسكَين بيد والدهما. نهضت الأمّ وتحدّثت معه. ثمّ لفّت مجلّتها وابتعدت عنهم. وآخر صورة بقيت في ذهنه لها وهي تصيح بشيء للولدين. كلمات عادية ألقتها من خلف كتفها قبل أن تختفي. فكّر لاحقاً أنّها لم تحتضنهما بين ذراعيها، ولم تقبّل خدودهما الوردية قبل أن ترحل، أو تمرّر يدها في شعرهما وتخبرهما كم تحبّهما. فقد أصبحت الساعة العاشرة تقريباً، وحان الوقت لتذهب إلى عملها في صالون التزيين.

قالت زوجته وهي تتحرّر من بين ذراعيه: «معدتك تقرقر. تعال لنتناول الإفطار».

قامت بقلي البيض واللحم المقدّد، بينما حضّر الطاولة. رأى من خلال النافذة الأولاد الكبار يتركون الأراجيح، قبل أن يندفع الصغيران للاستحواذ عليها. انضمّ إلى الوالد الجالس على المقعد رجل آخر، وبدا من حركتهما أنّهما يعرفان بعضهما.

بعد الإفطار المتأخّر يوم السبت، تركا كلّ شيء على حاله وعادا للاستلقاء في السرير لبعض الوقت. وكانت الساعة قد تجاوزت الثانية عشرة والنصف عندما انتهيا من إعادة ترتيب كلّ شيء، وتنظيف

المطبخ، قبل أن يرتديا قفّازات البستنة، استعداداً لاستئناف الزراعة على الشرفة.

في تلك اللحظة، رنّ جرس الباب.

* * *

لم يتكلّما كثيراً وهما يمشيان جنباً إلى جنب نحو شارع ترولغراند لاستجواب الجيران. قام جمال بعدّة محاولات خرقاء لفتح حديث، لكنّ بترا لم تكن في مزاج مناسب لذلك. تصرّفت ببساطة كما لو أنّ شيئاً لم يكن. فبالنسبة إليها، لم يعد له وجود كشخص. ما زال زميلها في العمل، لكن لا أكثر. أصرّ شوبيرغ دائماً على تكليفهما بمهام مشتركة، والتزمت بترا سلوكاً مهنياً. لم تسمح أبداً لمشاعرها الشخصية بالتأثير على عملها. لكنّ الأمور لن تعود أبداً كما كانت. لم تتمكّن أبداً من طيّ الصفحة على ما فعله بها، شأنها شأن بقيّة الفتيات اللواتي ظهرن في تسجيلات الفيديو التي عُثر عليها في قبو بيدير فريهك.

لقد ثبُت تقريباً أنّ جمال هو الذي كان يحمل الكاميرا. فهو الذي أقنعها أن تتبعه إلى مقهى كلاريون، وهو من دفعها إلى ذراعَي فريهك، المغتصب. جمال هو من سرق رمز دخولها إلى قسم الشرطة، وهو من أقنعها بالذهاب إلى بيليكان والإكثار من الشرب، قبل دخوله إلى قسم الشرطة بواسطة كلمة السرّ المسروقة وإرسال رسالة إلكترونية ذات طابع فاضح إلى كبير المفوّضين. فعل ذلك عبر عنوان وكمبيوتر بترا، التي لا يعرف كلمة سرّه سوى هي ومغتصبها. بالإضافة إلى ذلك، عثرت على الصورة المُرسلة إلى رولاند برانت في ملفّ موجود في كمبيوتر جمال.

إن لم يكن هذا كافياً، يمكنها أن تُثبت في أيّ وقت أنّ شكوكها

مبرّرة. ذلك أنّ هوكان كارلبيرغ، المنتمي إلى الفرقة العلمية لمكافحة الجريمة في لينكوبينغ، ما زال يملك بحوزته بصمات الأصابع والحمض النووي للرجل الذي أسمته الرجل الثاني قبل إعطائه اسماً. فقد كان ثمّة رجل ثانٍ يحمل الكاميرا في الوقت الذي يقوم فيه بيدير فريهك بالاعتداء على النساء المخدّرات وفاقدات الوعي، والذي يعتدي عليهنّ هو الآخر، لكن من دون أن يتمّ تصويره، ومن دون أن يترك أيّ ذكرى لضحاياه.

غير أنّها لم تفعل ذلك. لم تُرسل بصمات أصابع جمال إلى لينكوبينغ لمقارنتها، لأنّها ببساطة لا تعتقد أنّ هذا ضروري. فهي تعرف النتيجة أساساً. كما تظنّ أيضاً أنّه فات الأوان على فعل الأشياء كما ينبغي، لأنّها قرّرت منذ البداية عدم تقديم شكوى بشأن ما حلّ بها. وربّما كان الوضع الحالي يناسبها. فمن يدري كيف سيكون ردّ فعلها إن أُثبت رسمياً أنّ جمال حمد، صديقها المخلص، هو فعلاً الرجل الثاني؟ لا بل أسوأ من ذلك، أن يتبيّن بعد كلّ هذا الوقت أنّه بريء. في كلتا الحالتين، ستنهار الحياة التي أعادت بناءها بمشقّة... كلاّ، لا تستطيع أن تشكّك في المسألة برمّتها.

اكتفت بترا بوضع مسافة بينها وبين جمال، محاولة أن تبدو محايدة، وألاّ تتحدّث معه سوى بأمور متعلّقة بالعمل، من دون أن تعطيه أيّ فرصة للسيطرة عليها أو إيذائها، لأنّ هذا ما يسعى إليه. وهي فرضية وافق عليها شوبيرغ نفسه عندما كشفت له تفاصيل الاعتداء الذي وقعت ضحيّته. إذ أنّ الرجل الثاني يملك في رأسه حاجة إلى السيطرة عليها والانتقام منها. فما من شكّ أنّ حبّ السيطرة على الآخر هو دافع أيّ جريمة اغتصاب. أمّا بالنسبة إلى رغبتها في الانتقام، فقد قرّرت استخدام كلّ ما تعرفه للزجّ ببيدير

telegram @ktabpdf

فريهك خلف القضبان. وإرسال الصور الإباحية إلى برانت لم يكن سوى محاولة للتسبّب بطردها من وظيفتها، وكانت على وشك أن تنجح. حبّ الانتقام، ممارسة السلطة.

تصرّف جمال بفطنة، ما إن سنحت له الفرصة. فحرص دائماً على أن يكون قريباً منها وأن يقدّم لها دعماً قوياً. عاونها بكلّ سرور، وأحاطها بذراعيه، ونظر في أعماق عينيها، مظهراً كلّ اهتمامه. لكنّه لم يذهب أبعد من ذلك. لم يُقدم على أيّ خطوة، ولم يقل كلاماً غير لائق. علماً أنّها ما كانت لتصدّه على الأرجح. فهو رجل وسيم، وذكي، ودافئ، وساحر. ماذا يمكن أن تطلب أكثر من ذلك؟ كما أنّه طلّق زوجته حديثاً. لكن منذ أن تعارفا، لم يكن في رأسه سوى فكرة واحدة: أن يسيّرها على هواه، من دون احترام مشيئتها. فحوّل علاقتهما إلى هذا النمط، وأصبحت مجرّد لعبة بين يديه، ومادّة تخيّل.

بيد أنّه لم يتمكّن أبداً من الانتصار عليها. فهي لم تظهر أمامه ضعيفة أبداً، بل سرعان ما استجمعت قواها وعادت للوقوف على قدميها. منذ الاغتصاب الذي مرّ عليه عام ونصف، لم تعد تبدي أيّ اهتمام بالرجال. لكن حتّى في هذا المجال، كانت على وشك أن تتعافى. كيف تمكّنت من ذلك؟ ابتسمت وهي تفكّر بعبثية الموقف. في الواقع، لا يمكن أن يولد شيء من هذه القصّة، حتّى لو كان ذلك ممتعاً ومفيداً لثقتها بنفسها. قصّة بلا مستقبل مع رجل ناضج وساحر. ربّ أسرة. لم تتوقّع شيئاً من ذلك، فقد التقيا منذ أسبوع تقريباً، عندما خرجت للاحتفال مع عدد من أصدقائها. حافظت على مسافة بينها وبينه، كما ينبغي. إلاّ أنّه نجح في اختراق دفاعاتها ببراعة، كما حدّثها في أمور مثيرة للاهتمام بحيث أقنعت نفسها بدعوته إلى شرب الشاي في منزلها. وتتالت الأحداث. غير أنّها ليست نادمة على

شيء، بل بقيت مدركة تماماً للوضع، ولم تعلّق عليه أيّ آمال، بل على العكس تماماً. ويبدو أنّ الأمر مشابه بالنسبة إليه. حرصا على التحدّث عن الأمر بسرعة، مرّة أو مرّتين، وذلك بنضج كبير، متجنّبَين الإنكار. هكذا تعاملا مع الوضع من زاوية شخصين راشدَين.

* * *

في 5 شارع ترولغراند، التقت بترا وجمال ببيرتيل شوارتز، وهو رجل في الستّين من عمره، يعيش بمفرده ولا يعرف شيئاً عن المغدورة وطفليها. أكّد أنّه لم يرهم أبداً، ولم يرَ جمال وبترا أيّ سبب للتشكيك في أقواله. كان جدول الحجز في غرفة الغسيل في المبنى يؤكّد أنّ كاثرين لارسن حجزت بالفعل فترة زمنية لاستخدامها صباح يوم الثلاثاء.

لم يكن لدى الجيران القاطنين في الطابق الأرضي الكثير لإضافته.غذ لم يسبق لأيّ منهم أن أقام علاقة وثيقة مع أسرة لارسن، لكنّ جميع سكّان المبنى اتّفقوا على وصف الأسرة أنّها هادئة، وأنّ الطفلين لطيفَان والأمّ تحيّي الجميع دائماً بمودّة.

كانوا قد لاحظوا أنّ رجلاً سويدياً على اتّصال بهذه الأسرة، لكنّهم لا يعرفون ما إذا كان هو السيّد لارسن أم لا. هو الآخر كان يحيّي من يلتقي بهم على السلّم بتحفّظ. وربّما كان ينام أحياناً في الشقّة، مع أنّ أحداً لم يستطع تأكيد ذلك. ونظراً إلى فرق السنّ الكبير بين الرجل والمرأة، شكّ البعض أنّهما زوجان، لكن من المستحيل أن يكون والدها. وعدّة مرّات، شوهد الرجل وهو يدخل أو يغادر برفقة الطفلين.

في بعض الأحيان، كانت كاثرين لارسن تستقبل أيضاً امرأة في سنّها، وآسيوية الملامح مثلها. غير أنّ أحداً من الجيران لم يلحظ

أيّ شجار أو يسمع ضجيج خلافات من شقّة لارسن. أصبح من المؤكّد لدى الأطباء الشرعيين الآن أنّ جرائم القتل وقعت بين ليلة السبت وصباح الأحد. وفي الفترة التي سبقت الجرائم، لم يلاحظ أحد من السكّان أيّ أمر غير اعتيادي أو يذكر أنّ كاثرين لارسن استقبلت زوّاراً.

من بين سكّان المبنى، استجوب الشرطيان، بالإضافة إلى بيرتيل شوارتز، شابّة في الخامسة والعشرين من عمرها تدعى إلين لانج. كانت فتاة قصيرة القامة، شقراء وقصيرة الشعر، ذات مظهر دينامي ورياضي بسروالها الجينز الضيّق، وقميصها التي تحمل ألوان البرازيل. تبيّن أنّ إلين تحدّثت فعلاً مع كاثرين لارسن في أحد الأيّام، عندما التقتا في غرفة الغسيل. وبما أنّ إلين كانت قد عادت للتوّ من رحلة إلى آسيا، سألت كاثرين بفضول إلى أيّ بلد تنتمي. هكذا علمت أنّها ترعرعت على جزيرة صغيرة في الفليبين تدعى نيغروس، وقد زارتها هي نفسها خلال رحلتها. بحسب إلين لانج، تقع نيغروس في منطقة فقيرة جدّاً في الفليبين، ولم تستغرب بالتالي عندما علمت أنّ كاثرين انتقلت في وقت لاحق إلى جزيرة تسمّى ميندورو لكي تعثر على وظيفة في مجال السياحة. بعد مدّة، التقت هناك برجل سويدي أُغرمت به. فتبعته إلى السويد، وتزوّجت منه، وأنجبت له طفلين. ثمّ أخبرت إلين أنّهما انفصلا لاحقاً. أضافت أنّ طفليها سويديين وأنّها هي أيضاً أحبّت العيش في السويد. غير أنّها اعترفت أنّه لولا الطفلين، لفضّلت العودة إلى الفليبين.

سألتها بترا: «عملَت في مجال السياحة...؟»

نظرت إليها إلين، قبل أن تغامر في التعبير عن أفكارها.

«أجل... لم نخض في تفاصيل أبعد من ذلك. كان من الجميل

الحديث معها وحسب. فالفليبينيون هم شعب لطيف، يحبّهم المرء رغماً عنه. لكن في الواقع... عندما نزور أماكن سياحية مثل ميندورو، فإنّ أوّل عمل يتبادر إلى ذهن المرأة ليس في الحقيقة موظّفة استقبال. صحيح أنهنّ لسن جميعاً... علينا تجنّب الأحكام المسبقة... في النهاية، ليست لديّ أدنى فكرة كيف بدأت قصّتهما».

وافقتها بترا بحذر.

«هل لديك ما تضيفينه؟ فمن بين كلّ الأشخاص الذين قابلناهم حتّى الآن، أنت الوحيدة التي تبادلت حديثاً مهذّباً مع كاثرين لارسن».

قالت إلين لانج: «كانت لطيفة جدّاً، كما هم دائماً، غير أنّها كانت تعاني من الحنين إلى الوطن، وهذا مفهوم. فهي امرأة وحيدة، تعيش حياة باردة وبائسة. بعد انتهاء قصّتها الغرامية، لا يمكن لهذا البلد أن يقدّم لها سوى الرعاية الاجتماعية».

صمتت لبضع ثوانٍ قبل أن تضيف: «كيف يجرؤ أحد على قتل طفلين صغيرين...؟»

قال جمال وهو يعطيها بطاقته: «إن تذكّرتِ شيئاً آخر، اتّصلي بنا رجاءً».

أجابت: «نعم، سأفعل».

ألقت على البطاقة نظرة عابرة قبل أن تدسّها في جيب بنطالها.

أضاف جمال وهو يغمزها ممازحاً: «لا تتركيها هناك عند غسل البنطال في المرّة المقبلة».

رحلت وهي تضحك بامتنان لمحاولة جمال تلطيف الأجواء. أمّا بترا، فبذلت مجهوداً لكي تبتسم.

* * *

كريستر لارسن في الستّين تقريباً. لكن على الرغم من الشيب

telegram @ktabpdf

الـذي يغـزو شـعره، يبدو حقّاً أصغر سـناً. فهو طويـل القامة ونحيل، ذو بنيـة قويـة ويدين ضخمتين. بدت نظرة عينيه البنّيتين والمشـوبتين بالحزن شاردة بعض الشيء.

لـم يفاجـأ، بـل دعاهمـا للدخول إلى شـقّته الواقعة فـي الطابق الرابـع مـن مبنـى فـي حـيّ فريدهيل. كانت شـقّته الصغيرة مفروشـة بـذوق رفيـع وبعناية. فاحـت منها رائحة النظافة. توزّعت عدّة نباتات خضراء زاهية على عتبة النافذة، بينما زُيّنت الجدران بالصور أو بنسخ للوحات مشهورة. احتلّت أحد الجدران مكتبة كبيرة نسبيّاً، لا تحتوي سوى على كتب. وعندما مرّ شوبيرغ من أمام المطبخ لدخول الغرفة، لاحظ أنّه هو أيضاً نظيف ومرتّب.

جلس الشرطيان على الأريكة، وافترض شوبيرغ أنّها قابلة للطيّ بحيث تتحوّل إلى فراش ليلاً. أمّا لارسن فجلس على مقعد بذراعين، بحيث أمال جسمه إلى الأمام مباعداً بين ساقيه، وتدلّت يداه الكبيرتان بمستوى ركبتيه. ثبّت بصره على السجّادة.

بادره شوبيرغ: «أنت متزوّج من كاثرين لارسن؟»

أجاب من دون أن يرفع نظره: «أجل».

«لكنّكما لا تعيشان معاً؟»

«كلاّ، فقد انتقلت إلى منزل آخر».

كان يتكلّم ببطء شديد، بحيث اشتبه شوبيرغ أنّه تناول شيئاً.

«هل شربت؟»

لم يبدُ على كريستر لارسن أنّه فوجئ بالسؤال، لا بل ربّما كان يسأل نفسه.

اكتفى بالردّ: «كلاّ».

«هل تتعاطى أدوية؟»

أجاب بجفاف: «كلاّ. هل ترغب في معرفة شيء آخر؟»

تابع شوبيرغ بنبرة طبيعية: «أما زلتما على اتّصال؟»

«كلاّ، لا يمكنني قول ذلك، حتّى ولو كانت تمرّ إلى شقّتي من وقت إلى آخر مع الطفلين».

«ومتى كانت آخر مرّة؟»

«لم تزرني سوى مرّتين على ما أعتقد. وكانت آخر مرّة منذ عدّة سنوات».

«لكنّك والد الطفلين؟»

«ممم».

«إذاً أنت من كان يذهب لرؤيتهما؟»

«كلاّ، لم أفعل».

«لكنّك تعرف أين يعيشون؟»

«لديّ العنوان فعلاً في مكان ما، لكنّني لا أعرف أين يقع المنزل بالضبط».

شعر ساندين، المعروف بقلّة صبره، بالانزعاج من بطء الحوار، فتدخّل في الحديث.

«مثلاً، ألم تذهب لرؤيتهم مساء السبت الماضي؟»

«كلاّ، أنا لم أذهب أبداً لزيارة كاثرين والطفلين».

التقى نظر لارسن بنظر ساندين، وبانت في عينيه الحزينتين نظرة تحدّ. أشار شوبيرغ بخفية إلى ساندين لكي يضبط نفسه، ثمّ استأنف الاستجواب.

«كريستر، يؤسفنا إبلاغك أنّ كاثرين والطفلين... رحلوا عن هذا العالم».

ظهرت ابتسامة متردّدة على وجه لارسن.

«هل تمزح معي؟»

أجاب شوبيرغ بجدّية: «كلاّ مع الأسف. فقد عُثر عليهم ميتين في منزلهم هذا الصباح».

«أهو حادث؟»

هزّ شوبيرغ رأسه نافياً. «كلاّ، نحن نشتبه بجريمة قتل».

«من القاتل؟»

بقيت نبرة كريستر لارسن على حالها، لكنّ نظرته أصبحت أكثر حدّة.

«لا نعرف شيئاً، نحن نعتقد أنّك قد تتمكّن من مساعدتنا على فهم ما جرى».

«بطبيعة الحال، تفترضون أنّني أنا الفاعل».

«هذه فرضية نودّ استبعادها، لكن عليك مساعدتنا من أجل ذلك. ماذا فعلت يوم السبت الفائت، لنقل بين الساعة السادسة مساءً والساعة السادسة من صباح اليوم التالي؟»

«لا شيء يمكنني إثباته. كنت في المنزل، أكلتُ، وشاهدت التلفاز، ثمّ نمت. ذهبت أيضاً للتبضّع، لكن لا أحد سيتذكّرني من دون شكّ».

«ذهبتَ للتسوّق؟»

«ذهبت إلى سوبرماركت إيكا الواقع في ستاغنيليوسفيغن».

«هل دفعت بالبطاقة؟»

«أجل، بالتأكيد».

«هذا جيّد، يمكننا التحقّق من ذلك على الأقلّ».

سأله ساندين: «هل يمكنني إلقاء نظرة على الحمّام؟»

أعطاه لارسن الإذن بإيماءة من رأسه.

«هل يمكنني أن أفتّش الغسيل؟»

أجابه لارسن من دون أن يرفع نظره: «افعل ما تشاء».

نهض ساندين عن الأريكة، ثمّ تقدّم إلى ردهة صغيرة، واختفى في الحمّام.

سأله شوبيرغ: «هل يمكنك إخباري عن علاقتك بكاثرين ببضع كلمات؟ كيف التقيتما، ولماذا انتهت علاقتكما، ولماذا لم تلتقيا كلّ هذه المدّة، كيف هي علاقتك مع طفليك، وما إلى ذلك».

بعد لحظة من الصمت، أخذ كريستر لارسن نفساً عميقاً، ثمّ بدأ يروي قصّته. فقرّر شوبيرغ أن يمنحه الوقت الكافي ليعبّر عن نفسه من دون مقاطعة.

«عندما رجع أحد زملائي في العمل من الفليبين، وصف لي رحلته بحماسة. في البداية، لم أشعر بالاهتمام بهذا النوع من الرحلات، فأنا لم أسافر بعيداً أبداً. مع ذلك، بعد مرور بضع سنوات، شعرت بالرغبة في السفر، والقيام بشيء مختلف. هكذا قرّرت الذهاب إلى هناك، وهذا ما فعلت. اشتريت دليلاً سياحياً، وانطلقت، من دون مزيد من التفكير. زرت عدّة أماكن، وعلى جزيرة ميندورو التقيت بكاثرين. لم أكن قد أقمت علاقة مع امرأة منذ دهر، وهذه المرّة أيضاً لم أشعر في البداية بالاهتمام. لكن يمكن القول إنّها أبدت فضولاً تجاهي، وكانت مصمّمة على التعرّف عليّ. لم أفهم لماذا تهتمّ لعجوز مثلي، لكنّها كانت عنيدة. رويداً رويداً، سحرتني أنا أيضاً. ومنحَت ذاك العجوز الذي كنت عليه ولادة جديدة».

نظر إلى شوبيرغ بشيء من الخجل، لكنّ شرارة من البهجة لمعت أيضاً في عينيه.

«قمنا بجولة في الجزر معاً استغرقت بضعة أشهر، وأُغرمنا

ببعضنا حقّاً. جعلتني سعيداً. وبعد عودتي إلى السويد، لحقت بي، وانتقلت للعيش معي في شقّتي، ثمّ تزوّجنا. وُلد الطفلان، وكانا ممتعَين. طفلان لطيفان، تسهل تربيتهما، بلا صراخ ولا ضجيج. كانت كاثرين تجيد التعامل معهما، كانت أمّاً جيّدة. أمّا أنا، ففقدت حماستي بعد مدّة. لم يكن لذلك سبب معيّن، بل هي طبيعتي وحسب. رحت أنطفئ تدريجيّاً، ولم تتمكّن كاثرين هذه المرّة من إحياء حبّي للحياة مجدّداً. وفي نهاية المطاف، سئمَت الحياة معي. لم يقع بيننا أيّ شجار، لكنّها رحلت مع الطفلين في أحد الأيّام. وكان هذا طبيعياً جدّاً. كان ينبغي أن تتابع حياتها، وألاّ يعيقها سلوكي.

بقيا جالسَين بصمت للحظة، وتناهت إليهما جلبة صادرة عن ساندين وهو يفتّش الحمّام. تساءل شوبيرغ ممّا إذا كان الزوج قد استوعب الخبر فعلاً أو متى سيفعل ذلك، فثمّة خطب لدى هذا الرجل. كما أنّ شوبيرغ لم يتمكّن من معرفة ما إذا كان يشعر بالاكتئاب أم أنّه عاجز عموماً عن الإحساس بأيّ تعاطف. ماذا يسمّى ذلك؟ أعراض توحّد؟ وهل يمكن لهذا المرض أن يؤدّي إلى نوبات عدوانية عنيفة؟

سأله كريستر لارسن بهدوء: «كيف ماتوا؟»

بحث شوبيرغ عن عينيه، لكنّ نظره عاد ليتركّز على السجادة.

أجابه: «قُطعت أعناقهم».

لم يصدر عنه أيّ ردّ فعل.

«حتّى الطفلين؟»

«حتّى الطفلين».

لم يرفع كريستر لارسن نظره برغم ذلك. خرج ساندين من الحمّام وإمارات الخيبة على وجهه.

سأله شوبيرغ: «هل أنت من اشترى شقّة كاثرين؟»

«أنا لا أملك المال».

«وكيف تعيش؟»

«أتقاضى معاشاً».

«بأيّ صفة؟»

«الاكتئاب».

«منذ متى؟»

«منذ سنوات عديدة».

«لكنّك لا تتعاطى أدوية؟»

أكّد كريستر لارسن ذلك بهزّة من رأسه.

«أحسست أنّها لا تساعدني».

«وهل كنت تدفع نفقة للطفلين؟»

«حتّى إنّ هذه المسألة لم تكن موضوع نقاش».

«هذا يعني كلاّ؟»

«كلاّ، لم أدفع لهما شيئاً أبداً».

«وبماذا كانت تعمل كاثرين؟»

«لا أدري. فمنذ أن فقدت وظيفتها في شركة تنظيف، سجّلت اسمها على لائحة العاطلين عن العمل».

قال له شوبيرغ بنبرة أكثر حدّة: «أؤكّد لك أنّ الشقّة التي تملكها في حيّ سودير، وتعيش فيها مع طفليها تساوي مبلغاً باهظاً من المال، أكثر من مليوني كرونا. من أين تعتقد أنّها حصلت على مبلغ كهذا؟»

لم يجبه كريستر لارسن.

تابع شوبيرغ: «إمّا أنّها تملك طريقة لكسب كثير من المال، أو

أنّ شخصاً ما دفع تكاليف هذه الشقّة. هل لديك تعليق على ذلك؟»

نفى لارسن بهزّة من رأسه، وشعر ساندين بالرغبة في الضغط عليه بنبرة أكثر قسوة.

«ربّما فازت في اللوتو، أو سرقت أحد المصارف، أو التقت برجل غنيّ ينفق عليها. يبدو أنّها كانت تستقبل رجلاً من سنّك. أهو أنت، أم تظنّ أنّه قوّادها؟»

أجابه بالنبرة البطيئة نفسها، لكن على نحو لاذع أكثر: «لم تكن امرأة غير شريفة. كما أنّها لا تسرق المصارف. مع ذلك، من الممكن أن تكون قد التقت برجل، فأنا لم أتحدّث معها منذ زمن».

قال ساندين: «ربّما شعرتَ بالغيرة وقرّرتَ أن تتصرّف».

لم يجبه لارسن.

سأله شوبيرغ: «هل كنت تعرف بعض معارفها؟»

عاد يحدّثه بنبرة ودّية، وبدا أنّ لارسن أخذها بالحسبان لأنّه استعاد صوته المحايد المعتاد.

«كانت لديها صديقة أتت هي أيضاً من الفليبين وتدعى فيدا. كانتا تعملان معاً».

«في شركة التنظيف؟»

«أجل، وكذلك لاحقاً».

سأله شوبيرغ: «عملتا في السرّ؟»

أجاب لارسن بهزّة رأس طفيفة.

«عندما سألتك منذ قليل لم تخبرني».

«لأنكما من الشرطة، لكن ها أنا أخبركما الآن».

كتم ساندين تعليقاً خبيثاً وطرح عليه سؤالاً جديداً: «من هم الأشخاص الذين كانت تعمل لديهم؟ وكيف كوّنت زبائنها؟»

«كما فهمت، كانت تعمل لدى أشخاص تعرّفت عليهم عندما كانت موظّفة في شركة التنظيف».

تابع ساندين يسأل: «وكم كانت تكسب؟»

«حوالى 70 كرونا في الساعة، أي ما يعادل 2000 كرونا أسبوعياً».

صاح ساندين: «في السرّ؟ تبّاً، هذا يعادل راتب ممرّضة».

أشار كريستر لارسن: «لكنّ هذا لا يكفي لشراء شقّة في نورا هامارbيهامنن».

تبادل شوبيرغ وساندين نظرة.

«هل تملك سلاحاً؟»

أجاب لارسن فوراً: «كلاّ».

«هل تسمح لي بإلقاء نظرة على الشقّة؟»

أجاب لارسن وهو يشدّ على يديه بحيث أوشك أن يحطّم مفاصله: «سبق وفعلتما».

أشار شوبيرغ بنبرة أكثر ودّية: «نودّ البحث مجدّداً بمزيد من التفصيل».

«أهو تفتيش؟»

«كلاّ، لكن قد يصبح كذلك إن رفضت التعاون». أتى ردّ شوبيرغ مشوباً بالتهديد على أمل أن يقبل لارسن بداعي الخوف.

استسلم لارسن قائلاً: «افعل ما يحلو لك، سأبقى جالساً هنا».

رمقه ساندين شزراً ومدّ يده قائلاً: «هلاّ أعطيتني مفتاح القبو؟»

* * *

بعد خمس وأربعين دقيقة، غادرا منزل هذا الرجل غريب الأطوار من دون العثور على أيّ عنصر يعطيهم بصيصاً من الأمل.

telegram @ktabpdf

مع ذلك، خرج شوبيرغ حاملاً في جيبه مغلّفاً يحتوي على بصمات كريستر لارسن.

عندما جلسا في السيّارة، قال ساندين: «يا له من شخص غريب الأطوار».

أجاب شوبيرغ: «من الواضح أنّه يعاني من الاكتئاب. لكنّ ما قاله مقنع، أليس كذلك؟»

شغّل ساندين المحرّك، وألقى نظرة على المرآة قبل أن يُرجع السيّارة إلى الخلف.

«لا نستطيع القول إنّه ذرف دموعاً حارّة عندما علم بمقتل زوجته وطفليه».

«من شأن الاكتئاب أن يؤدّي إلى شلل عاطفي إلى حدّ ما. ولو كان متعلّقاً بهم، لما تركهم من دون شكّ يختفون من حياته».

التفّ ساندين بالسيّارة، ثمّ سلك طريق العودة ببطء.

«بالضبط، وربّما هذا ما لم يتقبّله. لذلك فضّل التخلّص منهم. هذا هو النمط الكلاسيكي، وقد كذب علينا. لماذا، إن لم يكن لديه شيء يخفيه؟ بالمناسبة، لماذا لم تواجهه بكذبته؟»

«هل تعني معرفته بمكان سكنهم؟ لا يمكننا القول إنّها حقّاً كذبة».

«إنّه طويل القامة وقويّ البنية، الأمر الذي يتيح له ارتكاب جرائم القتل تلك. كما أنّه لم يكن بحاجة لدخول الشقّة عنوة، لأنّهم سمحوا له بالدخول على الأرجح من دون مقاومة. وقد تمتّع بكلّ الوقت اللازم لمحو آثاره. فهو يملك غسّالة في الحمّام، وسلّة الغسيل خالية تقريباً، وكذلك الأمر بالنسبة إلى سلّة المهملات».

ألقى ساندين نظرة باتّجاه برج صحيفة داغينز نيهيتر. في هذا

اليوم الغائم والبارد من شهر مارس، بدا المبنى كئيباً وعارياً.

قال ساندين وهو يهزّ رأسه ساخراً: «لكنّه يتحدّث ببطء رهيب! كدت أنفجر».

تمتم شوبيرغ: «نعم، لاحظت ذلك. من المحتمل أن يكون هذا طبعه. ألم تجد أدوية في خزانة الحمّام؟»

«على الإطلاق. إنّه مسؤول تماماً عن أفعاله».

«بالحديث عن الأدوية، كيف حالك أنت؟»

تـردّد سـاندين للحظـة وجيـزة قبل الإجابة. إنّـه موضوع يفضّل تجنّبـه، كان شـوبيرغ يعـرف ذلـك، لكـنّ ما حدث قـد حدث. فمنذ ستّة أشـهر، أصيب سـاندين بنوبة قلبية، وانهار في أثناء اسـتجواب أحد الشـهود. أتت سيّارة الإسـعاف فوراً، وكان لذلك دور حاسـم فـي مـا جـرى لاحقاً. فقـد تلقّى على الفـور الرعاية الطبّيـة اللازمة، وبعـد شـهرين مـن الإجازة المرضية، اسـتأنف العمل بـدوام جزئي. أثّرت الأضرار على حركة الجزء الأيسـر من جسـده، لكن سـاندين اسـتعاد قدراته بتصميم لم يعهده فيه شـوبيرغ. واليوم، يمكن القول إنّـه تعافـى من الناحية الجسـدية. مع ذلـك، يتحتّم عليه الآن العيش مع خطر الإصابة بنوبة أخرى قد تكون أكثر حدّة. لكن لكلّ شـيء حسناته. فقد عمل ساندين على تغيير عاداته الغذائية، وخسر عشرين كيلوغراماً.

أجـاب سـاندين: «بخيـر، فـي الواقـع. أنا آخذ الأدويـة المضادّة للتجلّـط، وباسـتثناء ذلـك، عاد كلّ شـيء كمـا كان. غير أنّني أتجنّب الإجهاد».

«هل تفكّر في العمل مجدّداً بدوام كامل؟»

أجـاب سـاندين بابتسـامة قسـرية: «لقـد تجـاوزت أساسـاً عـدد

telegram @ktabpdf

الساعات المسموحة لي بكثير».

«في هذه الحالة، احرص على قبض أجرك».

* * *

عندمـا دخـل شـوبيرغ مكتبـه في مركز الشـرطة، وجـد صندوقاً من الكرتون موضوعاً على مكتبه. حافظت بيلاّ هانسـن على وعدها كالعادة، وأرسلت له مجموعة من الكلمات والصور التي تروي حياة كاثرين لارسن، ووضعتها في علبة أحذية مغلّفة على نحو جميل. أمّا بالنسبة إلى كيس البلاستيك الصغير الذي تلقّاه سابقاً، فكان موجوداً إلى جانب العلبة. أغلق باب مكتبه، وجلس.

بـدأ يشـاهد الصـور، وسـرعان ما لاحـظ أنّ كاثرين لارسـن لا تملك على الأرجح آلة تصوير خاصّة بها. فقد التُقطت الصور إمّا على يد أقاربها في الفليبين، أو من قبل مصوّرين محترفين في السويد. بقي جالساً بضع لحظات يتأمّل كومة من صور الطفلين في أعمار مختلفة، التُقطت ربّما في دار الحضانة.

وضعها جانباً وهو يتنهّد، ثمّ تناول صورة للأسرة بأكملها، وعدداً آخر من الصور التي ترجع إلى الزفاف، التقطها مصوّر محترف أيضاً. شـرد يفكّر للحظات وهو يتأمّل الزوجين المغرمَين. لم يكن كريسـتر لارسـن، بشـعره المسـرّح بعناية، أشـيب بقدر ما هو عليه اليوم، وهو ينظر إلى الكاميرا ، تعلو وجهه الذي لوّحته الشـمس ابتسـامة باهتة. كان يرتدي بدلة داكنة مزيّنة بوردة حمراء. أمّا كاثرين، فكانت ترتدي ثوباً أبيض بسـيطاً، وتقف بشـكل شـبه جانبي، وقد تحوّل نظرها نحو عريسـها، وعلت شـفتيها ابتسـامة. كان أطول منها، وكانت يده اليمنى الكبيرة تغطّي كتفها العارية.

هل يمكن أن يكون قاتلاً؟ لا يبدو عليه ذلك في هذا المشهد،

لكنّ أموراً كثيرة حدثت منذ هذه الصورة. فالناس يتغيّرون بحسب الظروف. مع الوقت، عاد كريستر لارسن كما كان، من دون أن يفهم ما يعنيه ذلك حقاً.

* * *

لكن ماذا يحدث مع شوبيرغ؟ فمستقبله ومستقبل أسرته يتّخذ منعطفاً خطيراً. إنّه يضع حبّ حياته، ورفيقة دربه، حبيبته أوسا، في الميزان مع امرأة لا يعرفها. امرأة أتت من العدم، ولا يمكن أن تمثّل شيئاً بالنسبة إليه منطقياً.

مارغيت أولوفسون هي المرأة التي تطارد أحلامه، لكنّها مع ذلك ليست مثاله للمرأة. لم يكن يسمح لنفسه كثيراً ببحث هذا الموضوع، لكن هذه هي المسألة، ويرغب في الذهاب حتّى النهاية. تساءل ما الذي يفعله. استخدم كلّ قوّته الذهنية ليُقنع نفسه أنّ هذه القصّة يجب أن تنتهي حالاً، أو في لقائهما القادم. لم يكن هو ومارغيت يلتقيان كثيراً، لكن كلّما انزعج من شيء ما، يبحث عن الراحة بين ذراعيها، من دون أن يفهم السبب. فلطالما وجد بجانب أوسا الراحة والمواساة. لكن منذ أن بدأ يلاحقه هذا الحلم، أخذ يتغيّر. أصبح رجلاً آخر، وتحوّل إلى شخص جبان، ويائس، وخائن. نذل بكلّ معنى الكلمة.

في حلمه، كان يقف دائماً على عشب نديّ، وينظر إلى قدميه الحافيتين. لا يجرؤ على رفع نظره، مع العلم أنّ عليه ذلك. يحسّ أنّ رأسه ثقيل جدّاً، بالكاد يستطيع رفعه. غير أنّه يستجمع كلّ شجاعته وقوّته للقيام بذلك، وعندئذٍ يراها. يرى تلك المرأة الرائعة، ذات الشعر الأحمر الملتهب كالشمس حول وجهها. تقوم ببضع خطوات راقصة، ثمّ تنظر في عينيه، وتبدو عليها الدهشة. يمدّ لها يديه، لكنّ

توازنه يختلّ، ويسقط إلى الوراء. كانت تلك المرأة مارغيت. وهو يرى هذا الحلم منذ أن التقى بها للمرة الأولى، منذ عام تقريباً، خلال تحقيق في سلسلة من جرائم القتل. يأمره عقله بإنهاء هذه القصّة، لكنّها تبقى مهمّة جدّاً بالنسبة إليه. فقد كشفت له جزءاً من ذاته لم يكن يعرف بوجوده. أهو جديد أم قديم؟

* * *

طرد هذه الأفكار المزعجة، وعاد يتصفّح الصور. تنحنح كما لو أنّه يزيل وصمة العار المرتبطة بسلوكه. عاد رجلاً آخر، إنساناً راشداً، واستقام في جلسته ليعزّز هذا الإحساس بالنضج.

لفتت انتباهه سلسلة من أربعة صور التُقطت في مقصورة تصوير ذاتي، تظهر فيها كاثرين لارسن برفقة امرأة آسيوية أخرى. في الصورتين الأوليين، ظهرتا مبتهجتين وجميلتين. وفي الثالثة، كانتا تلهوان برسم تكشيرات على وجوههنّ. أمّا في الصورة الأخيرة، فكانتا ترقصان في المقصورة، وقد رفعتا أذرعهما، بينما أضاءت وجهيهما تعابير طفولية. قال شوبيرغ في نفسه، لا بدّ أنّها فيدا. يجب العثور عليها.

افترض أنّ بقيّة الصور هي لأصدقاء وأقارب كاثرين في الفليبين. لم تكن موجودة بينهم، الأمر الذي قد يشير إلى أنّها استلمت هذه الصور بعد انتقالها إلى السويد. ولم يكن بينها أيّ شيء مرتبط بحياتها مع كريستر لارسن. كانت الرسائل والبطاقات البريدية مرسَلة كلّها من الفليبين، ومكتوبة بلغة لا يعرفها. على أيّ حال، سيحرص على أن تتمّ ترجمتها.

استعرض بعد ذلك محتويات العلبة، ووضع جانباً كلّ ما يتعلّق بشؤون كاثرين لارسن المالية: الإيصالات، والفواتير، والبيانات

المصرفيـة، والأوراق الضريبيـة، والوثائـق الإداريـة. أخذ يراجعها من دون أن يعثر على إشارة واحدة تتيح له التحرّك في اتجاه ما.

* * *

شـعر شـوبيرغ بالحاجة إلى تحريك سـاقيه، فنهض وخرج إلى الـرواق. فـي طريقـه، ألقى نظـرة على مكتب إينار إريكسـون، ليجده خالياً. فثار غضبه لفكرة اضطراره إلى تحمّل كلّ المهام التي يتولاّها إريكسـون عـادة: المكالمـات الهاتفية لمختلـف الدوائر، والبحث في ملفّات الكمبيوتر، وأشياء أخرى كثيرة لا يقوم بها عادة.

بعـد بضـع سـاعات، وعلى الرغـم من قلّة حماسـه، كوّن فكرة عامّة عن الطريقة التي كانت كاثرين لارسن تدير بها شؤونها المالية. كانت هي من أقدم على شراء الشقّة في يونيو 2006، بعدما تمّ تحويل مبلغ 2,115,000 كرونا من حسابها المصرفي إلى حساب البائع. وبعد بضعة أسابيع، تمّ حُوّلت الأقساط، 235,000 كرونا، بالطريقة نفسها. وخلال الأشـهر الستّة الماضية، كوّنت رصيدها من المال من خلال دفعات من 20,000 كرونا نقداً أُودعت في مختلف فروع مصرفها في ستوكهولم. علاوة على ذلك، ومنذ شرائها للشقّة، كان يتمّ إيداع مبلغ 5,000 كرونا في حسـابها في نهاية كلّ شـهر. عندما اتّصل شـوبيرغ بالفـروع المعنيـة، وجـد أنّ عـدّة موظّفين يذكرون أنّ كاثرين لارسـن كانت تشغّل الودائع بنفسها. يبقى السؤال، من أين أتى كلّ هذا المال.

كانت هي من تولّى كلّ معاملاتها المالية. وفي كلّ شهر، كانت تضاف إلى حسـابها إعانة عائلية غير الخمسـة آلاف كرونا. لم تكن تتلقّى المسـاعدة من أيّ جهة أخرى. وكانت هي من يسـدّد الفواتير، فـي الوقـت المناسـب، مـرّة كلّ شـهر. بالتالـي فـإنّ المـال الموجود في حسـابها يغطّي نفقاتها بالضبط. كان الدخل الشـهري متوازناً مع

النفقات الجارية.

بمساعدة أحد الزملاء في الشرطة المالية، تفحّص شوبيرغ أيضاً حسابات كريستر لارسن. غير أنّ شيئاً لا يشير إلى أنّه هو من كان يزوّد كاثرين بالمال. فقد كان يملك حساباً في المصرف نفسه الذي أودعت أموالها فيه، الأمر الذي يتيح له تحويل المال لها من دون لفت الانتباه. غير أنّه لم يفعل شيئاً من ذلك، وما من إشارة إلى أنّه دفع لها نفقة.

* * *

هل كان يوجد فاعل خير غامض في حياةكاثرين لارسن؟ وفي هذه الحالة من يكون يا ترى؟ أهو شخص أحبّها؟ أم استغلّها بشكل أو آخر، ودفع لها المال لقاء ذلك؟ أهو شخص كان يدين لها بشيء ما، أم أنّ المال هو مالها، كسبته من دون شكّ بطريق مشبوهة، لكنّه لا ينتمي إلى شخص آخر؟

مدّ شوبيرغ يده لتناول الهاتف. ثمّ اتّصل بقسم الاستعلامات ليطلب إيصاله بشركه تيليا للاتّصلات. بعد حديث طويل، وكثير من المماطلة، حصل على القائمة الكاملة للأرقام الواردة والصادرة من هاتف كاثرين لارسن خلال الأشهر الستّة الماضية. كانت ستصله عن طريق الفاكس خلال عشرين دقيقة.

قام بعد ذلك بقصّ إحدى الصور الأربعة من سلسلة الصور الذاتية، ثمّ ألصقها على صفحة بيضاء، ورسم دائرة بقلم الحبر حول الوجه الآسيوي المجهول. كتب تحته بخطّ مقروء: «هل تعرفون هذه المرأة؟ تحتاج شرطة هاماربي إلى الاتّصال بها على وجه السرعة في إطار تحقيق جنائي. يرجى الاتّصال على الرقم التالي...».

بعد ذلك، ارتدى سترته، وخرج إلى الممرّ متوجّهاً نحو السلّم،

حاملاً الإعلان بيده.

* * *

بعد ربع ساعة، وصل إلى كنيسة سكونيغاتان الكاثوليكية، التي تقيم صلواتها باللغة الإسبانية. كان يعلّق الإشعار على لوحة الإعلانات عندما اقترب منه رجل قصير القامة، في منتصف العمر. كانت ملامحه تشير إلى أنّه من أصول جنوب أميركية.

قال له الشرطي وهو يمدّ يده مصافحاً: «صباح الخير، أنا كوني شوبيرغ، من شرطة هاماربي».

أجاب الرجل مبتسماً: «صباح الخير، وأنا جوزيف».

مرّر شوبيرغ يده في شعره لتسوية خصلة بلّلها المطر.

شرح له قائلاً: «نحن نحقّق في جريمة قتل، أو بالأحرى ثلاث جرائم. فقد تمّ العثور هذا الصباح على امرأة وطفليها مقتولين في منزلهم».

أشار بإصبعه إلى وجه كاثرين السعيد قبل أن يتابع: «يبدو أنّها لم تكن تعاشر كثيراً من الناس، لكن يحتمل أن تكون المرأة الأخرى صديقتها المقرّبة. فكلاهما من الفليبين. هل يوجد فليبينيون بين الأشخاص الذين يتردّدون على كنيستك؟»

أجاب جوزيف بلهجة مميّزة، وهو يرمق الإشعار الذي علّقه شوبيرغ: «أجل في الواقع، يأتي كثير من الفليبينيين إلى هنا لأنّ بلادهم كانت مستعمرة إسبانية في الماضي».

سأله شوبيرغ: «هل تعرّفت على إحدى هاتين المرأتين؟»

«كلاّ، لم أتذكّر أيّاً منهما. أسرة بأكملها تُقتل؟ يا لها من قصّة رهيبة. كم كان عمر الطفلين؟»

«عامين وأربعة أعوام».

telegram @ktabpdf

«وماذا عن الجنازة؟»

أجاب شوبيرغ: «بصراحة، لا أعرف شيئاً. علينا أن نتحدّث مع أسرة المرأة».

«إن احتجم إلى خدماتنا، أهلاً وسهلاً بكم. وفي حال تعرّف أحد أبناء الرعية على هاتين المرأتين، سأخبرك فوراً».

«سأكون في غاية الامتنان. فمن الأهمّية بمكان أن نصل إلى صديقتها التي تحيط الدائرة بوجهها. واسمها على الأرجح فيدا».

كرّر الرجل بنبرة غامضة: «فيدا. سنعثر عليها بلا شكّ».

* * *

عاد شوبيرغ إلى مكتبه، ومرّت ثلاثة أرباع الساعة على حديثه مع شركة تيليا من دون أن يصله الفاكس. بعد محاولات عديدة، تمكّن من الاتّصال مجدّداً بالموظّفة التي كلّمته قبل قليل، وبعد عشر دقائق، أصبحت القائمة بين يديه. تساءل كم من الوقت كان سيستغرق وصول القائمة لو لم يلحّ في طلبها، وأدرك ما يواجهه إينار على الدوام. لا شكّ أنّ تيليا هي المسؤولة عن تجهّمه الأبدي.

جلس إلى مكتبه، وبدأ يراجع قائمة الاتّصالات الهاتفية. ألقى عليها نظرة سريعة.

كان موظّف شركة الاتّصالات قد أبلغه أنّ كاثرين لارسن لا تملك اشتراكاً بهاتف محمول لديهم. ومع أنّه لم يتمّ العثور على محمول في الشقّة، إلاّ أنّ شوبيرغ دوّن ملاحظة بضرورة التأكّد من ذلك لدى شركات أخرى. احتاج بالكاد إلى نصف ساعة لينسب أسماءً إلى كلّ الأرقام التي تمّ الاتّصال عبرها بكاثرين أو اتّصلت هي بها. لم يرد بينها اسم فيدا. دوّن القائمة وطبعها، ثمّ أضاف عليها ملاحظة لاصقة: «الاستعلام عن العلاقة التي تجمع هؤلاء الأشخاص

بكاثرين لارسن» وترك كلّ شيء مرئياً على مكتب إينار إريكسون.

* * *

لم يكن قد تبقّى سوى بضعة أطفال عندما دخل ساندين. بدت المربّية، وهي امرأة ساحرة تقارب الستين من عمرها، كأنّها تعمل في قطاع مختلف. فقد كانت ترتدي بنطال جينز ضيّقاً وقميصاً مزركشاً بدا باهظ الثمن، كما أحاطت عنقها بوشاح أنيق. تزيّنت بجواهر برّاقة، من خواتم، وقلادة، وسوار، وأقراط، ولم يعرف ساندين ما إذا كانت حقيقية أم لا. صوتها الدافئ والمرح استحوذ على اهتمام ساندين منذ وصوله. كان يعرف القصّة التي تقرأها. إنّها قصّة صغير الأرنب المدعوّ بريكن. قرأها هو نفسه مرّات عديدة لأطفاله في صغرهم. جلست على الأرض، على وسائد ناعمة، وجلس طفلان في حضنها، فيما تمدّد طفلٍ ثالث بجانبها، واضعاً إبهامه في فمه. عندما دخل إلى الغرفة، توقّفت عن القراءة، وحيّته بابتسامة مشوبة بالدهشة.

أعلن قائلاً: «أنا ينس ساندين من الشرطة الجنائية». ثمّ لاحظ أنّه يدسّ على الأرض بحذائه المبلّل. «أودّ التحدّث معك. لكن أكملي قصّتك، وسأستغلّ هذا الوقت لأخلع حذائي».

تبعته نظراتها القلقة وهو يرجع إلى الباب.

صاح من الزاوية المخصّصة للملابس، قبل أن يتيح لها الوقت لتستأنف القصّة: «سأمسح أوساخي».

وضع حذاءه بجانب الباب، ثمّ سحب متراً من المناديل الورقية من الحمّام. وبعد أن نظّف آثار قدميه المبلّلتين، ذهب يرمي المنديل، قبل أن يعود حافياً إلى الأطفال ومدرّستهم.

هتفت المدرّسة: «سنتوقّف هنا اليوم، ونقرأ النهاية غداً». ثمّ أغلقت الكتاب بسرعة لكي يفهموا أنّ بقيّة القصّة مثيرة جدّاً. «أودّ

الحديث مع الشرطي اللطيف الذي أتى لزيارتنا. ساعدوني على لمّ الأقلام عن الأرض، وبعدها ستتشاركون آخر موزة».

نفّذ الأطفال طلبها، وفكّر ساندين أنّهم ما كانوا ليفعلوا ذلك لو أنّ الأمر أتى من أهلهم.

نظراً إلى المعلومات التي يحملها، فإنّه لا يعتبر نفسه شرطياً لطيفاً حقّاً. أدرك أنّه لم يأتِ إلى هنا لجمع معلومات وحسب، بل هو مكلّف أيضاً بنقل أخبار مروّعة إلى شخص يُعتبر من أقرب الناس إلى الطفلين المغدورَين.

عرّفت عن نفسها قائلة: «مارغريتا نورلاندر». مدّت يدها مصافحة، بينما قادته باليد الأخرى إلى خارج الغرفة. «فلنبتعد قليلاً لكي نتحدّث بهدوء. ما الأمر؟»

تبعها إلى المطبخ، من دون أن يجيب عن سؤالها.

قال ساندين وهو يشير إلى المقاعد المحيطة بالطاولة: «فلنجلس».

بدا عليها التوتّر وهي تنظر إلى عينيه قبل أن تجلس أمامه، عاقدة أصابعها بمستوى فمها.

قالت بقلق: «هذه من اللحظات التي لا أحبّ أن أعيشها».

أجاب ساندين محاولاً تهدئتها: «بالتأكيد، لكن ليس لهذا الأمر علاقة بك شخصياً، بل بعملك».

كان مدركاً للهجته البيروقراطية، لكنّه تابع بجدّية: «ثمّة طفلان مسجّلان هنا اسمهما توم ولين، هل هذا صحيح؟»

«أجل، لكنّهما غائبَين منذ بداية الأسبوع. ولم يصلنا عنهما أيّ خبر».

ضغطت بيديها على خدّيها، واغرورقت عيناها بالدموع قبل أن يتسنّى له الوقت للمتابعة.

«كايت تعتني دائماً بـ...».

«تعنين كاثرين؟»

أومأت برأسها موافقة.

قال ساندين بصوت محايد قدر الإمكان: «تمّ العثور على الثلاثة جثثاً هامدة هذا الصباح. وجدناهم في منزلهم، ممدّدين في سرير الأمّ، بجانب بعضهم البعض. ماتوا معاً كما يبدو».

سألته بصوت متهدّج: «ماذا جرى؟»

لم تستطع مارغريتا نورلاندر كبت دموعها، التي راحت تنساب على خدّيها.

«الأمر فظيع بالنسبة إليّ أنا أيضاً». اعتذر منها ساندين، وكافح دموعه بصعوبة.

أمسك بيدي المدرّسة وتابع قائلاً: «لقد قُتلوا. قام شخص ما بذبحهم».

سألته وهي تبكي: «هل رأيتهم؟»

«أجل. لكن أؤكّد لك أنّ الطفلين لم يدركا ما حدث، وأنّه كان ثمّة شيء جميل في الطريقة التي تمدّد بها الثلاثة جنباً إلى جنب».

«وماذا عن كايت المسكينة؟»

«لم تنتهِ بعد التحقيقات في مسرح الجريمة، لكن مع الأسف، تشير معظم الدلائل إلى أنّها كانت واعية عند وقوع الحادث. مع ذلك، يبدو مؤكّداً تماماً أنّها لم ترَ طفليها وهما يُقتلان».

بقي ساندين جالساً بصمت، وترك مارغريتا نورلاندر تهضم الخبر. سحبت يديها من بين يديه، ومدّت ذراعها لتتناول لفّة مناديل. فسبقها، ومزّق عدّة أوراق وناولها إيّاها.

تساءلت وهي تجفّف دموعها: «كيف سأشرح ما جرى للأطفال؟»

فُتح باب المدخل محدثاً ضجّة، فحاولت المعلّمة النهوض من دون قناعة كبيرة. أوقفها ساندين بحركة من يده وسألها: «أهو أحد الأهالي؟»

هزّت رأسها موافقة.

«سأهتمّ بالأمر، ابقي جالسة. سأطلب من الشخص الذي أتى التكرّم برعاية الأطفال لبضع دقائق. فأنا بحاجة إلى التحدّث معك».

خرج من المطبخ، ووجد الأطفال الثلاثة برفقة أمّ بلّلها المطر. أخرج بطاقته من سترته وأبرزها للأمّ، التي كانت تحمل صغيرها بين ذراعيها.

قال: «أخشى أنّني أتيت إلى هنا حاملاً أخباراً سيئة. أودّ أن أطلب منك البقاء لبعض الوقت للاهتمام بالأطفال لأنّني أرغب في التحدّث مع مارغريتا في المطبخ، ومن الأفضل ألاّ يزعجنا أحد. ما اسمك؟»

أجابته بجدّية: «اسمي آنا، آنا أكيسون. أنا والدة عيسى، وها هو».

أجابها بصوت حازم وهو يعيد بطاقته إلى جيبه: «حسناً آنا، ستأتي مارغريتا خلال دقائق. اتّفقنا؟»

أجابته بحيرة: «أجل»، لكنّها لم تطرح أسئلة.

عاد ساندين إلى المطبخ، ووجد مارغريتا نورلاندر كما تركها. كانت تواصل البكاء ونظرها الكئيب مركّز على باب البرّاد. جلس مجدّداً على المقعد المقابل.

سألته بصوت خافت: «وماذا عن إريك؟»

«إريك؟ من يكون؟»

«كان يساعدها بإحضار الأطفال أو اصطحابهم إلى البيت».

قال لها ساندين آمراً: «عليك إخباري كلّ ما تعرفينه عن إريك. هل تعرفين شهرته؟»

«كلاّ، لـم أسـأله أبـداً. هـو بسـنّي تقريبـاً. ولـم نفهـم أبـداً نوع العلاقة التي تربطه بكايت. بطبيعة الحال، قد يكونان حبيبين، هذا هو الاحتمال المرجّح. لكنّهما لم يُظهرا أمامنا أيّ حميمية. مع ذلك، كان يكبرهـا بعشـرين عامـاً على الأقـلّ... وكان بالغ اللطف مع الطفلين، اللذين يعشقانه. كلّ ما أعرفه، هو أنّه ليس والدهما».

«هل سبق والتقيت بالأب؟»

«كلاّ، لم يأتِ إلى هنا أبداً. فهو وكايت مطلّقان».

أوضح لها ساندين: «بل منفصلَين».

«أجل أنت على حقّ ربّما. هل علم بما حدث؟»

«نعم، لكن بحسب ما قاله، لم يعد يرى لا كاثرين ولا الطفلين. كما أنّه لا يعرف شيئاً عن المدعو إريك. من جانبنا، نودّ الاتّصال به».

فُتح باب المدخل مجدّداً، وتناهت منه أصوات أشخاص كبار.

قالـت مارغريتـا نورلاندر: «رقم هاتفه موجـود ربّما في ملفّاتنا. فنحن نطلب من كلّ الآباء تزويدنا برقم هاتف شخص ثالث في حال لم نتمكّن بالاتّصال بهم. لكن...»

أشارت بيدها إلى الأصوات الآتية من الخارج، فهدّأها ساندين قائلاً: «سـنتهتمّ بهذا الأمر لاحقاً بعد رحيل الجميع. لا تقلقي بشـأن ما يجري في الغرفة الأخرى، آنا أوكسون تهتمّ بالأمر. لكن بدءاً من هذه الليلة، قد يتحتّم عليك الاتّصال بزملائك وبالأهالي...»

«بالطبع، عليّ إبلاغهم».

انفجـرت باكيـة مجـدّداً، وتركت دموعها تسـيل على خدّيها من دون مقاومة.

«من استطاع ارتكاب عمل فظيع كهذا؟»

«أودّ أن نتحدّث في هذا الموضوع معاً. فمن خلال عملك هنا،

telegram @ktabpdf

ربّما كنت تعرفين هذه الأسرة أفضل من أيّ شخص آخر. من هم الأشخاص الذين كانت كاثرين على اتّصال بهم؟ هل كان لأطفالها أصدقاء من خارج هذه الدار؟ أودّ أن تخبريني كلّ ما تعرفينه عن كاثرين لارسن. هل كان لديها أعداء؟»

«كانت مثالاً للطف، ودائمة البهجة، لا تتخلّى عن نظرتها الإيجابية للحياة. وكذلك كان إريك. غير أنّه لم يكن يأتي إلى هنا كثيراً، ربّما مرّة أو مرّتين في الأسبوع».

«منذ متى؟»

«في الحقيقة، منذ أن بدأ الطفلان يرتادان دار الحضانة. ربّما منذ أغسطس 2006. كانا صغيرَين جدّاً، وبالكاد بدأت لين تتعلّم المشي. أمّا بالنسبة إلى كايت، لا أستطيع أن أجزم ما إذا كانت على علاقة بأهالٍ آخرين خارج هذا المكان. وأطفال هذه المجموعة صغار جدّاً ولا يذهبون للعب عند بعضهم البعض. على أيّ حال، وعلى حدّ علمي، لم يكن توم ولين يزوران أطفالاً آخرين. وكانا يأتيان ويرحلان إمّا مع كايت أو مع إريك».

«كيف كانت كاثرين؟»

فكّرت مارغريتا نورلاندر بضع لحظات قبل الإجابة.

«كانت حسنة الطباع، ولطيفة، كما سبق وأخبرتك. أعتقد أيضاً أنّها كانت خجولة بعض الشيء. فهي لم تكن من النوع الذي يثير الضجّة، كما أنّها لم تكن تجيد اللغة السويدية تماماً».

«هل لديك فكرة ماذا كانت تعمل؟»

«بحسب ما قالته لي، كانت تعمل في تنظيف المنازل. غير أنّني لا أعرف المزيد».

مزّقت قطعة من المناديل الورقية، وحاولت مسح الماسكرا التي

سالت من عينيها، لكن من دون نجاح يذكر.

«كيف كان الطفلان؟»

«كانا مريحَين جدّاً ومتوازنَين. لم نواجه معهما أيّ مشكلة، بل كانا دائمَي النظافة وبصحّة جيّدة. كانت كايت توليهما الرعاية اللازمة، وتحرص على احترام المواعيد وكلّ شيء آخر».

«هل كان الطفلان يتحدّثان أحياناً عن أبيهما؟»

«في إحدى المرّات، سمعت توم يتفاخر أنّ أباه قويّ جدّاً، لكن كلّ الأطفال يفعلون ذلك. غير أنّني لم أسمعهما يرويان شيئاً محدّداً عن أبيهما».

«وماذا عن إريك؟ كيف كان، وماذا كان يعمل؟»

«كان متوسّط القامة، ذا شعر أشقر أشيب، ويضع نظّارة. مظهره سويدي، عادي، ويرتدي ملابس عادية، من طراز السروال والكنزة الصوفية».

«لم يكن إذاً يرتدي بذلة أو زيّ العمل الأزرق. هل هذا يعني أنّه موظّف مكتب؟»

«نعم، شيء من هذا القبيل. لا أدري ما هو عمله».

سألها ساندين: «هل يملك سترة خضراء؟»

«نعم، تذكّرت الآن. كثيراً ما يرتدي سترة خضراء داكنة. إريك حنون جدّاً على الأطفال، ليس مع توم ولين فقطن اللذين يحبّانه كثيراً، بل يجود بكلام لطيف على بقيّة الأولاد أيضاً، ويلاعبهم بالكرة، ويرميهم في الهواء... أيّ كلّ تلك الأمور التي يحبّها الصغار».

في الخارج، علت الأصوات قبل أن تختفي تماماً. أخيراً أُغلق باب المدخل. فألقت مارغريتا نظرة على ساعتها التي تجاوزت الخامسة بقليل.

telegram @ktabpdf

قالت وهي تتنفّس الصعداء: «أظنّ أنّ الجميع رحلوا».

سألها ساندين: «هل يمكنك مساعدتي مع هذه الأرقام الهاتفية؟»

أجابته بصوت متعب: «بالطبع».

نهضت بصعوبة، وبدت الآن أكبر سناً.

بينما تقدّمت ساندين في الممرّ، لاحظ كم أصبحت مشيتها بطيئة. في عقلها، لم تعد معلّمة، بل أمّاً تواجه خسارة طفلين.

من الجهة الأخرى من النافذة المطلّة على قسم الكبار، استند شابّ بلا مبالاة على مقبض مكنسة. كان يرتدي سروال جينز باهت اللون وقميصاً ضيّقاً يُظهر عضلات ذراعيه الملفتة للنظر. حيّاه ساندين بإيماءة من رأسه، في حين لم تعر مارغريتا أيّ انتباه لعامل التنظيف الكسول ذاك. أخرجت من جيبها مجموعة من المفاتيح، اختارت منها واحداً وفتحت باب مكتب. تناولت ملف إضبارات رمادي اللون من بين تلك المصفوفة على طاولة العمل، ثمّ تصفّحته إلى أن وصلت إلى صفحة الطفلين. من بين الرقمين المدرجَين، كان أحدهما هو رقم منزل كاثرين لارسن، والثاني رقم هاتف محمول. إلى من ينتمي يا ترى؟ إلى إريك؟

مساء الثلاثاء

«لكن تـ... كنتَ تعرف كيف تحلّه الأسبوع الماضي، وحتّى منذ سنة... لا يمكن أن تنسى كلّ ما تعلّمته عن الحساب».

«كنت على وشك أن تشتم».

«كلاّ. في الحقيقة بلى... لكنّني لم أفعل».

«والآن كنت على وشك أن تكذب».

«لـكلّ فـرد الحـقّ بالتفكير كما يشـاء. نحن في بلـد ديمقراطي، سيمون. كفّ عن هذه التفاهات ولنعد إلى العمل».

«هناك أيضاً حرّية التعبير. لدينا الحقّ بقول ما نريد».

«فلنتـرك الحديـث فـي السياسـة ولنعد إلى الواجب المدرسـي، اتفقنا؟ انظر، إن انطلقنا من هذه الزاوية... وتـ...! أوسا!»

«كنت على وشك أن تشتم مجدّداً».

ألقى كوني نظرة غاضبة على ابنه ذي السنوات العشر، ثمّ نهض بسرعة بحيث أوشك كرسي المطبخ على السقوط.

صاح مجدّداً: «أوسا!»

أُغلق باب بهدوء شـديد في الطرف الآخر من الشـقّة. ثمّ سُـمع وقـع خطـوات علـى أرضيّة الرواق، مكتومة فـي البداية ومن ثمّ أكثر وضوحاً، إلى أن دخلت أوسا المطبخ.

همست قائلة: «كنت أضع الأولاد في الفراش، لقد ناموا للتوّ!»

«وهل أيقظتُهم؟»

telegram @ktabpdf

«كلاّ، لكنّك أوشكت على ذلك».

«ما هذه الناقشات الغريبة؟»

انفجر سيمون ضاحكاً، وشاركه أبواه في الضحك.

سألت أوسا: «ماذا تدرّسه، الرياضيات؟»

نظر سيمون إلى أمّه، وتظاهر بالخجل.

«على الصعيد القانوني، الذي هو مجال خبرتي، الولد يتدبّر أمره جيّداً. أمّا في الرياضيات... أفّ! وبما أنّ أسرتنا تضمّ أستاذاً في هذا الميدان، لا أرى ضرورة لتولّي هذه المهمّة...»

«بما أنّك من نفس المستوى يا عزيزي، فأنت تفهم بشكل أفضل أين تكمن الصعوبات».

غمزته وأشارت له بيدها لكي يغادر المكان. عندما همّ بالنهوض، بدأ هاتفه المحمول يرنّ في مكان ما في المنزل. فاستغلّ الفرصة للفرار من المطبخ، ووجد الجهاز في جيب سترته المعلّقة في المدخل.

بادره صوت بلكنة قوية: «معك فيدا. كنت تحاول الاتّصال بي».

استغرق شوبيرغ بضع ثوانٍ ليستعيد نبرة مفوّض الشرطة الجنائية، قبل أن يجيب بصوت حازم وثابت: «بالتأكيد. نودّ أن نلتقي بك في أسرع وقت ممكن».

«كنت أعمل، وهاتفي مطفأ. قال لي أحد الأصدقاء الذي مرّوا بالكنيسة إنّ عليّ الاتّصال بهذا الرقم. كما ترك لي أحد عناصر الشرطة رسالة».

أحد عناصر الشرطة؟ تبّاً. هذا يعني أنّ رقم الجوّال الذي وصل إليه ساندين لم يكن رقم إريك.

سألته فيدا: «بشأن ماذا؟»

«هل أنت على علم بما جرى؟»

«كلاّ، ماذا حدث؟»

«إذاً، من الأفضل أن أراك».

«هل يمكن تأجيل ذلك حتّى الغد؟ أنا متعبة قليلاً».

«كلاّ، مع الأسف. هل أنت في منزلك؟»

«أجل...»

«سأمرّ خلال نصف ساعة مع زميل لي. هل يناسبك ذلك؟ الأمر مهمّ جدّاً».

«حسناً. أنا أقطن في 31 شارع روستثولارفيغن في باغارموسن. رمز الدخول هو 5110».

بعد لحظة من التردّد، اتّصل بساندين الذي عرض عليه المرور لأخذه. بعد ذلك، دخل شوبيرغ إلى غرفة ابنتيه سارة ومايا، ليعانقهما متمنّياً لهما ليلة سعيدة. كانتا تحضّران أسئلة مسابقة لأمّهما وأخيهما الأكبر. في المطبخ، بدت الأمّ مسرورة لرؤية سيمون يحلّ كلّ تمارين الحساب. فقبّل شوبيرغ شعره وربّت على كتفه مشجّعاً.

«هذا جيّد، سيمون. كنت أعرف أنّك ستنجح في حلّها».

«أمّي تفسّر أفضل منك بكثير».

«أعرف، فهذا عملها».

عانق أوسان فسألته: «هل أنت ذاهب؟»

«اتّصلت بي صديقة الضحية للتوّ. ما زالت تجهل ما حدث، ومن الأفضل أن أستجوبها الآن. ينس في الطريق».

«آه، ينس... ذاك الذي يعمل بدوام جزئي تجنّباً للإجهاد...»

«امم».

تمتمت أوسا مميلة رأسها جانباً: «يا له من أمر مؤسف».

telegram @ktabpdf

«لمن؟ لي أم لينس؟»
«للفليبينية. هل ستتأخّر في العودة؟»
«لا أعتقد»، ثمّ رحل محيّياً إيّاها بإشارة من يده.

* * *

فيدا يوهانسن هي امرأة جميلة جدّاً، في العقد الثالث من عمرها. تقطن في شقّة من غرفتين. عند وصول الشرطيّين، كان زوجها يشاهد التلفاز، جالساً على أريكة في غرفة المعيشة. بدا كأنّه خرج للتوّ من الحمّام، بشعره الرطب، ورائحة الصابون التي فاحت منه عندما نهض لتحيّتهما. كان بسنّ زوجته، يرتدي سروال جينز وقميصاً مفتوحاً مزركشاً بالمربّعات يُظهر كلّ صدره حتّى السرّة، ويُبرز عضلات صدره. كان شعر فيدا المضفّر أسود اللون، طويلاً، ولامعاً. ارتدت هي أيضاً الجينز، فضلاً عن سترة صوفية واسعة. كتفت ذراعيها على صدرها على نحو دفاعي.

سألها شوبيرغ: «هل يمكننا الجلوس؟»

هزّت رأسها موافقة، متجنّبة النظر إليه.

«هل يمكن لغوران البقاء، أم تريدان التحدّث معي على انفراد؟»

أجابها شوبيرغ: «بل يستحسن لغوران أن يبقى معنا. هل يمكننا الجلوس هنا؟»

لم ينتظر الجواب، بل جلس على الأريكة الجلدية الفاتحة.

تناول غوران جهاز التحكّم عن بعد، وأطفأ التلفاز، ثمّ غرق مجدّداً في مقعده. جلس ساندين إلى جانب شوبيرغ، بينما جلست فيدا على مسند للقدمين بجانب مقعد زوجها، وبدت غير مرتاحة.

قال شوبيرغ: «لقد وقعت مأساة».

وضعت فيدا يديها على فمها، وتنقّل نظرها المرعوب بين

ساندين وشوبيرغ. أمّا غوران، فقطّب جبينه.

«حسبما فهمت، أنت صديقة مقرّبة لكاثرين لارسن». هزّت فيدا رأسها مجدّداً. توجّه هذه المرّة إلى غوران قائلاً: «هل تعرفها أنت أيضاً؟»

«أجل، أعرفها جيّداً».

«لقد وُجدت ميتة هذا الصباح في شقّتها».

صاحت فيدا: «ميتة؟ لا! إنّها أفضل صديقة لي!»

بدت الصدمة على وجه غوران، الذي احتضنها بقوّة. تنحنح شوبيرغ ليستعيد صوته، قبل أن يشرح ملابسات الجريمة بألطف طريقة ممكنة. نظر غوران يوهانسن إلى زوجته التي تبكي بمرارة، ويداها لا تزالان تغطّيان فمها. راح يمرّر يده على شعرها وهو يحتضنها بقوّة بين ذراعيه لكي تكفّ عن الارتجاف. وبينما كان شوبيرغ ينهي قصّته، بقيت بلا حراك، وجهها مدفون في صدر زوجها. بقي غوران يوهانسن صامتاً، ونظر إلى الشرطيَين كأنّه يلتمس الرحمة. صمت شوبيرغ وأتاح لهما الوقت لاستيعاب ما جرى. أخيراً، ألقى نظرة على ساندين، قبل أن يجد نفسه مضطرّاً للمتابعة.

«علينا أن نطرح عليكما بعض الأسئلة».

قال غوران: «لكنّنا لا نعرف شيئاً عن هذا!»

أجاب شوبيرغ: «ونحن لا نعرف شيئاً عن كاثرين. عليكما مساعدتنا لكي نكوّن صورة عن هذه الأسرة. فيدا، منذ متى وأنتما تعرفان بعضكما؟»

سحبت المرأة نفسها من بين ذراعي زوجها، ثمّ نظرت إلى شوبيرغ بعينين مليئتين بالاضطراب.

«منذ عام 2002. كنّا نعمل في شركة التنظيف نفسها، ولم يكن

قد مضى على وجودنا نحن الاثنتين في السويد وقت طويل».

«هل ما زلت تعملين؟»

«كلاّ، أنا الآن موظّفة مكتب في شركة غوران».

ألقى شوبيرغ نظرة فضولية على غوران يوهانسن. فشرح له قائلاً: «أسّست أنا ورفاقي شركة لطلاء المباني».

سألها شوبيرغ: «فيدا... أما زلت تقومين بأعمال تنظيف في السرّ؟» نظرت إليه مرعوبة من دون أن تجيب. «نحن لسنا هنا لمحاكمتك، لكن عليك أن تفهمي أنّنا نريد معرفة الحقيقة».

قالت بصوت منخفض: «لقد توقّفت عن القيام بالأعمال المنزلية، لكنّ كايت تواصل العمل، أقصد واصلت العمل في السرّ».

«كايت... تعنين كاثرين؟»

هزّت فيدا رأسها موافقة.

«هل تعرفين زبائنها؟»

«البعض منهم. ففي بعض الأحيان، كنّا نعمل معاً حين تكون الشقّة بحاجة إلى مجهود كبير، مثل تنظيف الزجاج أو تنظيف المنزل بعد الانتقال منه».

«نودّ منك إعطاءنا قائمة بأسماء زبائنها الذين تعرفينهم».

«الآن؟»

«من فضلك».

فكّر شوبيرغ أنّ طلبه هذا سيصرف فيدا عن التفكير في المأساة. فتصفّح دفتر ملاحظاته إلى أن وجد صفحة فارغة، ثمّ أعطاها قلماً. فبدأت فيدا تكتب.

«هل لديكما فكرة من الذي يمكن أن يقدم على عمل كهذا؟ هل ثمّة من يسعى إلى الثأر منها؟»

«يسعى إلى الثأر منها...؟»

«شخص لا تتّفق معه».

أكدّت له فيدا قائلة: «كان الكلّ يحبّ كايت».

هزّ زوجها رأسه موافقاً.

تابع ساندين: «حدّثيني قليلاً عن علاقتها بكريستر لارسن».

تبادلت فيدا يوهانسن نظرة مع زوجها.

قال غوران باختصار: «لقد كان رجلاً مملاًّ على نحو قاتل».

«من الواضح أنّ كايت لم تكن من هذا الرأي لأنّها تزوّجته».

«حسناً، قد يكون لذلك أسباب أخرى».

قاطعته فيدا: «لقد أحبّته كايت كثيراً، لا شكّ في ذلك».

سأله ساندين: «ماذا تعني بقولك أسباب أخرى».

شرح غوران وجهة نظره قائلاً: «الفليبين هي بلد فقير. وكثير من أهلها مستعدّون لفعل أيّ شيء للخروج منها، كالزواج من رجل غربي».

نظر الشرطيان تلقائياً إلى فيدا، لكنّهما قرّرا عدم سؤالهما لماذا تزوّجا.

قال ساندين لفيدا: «إذاً، أعجب كلّ من كاثرين وكريستر لارسن ببعضهما؟»

«نعم، في البداية. أظنّ أنّ كايت لم تغرم به أبداً، لكنّهما أحبّا بعضهما في البداية. وقد بذلت جهدها لكي تنجح علاقتهما، لكن بعد مدّة من الزمن، أصبح أكثر غرابة».

«ماذا تعنين بذلك؟»

تدخّل غوران يوهانسن قائلاً: «في البداية، كنّا نلتقي كثيراً نحن الأربعة. صحيح أنّه لم يكن كثير الكلام في تلك الفترة، لكن على

الأقلّ كان حاضراً. كان يضحك عندما نمزح، لكن مع الوقت بدأ ينغلق تدريجيّاً. وفي المرّات الأخيرة التي اجتمعنا فيها، كان يلزم الصمت ويحدّق من النافذة».

قال شوبيرغ: «بحسب المعلومات التي لدينا، يعاني كريستر لارسن من الاكتئاب».

أجاب غوران: «أعلم، أخبرتني كايت بذلك. لقد حاولنا إشراكه في أحاديثنا، لكنّنا لم ننجح، فكففنا عن المحاولة».

هزّت فيدا رأسها موافقة.

تابعت تقول: «بعد ذلك، لزم بيته، ولم يعد يرغب في رؤيتنا. وفي أحد الأيّام، سئمت كايت من هذا الوضع، فرحلت مع الطفلين».

قال غوران: «أظنّ أنّنا لم نرَ كريستر منذ أن كانت لين طفلة رضيعة».

قالت فيدا: «لم يكن هذا لرجل يصلح للزواج، فهو يفضّل الوحدة. سبق وتزوّج، ثمّ تطلّق. أخبرتني كايت أنّها المرأة الأولى التي أقام علاقة معها منذ عشرين عاماً».

رفع شوبيرغ حاجبيه مستغرباً.

سألهما: «هل حدث أحياناً وتصرّف بعدوانية؟»

أجابت فيدا: «ليس معنا على أيّ حال. ولم تتحدّث كايت أبداً عن ذلك، فهو لا يعطي هذا الانطباع».

«ومع الطفلين؟»

«كلاّ، لا يهتمّ بهما. كايت هي من كانت ترعاهما».

«هل بدا عليها أنّها لم تكن سعيدة؟»

«أظنّ أنّها كانت ترغب كثيراً في العودة إلى الوطن. لكنّها لم تكن تجرؤ على مغادرة السويد، من أجل الطفلين».

سألها ساندين: «هل كانت تسافر إلى الفليبين من وقت إلى آخر لزيارة عائلتها؟»

«كلاّ، فهـذه الرحلـة مكلفـة جـدّاً بالنسـبة إلى امـرأة وحيدة مع طفلين».

«لم تكن تملك إذاً كثيراً من المال».

«صحيح. لكنّها كانت تدّخر كلّ ما تكسـبه، ولا تشـتري سـوى الضروريات».

سألها شوبيرغ: «من أين أتى إذاً المال الذي اشترت به الشقّة في حيّ ميناء هامارببهامنن؟»

هتـف غـوران وهـو يحكّ رأسـه بإصبعـه: «نحن أيضاً اسـتغربنا ذلـك، فمـن المسـتحيل أن تجنـي ثمـن شـقّة كهذه. الشـقق في تلك المنطقة باهظة الثمن».

تذكّرت فيدا اسم زبون آخر، فدوّنته بسرعة.

دخل ساندين في الموضوع مباشرة: «هل كانت تمارس الدعارة؟»

أجابت فيدا بصوت حازم وهي تنظر في عينيه: «قطعاً لا».

«هل أنت واثقة؟»

«تماماً».

عاد نظرها إلى الورقة، وأضافت اسماً.

سألها شوبيرغ فجأة: «هل التقت كايت برجل آخر كان يقدّم لها مساعدة مالية هي والطفلين؟»

بدأ غوران: «كلاّ، كانت...» لكنّ شوبيرغ أسكته بإشارة من يده، وتوجّه مجدّداً إلى زوجته بنبرة حازمة.

«فيدا؟»

سالت دمعة على خدّها وسقطت على دفتر الملاحظات. حاولت

telegram @ktabpdf

أن تمسحها بطرف إصبعها.

قالت: «وعدتُ كايت... وعدتها بعدم إخبار أحد».

ألحّ شوبيرغ: «لكنّ كايت ماتت، وعلينا معرفة الحقيقة».

أخذت فيدا نفساً عميقاً قبل أن تبدأ قصّتها.

«كان لديها رجل في حياتها، رجل التقت به صدفة. فقد تعرّضت لهجوم من قبل أشخاص حليقي الرؤوس، وهرع لنجدتها. أخبرتني بذلك بعد مدّة طويلة. بدآ يلتقيان، وبحسب كايت، لم يعيشا معاً، لكنّني لا أدري شيئاً... ما هذه العلاقة إذاً؟ كانا يلتقيان في الخارج دائماً، ولا تذهب إلى منزله أبداً. ممّا لا شكّ فيه أنّه متزوّج، لكنّها لم تتكلّم عن ذلك. لم يكن يزورها في منزلها أيضاً. في تلك الفترة، كانت تعيش مع كريستر. أحبّت كايت التحدّث مع هذا الرجل، وكلّمته عن كلّ شيء. كان يواسيها عندما تواجه مشاكل مع كريستر، ورغب في مساعدتها عندما قرّرت أخيراً أن تترك زوجها. في البداية، لم ترغب في قبول هذا المبلغ الكبير من المال، الذي يزيد عن مليوني كرونا، لكنّه تمكّن من إقناعها في نهاية المطاف. أخبرها أنّ الطفلين سيرتاحان في هذه الشقّة، نظراً لوجود ملعب في الفناء مليء بالأولاد... خافت في البداية أن تصبح مدينة له بشيء، لكنّه لم يطلب منها أيّ مقابل؛ بدا لطيفاً للغاية، وأخبرتني كايت أنّ الطفلين يعشقانه. وهو أيضاً كان يحبّهما. وفي بعض الأحيان، كان يهتمّ بهما عندما تتأخّر في العمل.

سألها شوبيرغ: «ألم تلتقي به أبداً؟»

«كلاّ. أردت ذلك حقّاً، لكنّه كان غامضاً بعض الشيء. وكانت تشعر أنّها تخونه عندما تحدّثني عنه، مثلما أشعر أنا في هذه اللحظة».

عادت فيدا تبكي، وأخذ زوجها يمرّر يده على شعرها.

سألها ساندين: «هل كان اسمه إريك؟»

«نعم، إريك. هل تظنّان أنّه هو الذي...؟»

أجابها شـوبيرغ: «حاليّاً، نحن لا نظنّ شـيئاً. لكن علينا الوصول إليه بأيّ ثمن».

مـال لتنـاول دفتـر الملاحظات والقلم. كانت فيدا يوهانسـن قد أعطتهما ستّة أسماء للاتّصال بها. بعدما أخذ بصمات الزوجين، نهض عن الأريكة هو وساندين. ثمّ أخرج بطاقته من جيبه الخلفي، ووضعها على الطاولة.

«نحن آسفَين حقّاً، وقد ساعدتمانا كثيراً. لا تتردّدا بالاتّصال بي إن تذكّرتما شيئاً».

* * *

أخـذ المطـر يتسـاقط بغزارة في الخـارج، بينما لمعت آلاف من القطرات المضيئة في الظلام. قاد سـاندين بحذر، وشـعر شـوبيرغ أنّه محميّ من قسوة الشتاء الطويل.

سأله شوبيرغ: «ماذا جرى لك منذ قليل، في المقابلة؟»

لـم يجبـه سـاندين علـى الفـور، فشـعر شـوبيرغ أنّه لمـس وتراً حسّاساً. لا حاجة للإصرار أكثر من ذلك.

«لا أدري ما إذا كنت أرغب في الحديث عن ذلك».

«لا بأس، انسَ الموضوع».

بعد بضع دقائق من الصمت، اقتنع شوبيرغ أنّه لا حاجة للقلق. فقـد أصبـح سـاندين أكثـر حرصـاً على العنايـة بصحّتـه. إذ بدأ يأكل باتّزان، ولا يكثر من الشـراب، ويمارس الرياضة. وكثرة القلق تؤدّي حتماً نتيجة عكسية. فساندين ليس من الأشخاص الذين يتركون القلق ينغّص عليهم حياتهم، وسيحاول شوبيرغ الاقتداء به.

قال ساندين: «أنا آسف، لم يكن يجدر بي قول ذلك. أنا دائماً أتفوّه بأمور فظيعة من دون تفكير. مجرّد كلمات تخطر في بالي، مثل دعـارة. إنّهـا الصـورة التي تكوّنت فـي ذهني تلقائياً، حتّى لو وجدتُها كريهة.

«هل تتحدّث عن كاثرين لارسن؟»

أجاب متنهّداً: «كلاّ، بل عن جيني».

لم يعرف شـوبيرغ بماذا يفكّر. سـلك سـاندين الطريق المؤدّية إلى وسـط المدينة. على الرغم من المطر والسـاعة المتأخّرة، كانت حركة المرور كثيفة، لكنّ الطريق سالكة. لازم ساندين الخطّ الأيمن، وترك السائقين المسرعين يتجاوزونه. ثمّ أخبر شوبيرغ بالأحداث التي حطّمته في شهر سبتمبر الشهير. كيف علم أنّ ابنته الحبيبة، المصابة بإعاقـة عقليـة طفيفـة، تشـارك في نوع من الدعـارة، وأنّ صديقها هو الذي يتلاعب بها. يدعى الشـابّ بونتوس، وهو شـخص قذر، يعيش عندها ويقبض المال. عندما علم ساندين بالحقيقة، أوشك أن يفارق الحياة. لكنّ بونتوس رضي بمبلغ من المال، وتخلّى عن جيني. هكذا تمكّن سـاندين من شـرائه وإجباره على الاختفاء من حياتهم، وحياة جيني، مقابل خمسـين ألف كرونا. منذ ذلك الحين، لم يروا وجهه. وفضّل ساندين عدم جرّه إلى المحكمة، لأنّه سيُضطرّ إلى كشف كثير من التفاصيل المسيئة إلى ابنته.

وافقـه شـوبيرغ. تمنّـى أن يكـون كلّ ذلـك قد أصبـح فعلاً من الماضي، وأن تتمكّن جيني من بدء حياة جديدة، بعد أن بادر بتعيينها مساعدة لوتن في مكتب الاستقبال في مركز الشرطة.

«وماذا عنكما أنت وأوسا، هل كلّ شيء على ما يرام؟»

سئم ساندين من الحديث عن نفسه. فضّل فتح المجال لشوبيرغ

لكي يخبره بما يكدّره. لكنّه لن يلحّ عليه، فهو يكره الأسئلة الفضولية. هـذا هـو ينـس، مزيـج مـن الجمـل المباشـرة، والتكتّم التـامّ. خلافاً لتوقّعات شوبيرغ، لم تمرّ علاقته مع مارغيت أولوفسن مرور الكرام أمام عينيّ زميله. فقد كان ساندين حاضراً عندما التقى هو ومارغيت مجدّداً في المقهى، ولاحظ بلا شكّ الانسجام الذي يسود بينهما.

وهذا هو واقع الحال. فعلى الرغم من قسـوة سـاندين، إلاّ أنّه شخص دافئ وحسّاس. ولا شكّ أنّه أدرك ما حدث في تلك الليلة، بينما كانت أوسـا مع الأولاد عند أهلها. غير أنّه لم يقل شـيئاً، ولم يُلمح إلى أيّ شيء. لا بل على العكس، وجده شوبيرغ أكثر مراعاة له خلال الأشهر التي تلت تلك الزلّة، على الرغم من فظاظته الطبيعية. أدرك شـوبيرغ أنّ ينس يعلم ما جرى، ذلك أنّه صديقه المقرّب منذ أن كانا يدرسان في أكاديمية الشرطة. حتّى إنّ كوني شعر بالاطمئنان لأنّ ساندين يعرف بما يدور في رأسه اللعين. إنّه على علم بلا شكّ بالمشـاعر المتناقضـة التـي تتنازعه، برغم حرصـه على عدم الحديث عنها.

ما الذي يدفعه إذاً إلى الإفصاح عن مشـاعره؟ أهو وجوده في ظلمة السـيّارة الدافئة، بمأمن من المطر، والبرد، وأضواء السـيّارات، أم الاطمئنـان الـذي تمنحـه إيّـاه تلك الصداقة المتينـة والطويلة؟ في جميع الأحوال، شعر بالحاجة إلى التحدّث بصراحة، فباح بكلّ شيء لساندين.

عندما دخلت السيّارة حيّ سكونيغاتان، مرّت من أمام نيتورغيت وتوقّفـت، قبـل أن ينتهـي حديثهمـا. مكثـا مطوّلاً أمام منزل شـوبيرغ صامتَين. إنّها ليلة المواضيع المؤلمة التي لن يتطرّقا إليها مرّة أخرى ربّما. لكنّهما استأنفا الحديث، الأمر الذي أتاح له التقدّم، والإحساس

أنّه أقوى وأكثر حكمة بعض الشيء. كما أحسّ أنّه أقلّ وحدة أيضاً.

قال ساندين: «كلاّ، بماذا يفيد الحديث مع أوسا؟ لن يؤدّي ذلك سوى إلى تخريب كلّ شيء وتدمير حياتكما».

* * *

في الليل، يسود برد قارس في الكوخ. وُضعت مدفأة كهربائية صغيرة أمام الجدار في الطرف الآخر من الغرفة. وتسلّل تيار هواء بارد من تحت الباب ومن خلال النافذة الصغيرة إلى جانبه. كانت الغرفة غارقة في الصمت والظلام. لكن من بعيد، تناهى إليه ضجيج المدينة.

مدّ كلّ عضلات أطرافه العلوية لكي يحاول حلّ الحبال التي تقيّد معصميه. وبعد محاولات عديدة، أدرك عجزه. مع ذلك، قرّر الاستمرار حتّى النهاية. فهذه هي فرصته الوحيدة، وإن كانت ضئيلة.

تمدّد على ظهره يحدّق إلى الظلام. شعر بألم مبرح في ظهره ومؤخّر رأسه. ولم يستطع فعل شيء حيال ذلك، فلا بدّ أن يشعر بالألم في مكان ما. رنّ الجرس. دينغ دونغ! أجفله هذا الصوت كما في كلّ مرّة. كان مدير المبنى قد أهداهما جرساً جديداً. من الآن فصاعداً، سيكافأ الزائر بلحن بهيج عوضاً عن الضجيج المزعج للنظام القديم. عبست ونظرت إليه بشيء من السخط، لكنّه لم يرَ سوى عينيها الزقاوين المتألّقتين المحاطتين بشعرها الأشقر. لم يلاحظ سوى جمالها.

قال مبتسماً: «أنا سأفتح»، ثمّ اجتاز المسافة القصيرة التي تفصل الشرفة عن المدخل. احتفظ بقفّازات البستنة وهو يدير القفل ويفتح الباب.

«مرحباً! لديّ مشكلة صغيرة...».

كان جارهما القاطن في الشقّة المجاورة. ترك باب شقّته مفتوحاً على مصراعيه، بحيث تناهت إليه من الداخل أصوات ولديه وهما يلعبان. عندما لاحظ قفّازات البستنة، قال محرجاً: «آه، أنت تعمل؟»

«نعم، نحن نزرع بعض النباتات على الشرفة. كيف يمكنني مساعدتك؟»

«تزرعان النباتات... هذا عظيم! في الحقيقة... زوجتي اليوم في العمل، وقد اتّصل بي أحد الأصدقاء طالباً مساعدتي في إنزال قاربه إلى المياه. لكي نتمكّن من فعل ذلك خلال النهار، علينا أن نبدأ حالاً. وكنت أتساءل ما إذا كان بإمكانكما رعاية الولدين لبضع ساعات».

«بالطبع، لا مشكلة في ذلك».

لم تكن تلك هي المرّة الأولى التي يهتمّان فيها بولدي الجيران. فهما مستعدّان دائماً لتقديم المساعدة عند الحاجة. كان الصبيّان يبلغان الثالثة والخامسة من العمر وكانا عبارة عن إعصارَين صغيرَين، لكنّهما في الوقت نفسه طيّبَين وفاتنَين.

«ينتهي عملها خلال ساعة ونصف. ليس عليكما سوى إيصالهما إلى صالون التزيين. فهم ينوون الذهاب لشراء أحذية بعد ذلك».

«حسناً. هل سيأتيان إلى هنا أم نذهب نحن إليهما؟»

«كما تشاءان. سأبقي الباب مفتوحاً، لكن انتظر!»

دخل إلى بيته، ثمّ عاد بسرعة حاملاً زجاجة شراب. أعطاه إيّاها قائلاً بفخر: «لكي تقضي أمسية ممتعة مع زوجتك الجميلة...»

أتت من خلف زوجها وألقت التحية على الجار مبتسمة.

هتف هذا الأخير وهو يهبط السلّم مسرعاً: «شكراً مجدّداً على المساعدة!»

أجابته: «لا داعي للشكر، هذا من دواعي سرورنا!» التفتت إلى

telegram @ktabpdf

زوجها قائلة: «اذهب وانظر ماذا يفعل الطفلان بينما أهتمّ بالنباتات».

أعطاها القفّازات، ثمّ دخل إلى شقّة الجيران.

كان الصبيّان جالسَين على الأرض في غرفتهما، ومستغرقَين تماماً في بناء سكّة حديد.

«مرحباً يا شباب! هل يمكنني مشاركتكما اللعب؟»

انقضّا عليه وهما يضحكان، وتقلّب الثلاثة لبضع لحظات على الأرض قبل أن يستأنفوا البناء. كان القتال جزءاً من الطقوس الخاصّة بهم. قال في نفسه إنّه إن أنجب ابناً في يوم من الأيّام، سيفعل معه الشيء نفسه. أمّا اللعب، فسيكون مع الأمّ: بقدر ما كان يكره تحريك القطار الصغير، كان يحبّ تركيب السكك. لم يكن يهمّه الوقت الذي يستغرقه ذلك. ترك الولدين يفكّران وهو يقودهما بيد حازمة، لكي يعتقدا أنّهما فعلا ذلك بمفردهما. ما إن أصبحت السكّة جاهزة، حتّى بدأ يستعدّ لمعاناة رحلة القطار الوهمية التي لا تنتهي. لكن هذه المرّة، أنقذه توبياس الصغير: «أين هي السيّدة؟»

تظاهر بالاستياء قائلاً: «أصغِ إليّ أيّها الشابّ الصغير. إنّها ليست سيّدة، بل هي امرأة شابّة».

«لكن أين هي؟»

انفجر ضاحكاً هو وأندرياس، الأخ الأكبر، قبل أن يسقطوا جميعاً إلى الخلف. وسرعان ما نشبت معركة أخرى.

صباح الأربعاء

راقب شوبيرغ بنظرات شاردة بترا ويستمان وهي تدخل قاعة الاجتماعات. أغلقت الباب، ثمّ جلست إلى الطاولة، وحرّكت الشاي، قبل أن ترفع الفنجان إلى شفتيها. لاحظت أنّه ما زال ساخناً جداً، فأعادته إلى الطاولة، واستأنفت تحريكه بالملعقة. قطع شوبيرغ تأمّلاته، ثمّ افتتح الاجتماع.

«هل حضر الجميع؟ هادار في المحكمة، ولا يستطيع المجيء. لكنّ بيلا رتّبت مواعيدها لكي تنضمّ إلينا مع التقرير الأوّلي لكاي زيترستروم. أهذا هو؟»

رفعت بيلا ملفّاً أسود وهزّت رأسها.

«في هذه الحالة، أنت ابدأي. بعد ذلك، يمكنك الانصراف متى شئت».

«حسناً. قُتلت كاثرين لارسن بين الساعة التاسعة من مساء يوم السبت والساعة الثالثة من صباح يوم الأحد. وقعت الجريمة في الحمّام. كانت واقفة أمام المغسلة عندما قُطع عنقها بحركة واحدة، تسبّبت بجرح عميق بما فيه الكفاية لكي تفارق الحياة على الفور. ثمّة كدمات على ذراعيها وصدرها، ممّا يثبت أنّ المعتدي شدّها إليه من الخلف. استخدم هذا الأخير حتماً يده اليمنى، وهو أكبر قامة من الضحيّة. وسواء كان رجلاً أم امرأة تتمتّع بقوّة جسدية كبيرة، فقد استخدم المرآة لارتكاب جريمته، وقد رأت كاثرين لارسن كلّ شيء

telegram @ktabpdf

أمامهـا. حملهـا بعـد ذلك، ولـم يجرّها، إلى السـرير، ومدّدها بجوار ولديها. انحنى بعد ذلك فوقها، وذبح بالطريقة نفسـها الفتاة الصغيرة النائمـة فـي الوسـط. ثمّ دار حول السـرير لقتل الصبـيّ. كان الولدان مستغرقَين في النوم، ولم نعثر على أيّ إشارة لأيّ قدر من المقاومة. سـلاح الجريمة هو ذو شـفرة مسـتقيمة، بطول عشـرين سـنتمتراً على الأقلّ، يشبه خنجر الصيد، أو الساطور، أو السيف.

سألها شوبيرغ: «كيف دخل؟»

«لا يوجـد أيّ أثـر لحـدوث صـراع. إمّا أنّهم فتحوا له الباب، أو دخل بوسائله الخاصّة. ربّما كان يملك مفتاحاً بحوزته، أو فتح القفل بأداة دقيقة، أو كان الباب مفتوحاً أساساً. في جميع الأحوال، خرج من دون أن يقفل الباب. إذ أنّ الباب يُقفل من الداخل بمفتاح أو من دونه. أمّا من الخارج، فلا يمكن تحريك القفل من دون مفتاح. وبما أنّه لم يُقفل الباب بعد خروجه، فهذا يشير ربّما إلى أنّه لا يملك مفتاحاً».

علّق جمال قائلاً: «لا بدّ أنّه كان مكسوّاً بالدماء».

أجابت بيلاّ: «من الصعب تأكيد ذلك. لا شكّ أنّ ملابسه تلوّثت، لكن لا أعرف ما هي الكميّة. بالتأكيد لوّثت الدماء ذراعيه ويديه، لكن يبدو أنّه نظّفها على المغسـلة قبل أن يرحل، من دون أن يجفّف يديه بالمناشف. ربّما كان يرتدي أيضاً بدلة واقية خلعها قبل أن يغادر الشقّة».

تابع جمال: «ثمّة سترة في المدخل...».

قاطعتـه بيـلاّ قائلـة: «وجدنا عليها شـعراً فأرسـلناه إلـى المختبر لتحليله. وهذه السترة ذات مقاس كبير جدّاً بحيث لا يمكن أن تكون سترة كاثرين لارسن».

سأل شوبيرغ: «ما هي علامتها التجارية؟»

«أوهلينز».

قال جمال: «لاحظت أيضاً وجود أثر حذاء...» غير أنّ الموظّفة الفنّية في الشرطة العلمية قاطعته مجدّداً وقدّمت التحليل.

«رفعنا عدداً من آثار الأحذية ووجدنا أنّها ترجع كلّها إلى حذاء واحد، هو حذاء رياضي. لا يمكنّنا أن نحدّد طرازه بعد، لكنّه حذاء رجل بمقاس 43 أو 44، ما يثبت على ما يبدو أنّ القاتل ذكر. وجدنا آثاراً مشابهة أيضاً على طول الدرج، الذي يغيب تماماً عن نظر القادم من الفناء».

«هل وجدتم بصمات؟»

«بالطبع، رفعنا عدداً منها يرجع إلى عدّة أشخاص. معظمها ينتمي إلى أفراد الأسرة، لكن ما زال بعضها مجهولاً. للأسف، لم نجد أيّ بصمة على حنفية مغسلة الحمّام، ولا على مقبض باب المدخل. سأقارنها مع تلك التي أعطيتني إيّاها، كوني».

أومأ شوبيرغ موافقاً.

«وما الذي أفضى إليه التشريح؟»

«بما أنّ التشريح يجري على ثلاث جثث، فهو لم يكتمل بعد. غير أنّ زيترستروم أبلغني أنّ أيّاً من الضحايا لم يتعرّض للعنف الجنسي. علاوة على ذلك، لم تُقِم كاثرين لارسن أيّ علاقة خلال الأيّام الأخيرة من حياتها. ولا وجود لأيّ آثار من الضرب على جسد الأمّ أو الطفلين. هل لديك أسئلة أخرى؟»

بدأت بيلاّ تجمع أغراضها.

أضاف شوبيرغ مفكّراً: «أودّ إجراء فحوص على الطفلين وكريستر لارسن، للتأكّد أنّه والدهما فعلاً».

قالساندين: «آه، هذا مشوّق!»

سألته بيلاّ مبتسمة: «هل أنقل طلبك إلى زيترستروم أم تتولّى

telegram @ktabpdf

أنت أخذ عيّنات الدم؟»

«إن كان لا يمانع، أفضّل أن يتولّى هو ذلك. شكراً بيلاً».

دفعت غابرييلاً هانسن الملفّ الأسود الذي يحتوي على التقرير الأوّلي لعمليّات التشريح باتّجاه شوبيرغ، قبل أن تجمع بقيّة أوراقها في حقيبتها وتغادر الغرفة.

بعد ذلك بدأ المحقّقون الأربعة يراجعون التحقيقات التي أجروها. شبك شوبيرغ يديه خلف عنقه وراح يدير كرسيّه يميناً ويساراً.

«ما هذه الجريمة؟ مع أيّ نوع من القتلة نتعامل؟ في الظاهر، يبدو كلّ شيء نظيفاً ومنظّماً حتّى أدقّ التفاصيل. ماذا لو أنّه تمّ التعاقد مع قاتل محترف؟»

اعترضت بيلاً قائلة: «في هذه الحالة، لما وجدنا آثار أقدام. فالقاتل المحترف لا يترك آثاراً».

تساءل جمال ساخراً: «وهل القتلة المأجورون محترفون بالضرورة؟ هل رأيت ذلك على شاشة التلفزيون أم ماذا».

رمقته بترا شزراً.

تابع جمال: «فلنضع المزاح جانباً، قد يكون حذاءً قام بإحراقه لاحقاً، أي حذاء عادي موجود في كلّ المحلاّت. وربّما كان لا يهتمّ إن كُشف أمره بعد إنجاز مهمّته».

سألته بترا: «في هذه الحالة، لماذا أزال بقيّة الآثار؟»

علّق شوبيرغ: «سؤال يطرح. صحيح أنّ للجرائم الثلاثة جانب وحشي، لكنّها ارتُكبت من دون إشارة كبيرة إلى استثمار شخصي، ألا توافقون على ذلك؟ لم يُقدم القاتل على عنف بلا مبرّر، أو إذلال، أو تدنيس. كما أنّنا لا نواجه عمليّة سطو تحوّلت خطأً إلى جريمة قتل، وإلاّ لما تعرّض للطفلين. لم يحدث اعتداء جنسي أيضاً. تصرّف القاتل

بسرعة وكفاءة، من دون أيّ إرباك، ولم يتسبّب بأيّ معاناة لا داعي لها».

تساءل ساندين: «لكن لماذا يتمّ التعاقد مع قاتل مأجور؟ صحيح أنّ شراء الشقّة قد يكون مقترناً بتبييض أموال، لكن هل هي على اتّصال بأعضاء مافيا؟»

أخذ شوبيرغ يحكّ ذقنه بإبهامه وسبّابته.

قال بشيء من الإحباط: «ما زال إينار غائباً، ألم يره أحد مؤخّراً؟»

نفى الجميع بهزّة من رؤوسهم.

تمتم شوبيرغ: «سأستعلم عن الأمر. قد يكون في إجازة».

قال ساندين مبتسماً: «بعض الأعمال الروتينية لن تضرّك. يمكنك أن تضع نفسك مكان إينار. آه، بدأت أرى التجهّم يغزو وجهك...»

نظر ساندين إلى زملائه، وأشار إلى رئيسه الذي أخذ يطرق بأصابعه على الطاولة، الأمر الذي أثار موجة من الضحك. انتظر شوبيرغ بضع ثوانٍ قبل أن يستأنف الكلام.

«عقاباً لك، ينس، ستبحث لي عن مترجم لمراسلات كاثرين لارسن. ستهتمّ أيضاً بزبائنها. تحقّق من سجلاّتهم، واتّصل بهم، واعرف ما إذا كانوا بدورهم يعرفون زبائن آخرين غير واردين على جداولنا. بترا وجمال، تحقّقا من قائمة اتّصالات كاثرين لارسن التي وضعتُها على مكتب إينار مساء أمس. أودّ منكما تكوين فكرة دقيقة عن عاداتها الهاتفية، لا سيّما خلال الأيّام التي سبقت الجريمة. مع من تكلّمَت، وفي أيّ موضوع؟ هل يرِد إريك في مكان ما؟ أودّ منكما أن تعرفا أيضاً ما إذا كانت تملك خطّ هاتف محمول. نعرف حتّى الآن أنّها لا تملك خطّاً لدى شركة تيليا. أمّا أنا فسأتحقّق من الوضع المالي لأسرة يوهانسن، لا سيّما وضع شركة الطلاء التي يملكها الزوج.

* * *

telegram @ktabpdf

بعد ساعة ونصف، فرغ شوبيرغ من الاطّلاع على الحسابات المصرفية لأسرة يوهانسن وشركة الزوج، من دون أن يجد ما يثير الشبهات. لم يتمّ سحب مبلغ كبير، ولم يحدث تغيير كبير في معدّل الدخل أو النفقات. أخذ يقلّب قلمه بين أصابعه شارداً. فجأة تناول الهاتف، واتّصل برقم محمول إينار. ردّ عليه المجيب الآلي، فترك له رسالة.

«مرحباً إينار، أنا كوني. لم نرك منذ أيّام، وبحسب معلوماتي، لستَ في إجازة. هل يمكنك الاتّصال بي على وجه السرعة من فضلك؟ نحن بحاجة إليك».

أغلق الخطّ، ثمّ استعرض لائحة جهات الاتّصال في هاتفه المحمول، قبل أن يطلب رقم إينار إريكسون الأرضي. لم يجب أحد. أغلق الخطّ بعد عشر رنّات، وكتب رسالة قصيرة ضمّنها محتوى الرسالة الصوتية. أخيراً، اتّصل بعامل الهاتف في مركز الشرطة وطلب تحويله إلى قسم المحاسبة.

«معك كوني شوبيرغ، من القسم الجنائي. أنا بحاجة إلى بعض المعلومات عن أحد الموظّفين لديّ، واسمه إينار إريكسون».

أجاب الصوت الأنثوي: «نعم؟»

«أهو في عطلة أم في إجازة مرضية؟»

«فلنرَ...» (سمعها شوبيرغ تطرق على لوح المفاتيح. «ما رقم هويته؟»

«لا أعرف، أنتِ أخبريني. لا يوجد أيضاً أثر لإينار إريكسون في بيته».

«أنا أبحث... آه، ها هو. ليس في إجازة مرضية، ولم يتقدّم بطلب لأخذ عطلة».

«هل يمكنك إعطائي عنوانه، من فضلك؟»

أجابته بنبرة وديّة وحازمة في آن: «أنا آسفة، لكنّنا لا نستطيع إعطاء هذه المعلومات إلاّ إن كنت تملك إذناً؟»

«إذن؟ أنا رئيسه، تبّاً!»

أجابته بصوت ودّي: «يمكنني الاتّصال بك مجدّداً».

«حسناً، رقمي هو...»

«لا بأس، لديّ رقمك، شكراً. ثمّ أغلقت الهاتف في وجهه».

قال شوبيرغ في نفسه، إذن! ما هذا النظام الجديد؟ لكن لم يتسنَّ له الوقت للمزيد من التفكير، لأنّ هاتفه بدأ يرنّ.

«معك شوبيرغ».

«مرحباً، كنت قد طلبت معلومات عن إينارَ إريكسون؟»

«صحيح».

أعطته رقم هاتفه وعنوانه. فشكرها، وأغلق الخطّ.

أدرك شوبيرغ أنّه لم يكن يعرف أبداً في أيّ حيّ يقطن إريكسون، في حين أنّهما جيران تقريباً. إذ يعيش هذا الأخير في إريكسدالسغاتان، على بعد خطوات من مركز شرطة أوستغوتاغاتان، أي في منتصف الطريق المؤدّي إلى شقّة شوبيرغ في سكونيغاتان. قال في نفسه، يجهل المرء أحياناً كلّ شيء عن حياة زميله. فهما يعملان معاً منذ اثني عشر عاماً، إلاّ أنّه لا يعرف شيئاً عنه، باستثناء أنّه متزوّج، ولم يرزق بأطفال. لكن ماذا يعرف عنه غير ذلك؟ لا شيء. لا بدّ من القول إنّ إريكسون هو شخص متحفّظ، وفظّ في أغلب الأحيان. لا يتكلّمان في معظم الوقت سوى عن العمل. كما أنّ إريكسون لا يخرج أبداً لتناول الغداء مع زملائه، الأمر الذي يحرمه طبعاً من التحدّث في شيء آخر. فهو يفضّل البقاء في مكتبه لتناول الغداء الذي حضّرته له زوجته على الأرجح. في الوقت نفسه، لم

telegram @ktabpdf

يستطع شوبيرغ مقاومة الابتسام وهو يتخيّل إريكسون يحضّر طبقاً من السجق لتناوله عند الغداء في اليوم التالي.

أخذ شوبيرغ يفكّر في الجانب المظلم من حياته الخاصّة. لا شكّ أنّ زملاءه لا يتصوّرون وجود امرأة تدعى مارغيت أولوفسون فيها. هذا باستثناء ينس بالطبع، مع أنّه شكّ في ذلك منذ البداية. وماذا عن أمّه، ماذا يمكن أن تقول؟ يفضّل في الواقع عدم التفكير في ذلك. فهي حريصة دائماً على حفظ ماء الوجه، وتفكّر دائماً في ما يمكن أن يقوله الناس.

والدته هي في الواقع قصّة بحدّ ذاتها، حافلة بالأسرار. وما يزعجه هو أسلوبها الجافّ في رفض الحديث معه حول أيّ موضوع هامّ. حاول كثيراً أن يسألها عن تفاصيل عن أبيه لم يعرفها أبداً. فكلّ ما لديه هو صورة غامضة لرجل توفّي بمرض غامض عندما كان هو في الثالثة من عمره.

تذكّر من جديد سند الملكية الذي عثر عليه بين الأوراق وهو يساعد أمّه على دفع فواتيرها بعدما سقطت عن كرسيّ وكسرت ضلعها. كان اسم العقار بيورسكوغسنيس 4:14. قالت أمّه على الفور إنّها لا تعرف أين تقع قطعة الأرض تلك، وإنّها بلا شكّ جزء من أملاك زوجها الراحل. لكن لماذا لم تشعر بأيّ فضول لرؤيتها بعد وفاة زوجها؟ على الرغم من كونه مفوّضاً في الشرطة، إلاّ أنّه لم ينجح أبداً في الحصول منها على مزيد من المعلومات.

شعر فجأة بالرغبة في حلّ لغز هذه القصّة القديمة. وبما أنّه غارق حاليّاً في الأعمال الورقية، كما يقول ساندين، سيغتنم الفرصة لتحديد موقع ذلك العقار.

اتّصل برقم الصفحات البيضاء وطلب تحويله إلى مكتب تسجيل

سندات الملكية في محكمة ستوكهولم. انتظر بضع دقائق، ثمّ أجابته امرأة. فعرّف شوبيرغ عن نفسه، وشرح لها ما يريد.

«أنا أملك سند ملكية عقارية، لكن ليست لديّ أيّ فكرة عن المكان الذي تقع فيه قطعة الأرض. هل يمكنك مساعدتي؟»

أجابت المرأة: «بالطبع. قد يستغرق ذلك بعض الوقت، لكن أعطني المرجع لأرى ما يمكننا القيام به».

«بيورسكوغسنيس 4:14».

هجّأت الكلمة لتتأكّد أنها سمعتها بشكل صحيح، قبل أن تطلب منه الانتظار، وعادت إليه بعد بضع دقائق.

«تقع بيورسكوغسنيس 4:14 في فيستمانلاند، بالقرب من أربوغا».

تمتم شوبيرغ: «أربوغا...؟»

«بالضبط. هل تريد منّي أن أرسل لك نسخة عن الصحيفة العينية بالفاكس؟»

«بكلّ تأكيد».

غير أنّ شوبيرغ لم يعرف تماماً ماذا سيفعل بهذه المعلومات.

* * *

استيقظ مجفلاً. صحيح أنّه تمكّن من النوم طوال الليل تقريباً، إلاّ أنّه نام أيضاً خلال جزء من النهار. فقد كان مضطرّاً لتغيير وضعيته كلّ عشر دقائق والنوم بشكل متقطّع. لولا ذلك، لأصبحت أوجاعه لا تطاق، ولاستبدّت به لساعات. هكذا، اعتاد على الاستيقاظ كلّما حان الوقت ليغيّر وضعيته. فالحياة التي يعيشها على أرض الكوخ البارد أصبحت روتيناً.

أجبر نفسه على الجلوس مستعيناً بالحائط البارد، بحركة بطيئة للغاية. حاول لبضع دقائق أن يحلّ الحبال مرّة أخرى. فعقله يملي

عليه ذلك، وهذا هو الشيء الوحيد الذي ما زال يجبر نفسه عليه. بما أنّ حياته الحالية لم يعد لها معنى، عاد يفكّر في الماضي. تذكّر الولدين الصغيرين وهما نائمَين فوقه، يقرصان بعضهما، ويتقلّبان على الأرض. كانوا يلعبون بلطف، وحتّى لو تلقّى أحدهم ضربة كوع في عينه، لم يكن يشعر بالألم.

رفع توبياس بذراعه إلى الأعلى، وأجابه قائلاً: «السيّدة تزرع أزهاراً على الشرفة».

«أوه، هل يمكننا مساعدتها؟ أنا أحبّ زراعة الأزهار!»

«بالطبع، سيسرّها ذلك. ستزرع كلّ واحد منكما في وعاء. وهكذا ستنموان وستصبحان كبيرَين، ولن أتمكّن من قتالكما».

صاح أندرياس الذي خرج فعلاً من الغرفة: «تعال توبياس».

أفلت منه توبياس، ولحق بأخيه. فقام هو أيضاً، وأعاد السجّادة إلى مكانها، ثمّ نفض الغبار عن ملابسه. أغلق باب المدخل، وعاد إلى شقّته.

كان أندرياس قد أصبح على الشرفة. أدخل يديه الصغيرتين في قفّازات البستنة الضخمة، وانقضّ على عنق أخيه الصغير.

اعترضت زوجته قائلة: «لا، لا، لا. هذا ممنوع. هل تريدان الزراعة، أم نفعل شيئاً آخر؟»

قال توبياس: «أريد زهرة لي».

«فكرة جيّدة! سيختار كلّ منكما زهرة ثمّ يزرعها. لكن عليكما أن تتذكّرا ريّها باستمرار».

هتف توبياس: «أريد الحمراء».

«زهرة اللقلقي، ستكون رائعة. وأنت، أندرياس؟»

«أريد الزرقاء».

أشار بيده إلى الزهرة الموضوعة في علبتها الكرتونية.

«ممتاز، البيتونيا لأندرياس. انظرا ما عليكما فعله...»

أعطت وعاءً من الطين لكلّ من الولدين، ثمّ أخذت واحداً لها لتريهما كيفية زراعة الزهرة.

«نأخذ بعض التراب، هكذا... ونضعه في قعر الوعاء...»

لم تكن الشرفة تتّسع للجميع، فوقف على العتبة. أعجب ببراعة زوجته، واستمتع بصوتها الناعم وبأصوات الطفلين. تصاعدت من الباحة رائحة العشب المجزوز حديثاً، وامتزجت برائحة التربة الرطبة على الشرفة. الحياة تبدأ للتوّ.

* * *

غادر شوبيرغ مركز الشرطة من دون أن يخبر أحداً بوجهته. أخذ قلقه يتزايد في طريقه إلى إريكسدالسغاتان. ماذا لو فتح له إينار؟ ماذا سيقول له؟ كان يخشى أن يرى زميله في حالة يرثى لها. لكن لماذا يفكّر على هذا النحو؟ لم يبدُ أبداً على إينار أنّه من الأشخاص الذين يكثرون من الشراب خلال الدوام، على عكسه أحياناً. لكن ما الذي جرى له إذاً؟ ما سبب هذا الغياب بعد اثني عشر عاماً من المثابرة؟ هل وقع له حادث، أم هو مريض؟ في هذه الحالة، كانت زوجته ستتّصل بالمركز لإبلاغهم بذلك. إلاّ إن كانت هي أيضاً مصابة. ربّما تعرّضا لحادث سير...

خرج من المبنى الذي يقطن فيه إريكسون رجلٌ عجوز بصحبة كلب صغير، فركض شوبيرغ ليقطع المسافة المتبقّية بسرعة قبل أن يُغلق الباب.

قال: «المعذرة»، فرمقه العجوز شزراً. «هل تقطن في هذا المبنى؟»

telegram @ktabpdf

«من الذي يسأل؟»

«آه طبعاً، أنا آسف...»

سحب شوبيرغ محفظته من جيبه الخلفي وأخرج بطاقته.

«كوني شوبيرغ. أنا أعمل مع إينار إريكسون القاطن في هذا المبنى».

«آه حقّاً، أهو شرطي؟ لم أكن أعرف».

وجّه إليه العجوز ابتسامة ماكرة، فبادله شوبيرغ الابتسام على الفور.

«هل سبق أن رأيته مؤخّراً؟»

«كلاّ، ليس منذ يوم السبت الفائت، عندما خرج بسيّارته».

تقلّصت معدة شوبيرغ. هل وقع له حادث سير فعلاً؟

«فهو يذهب بسيّارته صباح كلّ سبت عندما أُخرج توبسي للنزهة، ثمّ يعود متأخّراً في المساء، لكنّني أكون نائماً».

«وماذا عن يوم السبت الفائت؟»

«لم أره وهو يعود».

هل كان بمفرده في السيّارة أم مع زوجته؟»

أجابه ساخراً: «زوجته؟ إريكسون أعزب على حدّ علمي. لم يسبق أن رأيت معه زوجة، ولا حتّى امرأة أخرى».

قال شوبيرغ في نفسه، لا شكّ أنّ هذا العجوز بدأ يعاني من الخرف. فقد ذكر إريكسون زوجته عدّة مرّات. صحيح أنّه لم يتحدّث عنها فعلاً، فهما لم يتحدّثا يوماً سوى في العمل، لكنّه متأكّد تقريباً أنّه رأى خاتم زواج بيده. تابع الرجل، كأنّه يطعن في شكّ شوبيرغ بذاكرته: «لكنّه عاد فعلاً، إن كان هذا ما يهمّك، حضرة المفوّض. فسيّارته مركونة هناك منذ صباح الأحد».

أشـار برأسـه إلـى سـيّارة تويوتا كـورولا قديمة، كانت السـيّارة الوحيدة المركونة في المرآب الكبير.

«شـكراً جزيلاً على هذه المعلومات». شـعر شـوبيرغ بالارتياح لأنّه لن يضطرّ إلى الاتّصال بكلّ مستشفيات المنطقة بحثاً عن زميله المختفي.

شدّ العجوز المقود، فتحرّك الكلب الصغير مسرعاً خلفه. تساءل شوبيرغ ماهو رأي لوتن، موظّفة الاستقبال في مركز الشرطة، بذلك. هذا من دون ذكر مايك، الحارس. فكلاهما شغوفَين بالكلاب، بكلّ مـا للكلمـة مـن معنـى. ذلـك أنّ كلبيهما يتبـادلان بطاقـات المعايدة والتمنّيات السعيدة في ذكرى مولدهما. وبما أنّ ابنة ساندين، جيني، تتأثّـر بسـهولة بمـن حولها، فقد التقطـت العدوى منذ أن بدأت تعمل في المركز.

صعد السلّم وصولاً إلى الطابق الأوّل، وتوقّف أمام الباب الذي كُتب عليه اسـم إريكسـون. ضغط على الجرس الذي تردّد صداه في الداخل، لكن في ما عدا ذلك، عمّ السكون. بعد محاولتين أخريَين، ألقـى نظـرة محرَجـة حولـه، قبـل أن يُخـرج مفتاحاً يُسـتخدم لجميع الأقفال من جيب سترته. كان قفل باب إريكسون عادياً جدّاً، بحيث لم يلزم شوبيرغ سوى بضع لحظات ليصبح في الداخل.

نـادى إينـار، لكنّـه لـم يلـقَ جواباً. أوّل ما لفـت نظره هو حقيبة غولف. لم يكن شوبيرغ يعرف شيئاً عن هذه الرياضة، لكنّه أدرك أنّ طراز الحقيبة قديم. لم يخطر بباله أبداً أنّ إريكسون يلعب الغولف. رأى علـى حائـط المدخـل صورة بالأبيض والأسـود معلّقة في إطار، يظهر فيها إينار أصغر سنّاً برفقة شابّة جميلة. لا بدّ أنّها زوجته، لأنّها صورة زفاف. لم يتخيّل أبداً أنّ إريكسـون كان شـابّاً، أو سـعيداً في

يوم من الأيّام. ممّا لا شكّ فيه أنّه يشعّ فرحاً في الصورة. فالابتسامة تعلو وجهه الخالي من أيّ أثر للهموم، والذي يشير إلى انفتاح ذهني لم يعهده فيه شوبيرغ أبداً.

يقطن إينار إريكسون في شقّة صغيرة تتضمّن مدخلاً، وغرفة لابأس بها، مع سرير، وأريكة، ومقعد. هذا فضلاً عن حمّام صغير، ومطبخ بالغ الصغر. لاحظ أنّ السرير يتّسع لشخص واحد. تنفّس شوبيرغ الصعداء، وأحسّ بارتياح لأنّه تجوّل في الشقّة من دون أن يعثر على زميله فاقداً للوعي، أو جريحاً، أو ميتاً ببساطة. ونظراً لخبرته كشرطي، ألقى نظرة على الرسائل الموجودة على الأرض في المدخل. لاحظ أنّ إريكسون لم يكلّف نفسه حتّى عناء لمّ الصحيفة عن الأرض منذ يوم السبت. أخذ يتذكّر ما يرتديه زميله عادة في هذا الوقت من السنة. لم يجد سترة سوداء ضخمة، ولا حذاء الشتاء في الشقّة. فاستنتج أنّ إريكسون عاد بالسيّارة متأخّراً مساء السبت، كما أشار جاره، ثمّ خرج باكراً صباح الأحد. كلّ هذا يبدو غامضاً.

ما أثار قلق شوبيرغ أكثر من أيّ شيء آخر هو إدراكه المخيف أنّ أحداً لم يأبه لغياب إريكسون. لا جيرانه، ولا زملاؤه، باستثنائه هو. لكن لا بدّ من الاعتراف أنّ السبب الأكبر يرجع إلى أنّه سئم من القيام بالمهام التي تقع عادة على عاتق إينار. وماذا عن السيّدة إريكسون، أين هي يا ترى؟

فكّر بالاتّصال بساندين، لكنّه غيّر رأيه في اللحظة الأخيرة. هل تسرّع بدخول منزل إريكسون على نحو مخالف للقانون؟ فهو لم يتغيّب عن العمل سوى يومين أو ثلاثة. وبصفته زميله، ليس من حقّه التدخّل في شؤونه. بالتالي فإنّ تطفّله على هذا النحو على حياته الخاصّة غير مبرّر. بينما كان يحدّث نفسه بذلك، وقف أمام المكتبة

وتناول من دون تردّد إضبارة كُتب عليها «أوراق هامّة».

وجد الظرف البلاستيكي الأوّل يحمل بطاقة كُتب عليها «سولفاي». فأخرج منه مجموعة من الوثائق، وألقى نظرة على الورقة الأولى: فاتورة حديثة. أمّا الورقة الأخيرة من كومة الأوراق فهي من النوع نفسه، لكنّها ترجع إلى عشر سنوات. كلّ الفواتير صادرة عن مصحّة تحمل اسم سولبيرغا، ويشير الرمز إلى أنّها واقعة في فيلينغزبرو. وجد أيضاً منشوراً يصف المبنى على أنّه لؤلؤة بيرغسلاغن، الواقعة في مكان خلاّب، على ضفاف المياه. الخدمة الطبّية فيه مؤمّنة أربعاً وعشرين ساعة، مع زيارة يومية لطبيب عند الحاجة.

لا يذكر شوبيرغ أنّه سمع إينار يلفظ اسم زوجته، لكنّ سولفاي هو اسم شائع لنساء جيلها وجيل إينار. من الواضح أنّ زوجته لا تقطن في هذه الشقّة الصغيرة، لكن ما السبب؟ أحسّ بالذنب في تلك اللحظة لأنّه لم يُظهر فضولاً على مرّ السنوات عندما كان زميله يكتفي بتمتمة عابرة عندما يسأله ما إذا كان قد أمضى عطلة سعيدة. لكنّ ملامح إينار الجافّة، والجانب الكئيب من شخصيته تبقيه دائماً على مسافة من محيطه. ويبدو واضحاً أنّه ليس مستعدّاً ليشارك الآخرين بمشاكله الخاصّة. ربّما كان يعتقد ببساطة أنّه لا يملك حياة خاصّة يشاركهم بها. هل تحفُّظ إينار وشخصيته العنيدة هما نتاج خيبة إزاء حياة لم تتّخذ المنحى الذي تمنّاه وتخيّله عندما التُقطت صورة الزفاف المعلّقة في المدخل؟

أغلق شوبيرغ الإضبارة من دون مزيد من البحث. فهو يشعر بالاستياء بما فيه الكفاية أساساً لتدخّله بحياة زميله الخاصّة. قبل أن يخرج، ألقى نظرة سريعة على المطبخ. وقف أمام الفرن النظيف تماماً، شأنه شأن الطاولة وحوض الجلي. إينار هو بالفعل من يحضّر

telegram @ktabpdf

طعامه. لكنّ تخيّله وهو يطهو مرتدياً مئزره لم يعد يبعث على الابتسام. فالحفاظ على نظافة منزله ومظهره يثبت أنّه لم يستسلم تماماً لليأس، حتّى لو كان يرتدي دائماً الملابس الكئيبة نفسها. على أيّ حال، من يكون هو ليحكم ما إذا كانت حياة زميله تستحقّ العيش أم لا؟ ببساطة، يبدو له أنّ إينار، بوجهه الكئيب، يرزح تحت ثقل الحزن والاستسلام. توصّل شوبيرغ إلى هذا الانطباع على مرّ السنوات، من دون أن يفهم السبب تماماً. فقد بدا له إريكسون دائماً شخصاً غريب الأطوار. مع ذلك، لم يشارك أبداً في المزاح الذي كان يدور من خلف ظهر زميله.

وجد عدداً من كتب الطبخ على طاولة بجانب الفرن. كان بينها كتاب تملكه أمّه أيضاً. فقدّر أنّه يرجع إلى أربعين عاماً على الأقلّ بينما كان يتناوله بلطف تجنّباً لإسقاط بقيّة الكتب. فتح الصفحة الأولى ليتأكّد من تاريخ الطبعة، فوجد إهداءً مكتوباً بخطّ اليد: «تهانينا لصغيرتنا الحبيبة سولفاي بمناسبة نيلها البكالوريا. جدّك وجدّتك. مايو 1968».

* * *

بتنا نعرف أين هي سولفاي إريكسون، لكن أين اختفى إينار؟

* * *

تقاسم جمال وبترا قائمة الأسماء التي ينبغي الاتّصال بها. عندما أنهى جمال مهمّته، ذهب إلى مكتب بترا، وعرض عليها الخروج لتناول الغداء. بالطبع، أجابته أنّها خطّطت لشيء آخر. منذ متى لم يخرجا لتناول الغداء سوية؟ عندئذٍ قرّر أن يتناول غداءه بمفرده، فحمل سترته وهبط السلّم متوجّهاً إلى المدخل. كانت جيني، ابنة ساندين، بمفردها عند مكتب الاستقبال. عندما رأت جمال، أضاء

وجهها.

«مرحباً، أيّها الوسيم!»

تردّد صوتها في القاعة ذات الأرض الرخامية.

«أهلاً. كيف حالك، هل أنت بمفردك؟»

«أجل، فقد خرجت لوتن لتناول الغداء».

«وأنت، متى تأكلين؟»

«سبق وأكلت، فقد أحضرت معي شيئاً من المنزل».

«يا للأسف، كنّا تناولنا الغداء معاً».

وجّهت إليه ابتسامة عريضة، مسرورة باهتمامه.

«على أيّ حال، لا يمكنني أن أترك مكتبي قبل عودة لوتن».

هذا جيّد، إنّها تعرف واجباتها. بالنسبة إلى جيني، تُعتبر لوتن مثالاً يحتذى. فهي تقول بوضوح ماذا تريد، وتشجّع من حولها وتوجّههم. وتشعر جيني أنّها تقدّرها.

«هل الناس هنا لطفاء معك؟»

«لا أحد يسيء معاملتي».

«الكلّ يحبّونك، جيني. فأنت فتاة رائعة».

علت جبينها إمارات القلق في اللحظة التي نظرت فيها إلى المدخل.

قالت بتجهّم: «غير أنّني لا أحبّ الجميع».

ألقى جمال نظرة على الباب، وفهم على الفور من الذي لا يعجب الموظّفة الجديدة. فابتسم، ثمّ انحنى نحوها وهمس مشجّعاً: «لا تكترثي، فلستِ الفتاة الوحيدة هنا التي تمقت هولغرسون».

عندما كان هو وبترا لا يزالان صديقين، أخبرته عدّة مرّات أنّها لا تحتمل هذا الإنسان.

تابع يقول: «إنّها بالتأكيد مزحة سيّئة. ماذا فعل لك؟»

تمتمت جيني: «أشعر أنّه يسخر منّي».

«لا تهتمّي. فالحمقى موجودون في كلّ مكان».

استقام مجدّداً، واستعاد نبرته الطبيعية.

«وفي ما عدا ذلك، هل كلّ شيء على ما يرام؟ هل أنت بحاجة للمساعدة؟»

«كلاّ، أنا أعرف تماماً ما عليّ فعله. لكن لديّ مشكلة في المنزل، وبإمكانك مساعدتي».

ابتسم مجدّداً.

«حقّاً؟ وما هي؟»

مرّ هولغرسون من أمام مكتب الاستقبال، فحيّاه جمال بإيماءة من رأسه.

أجابت جيني: «إنّه حاسوبي. فهو لا يعمل كما يجب، لقد أصبح بطيئاً للغاية».

«ألا يساعدك أبوك؟»

«أبي؟ إنّه لا يعرف شيئاً عن الحواسيب!»

كان جمال يعرف أنّها على حقّ.

«حسناً، سألقي عليه نظرة عندما تسنح لي الفرصة».

«هذا المساء، من فضلك!»

استسلم جمال أمام حماسها الطفولي، وأجاب متنهّداً: «حسناً جيني، سأمرّ بعد العمل. هيّا، عليّ الذهاب لأتناول طعامي».

ألقى نظرة إلى السلّم، وفوجئ لدى رؤية بترا تكلّم هولغرسون البغيض. فتوجّه نحو الباب وهو يفكّر متعجّباً أنّه أصبح في أسفل قائمة الأشخاص الذين تتحدّث معهم.

* * *

كانـت بتـرا تشـعر بالجوع هي أيضـاً. عملت طوال فترة الصباح علـى مهمّـة مشـابهة لمهمّة جمال. وعندما سـمعته يبتعـد في الممرّ، قرّرت أن تستريح هي أيضاً. فتناولت معطفها وخرجت من المكتب. مـا إن وصلـت إلـى الدرج، حتّى سـمعت تحيّة جيني الطنّانة «مرحباً، أيّها الوسيم!» تتناهى إليها من المدخل.

تلـك هـي جينـي، لكنّ جمـال أجابها بالنبرة نفسـها. سـمعتهما يثرثران. وعندما وصلت إلى أسفل السلّم، توقّفت لمراقبة جمال وهو منحـنٍ فـوق الطاولـة، يهمس شـيئاً في أذن الفتـاة. بدت هذه الأخيرة مسـرورة وهي تجيبه هامسـة. منذ مدّة، لم يعد هذا الرجل يدهشـها، لكن أن يتعرّض لجيني سانديـن، هذا كثير. وها هو شخص كريه آخر يدخل إلى المركز: هولغرسـون، الأمر الذي أجبر جمال على إخفاء نوايـاه والكـفّ عـن مناورتـه الصغيرة. إذ اسـتقام وأعلن بصوت عالٍ وقويّ أنّه سيزور جيني ذلك المسـاء. وصل هولغرسـون إلى السلّم، وبـدا أنّـه يلتهمهـا بنظراته. فارتعشـت من شـدّة الاشـمئزاز، وأخذت تتحرّك لتخفي ردّ فعلها.

قال هولغرسون بابتسامة ماكرة: «يا له من زير نساء، جمال هذا».

أجابته بترا من دون اهتمام: «أجل، أجل».

«علينا الاعتراف أنّها جميلة، لكن...»

توقّفت بترا.

سألته، مع أنّ الجواب لا يهمّها: «لكن ماذا؟»

«لكن...عقلها ناقص، أليس كذلك؟»

أرادت بتـرا أن تـردّ عليـه بجواب قـاسٍ، لكنّها قرّرت الاحتفاظ برأيها لنفسها. فاكتفت بإلقاء نظرة مليئة بالازدراء نحوه، قبل أن تهزّ

رأسها وتغادر بيت المجانين هذا.

عصر الأربعاء

دخل ساندين مكتب شوبيرغ بينما كان هذا الأخير يعلّق سترته على ظهر كرسيّه.

سأله شوبيرغ: «إذاً، ماذا جرى؟»

تنهّد ساندين وجلس على الكرسي المقابل المخصّص للزوّار.

«عثرتُ أخيراً على مترجم. إنّه ضابط أميركي عجوز يدعى سفيركر إفارسون».

تساءل شوبيرغ عابساً: «سفيركر إفارسون؟»

«إنّه من أصل سويدي، هاجر إلى الولايات المتّحدة في الثلاثينيات. خلال الحرب العالمية الثانية، أُرسل إلى قاعدة أميركية في الفليبين، ولهذا يتكلّم اللغة الفليبينية. عاد إلى السويد بعد الحرب. وهو الآن في مكتبي، يقرأ رسائل كاثرين لارسن، لكنّه لم يجد فيها ما يثير الاهتمام. إخوتها وأخواتها بخير، ابن عمّها تزوّج، سقفُ منزل أحد أقربائها انهار، وهكذا. لم نستطع إيجاد شيء هامّ».

وقفت بترا وجمال عند الباب، فدعاهما شوبيرغ للدخول.

أعلن جمال قائلاً: «لا تملك كاثرين لارسن خطّ هاتف محمول».

تابعت بترا: «بالنسبة إلى اتّصالاتها الهاتفية، كلّها تمّت مع دار الحضانة ومع فيدا يوهانسن، على الخطّين الأرضي والمحمول. أمّا الاتّصالات الواردة، فهي من مركز طبّ الأطفال، وطبيب الأسنان، والحضانة، وفيدا بالطبع، بالإضافة إلى عدد من الزبائن الواردين على

telegram @ktabpdf

القائمة التي أعطتنا إيّاها فيدا. ولا أحد يحمل اسم إريك».

قـال شـوبيرغ: «عليكمـا الاسـتمرار بتفنيـد هـذه الاتّصالات، لا سـيّما الحديـث منهـا. فبمـا أنّ كاثرين لا تملك شـبكة معارف كبيرة، من المحتمل أن يظهر إريك خلف أحد الأرقام. ربّما كان يعمل في مركز طبّ الأسنان أو الأطفال؟»

التفت شوبيرغ إلى ساندين قائلاً: «هل وجدت الوقت للاتّصال بالزبائن الواردين على اللائحة؟»

نفى ساندين بهزّة من رأسه.

«لقد اسـتغرقت وقتاً للعثور على مترجم، لكنّني سـأهتمّ بذلك. فهـم ليسـوا كثراً، وأظنّ أنّه مـن الأفضل الذهاب لرؤيتهم شـخصياً. وكما سـبق وقلت، قد نعثر على الرجل الذي نبحث عنه خلف أحد هؤلاء الأشخاص. لذلك أفضّل استجوابهم وجهاً لوجه».

وافقه شـوبيرغ قائلاً: «حسـناً، خذ بترا معك. وأنت جمال، تولّ التدقيق في كلّ ما يتعلّق بالاتّصالات، وحاوِل أن تعرف ماذا قيل فيها».

قـال سـاندين بنبـرة لاذعـة، والبسـمة تعلو شـفتيه: «أمّـا حضرة المفوّض، فهو غارق حتّى أذنيه بكلّ تأكيد».

أخبرها شوبيرغ بسرعة أنّه لم يجد شيئاً غير اعتيادي في الحسابات الخاصّة ليوهانسـن أو لشـركة الزوج. حاول سـاندين أن يبقى صامتاً، لكنّ العبوس الطفيف فوق حاجبيه كشف شيئاً من الدهشة.

«سأتولّى الأبحاث حول الزوجة الأولى لكريستر لارسن». نهض شوبيرغ ليعلن اختتام الاجتماع قائلاً: «هل من شيء آخر؟»

غادر جمال وبترا الغرفة، لكنّ ساندين لم يبارح مقعده.

قال: «أنت تخفي شيئاً».

جلس شوبيرغ متنهّداً. تراجع المقعد قليلاً إلى الوراء، لكنّه أعاده

إلى مكانه، وأسند ذقنه على يديه، ومرفقيه على الطاولة. أخذ يطرق بأصابعه على صدغيه. لاحظ ساندين بوضوح وجود خطب ما، لكنّ شوبيرغ لا يرغب في إخبار زميله عن زيارته لمنزل إريكسون. ليس فوراً، على أيّ حال. فإينار سيظهر حتماً في الأيّام القادمة، ولا داعي لتوريط زملائه في عمليّة البحث التي أجراها. هكذا قرّر الانتظار حتّى صباح الجمعة ليحدّثه عن ذلك.

قال ساندين بنبرة ودّية أكثر منها فضولية: «لقد تغيّبتَ طوال فترة الصباح تقريباً».

لم يستسغ شوبيرغ المنحى الذي اتّخذه الحديث. فقد شكّ فوراً أنّ ساندين يودّ التدخّل في حياته الخاصّة. هل يظنّ أنّ لقلقه علاقة بمارغيت؟ رفض شوبيرغ المضيّ قُدماً في هذا النوع من التخمينات، وقرّر تحويل مجرى الحديث.

قال وهو يرفع إصبعه مؤكّداً جدّيته: «ما سأقوله يجب أن يبقى بيننا».

أجاب ساندين بدهشة: «بالطبع. لكن إن كنت لا تريد، لست مضطرّاً إلى الكلام...»

أكّد عليه شوبيرغ: «لن تذكر كلمة واحدة عن ذلك لأيّ كان».

وافق ساندين بهزّة من رأسه.

همس شوبيرغ بصوت منخفض: «لقد ذهبت إلى منزل إينار». في الوقت نفسه ألقى نظرة على الباب الذي ما زال مفتوحاً على الممرّ.

حرصاً منه على عدم المجازفة، نهض وأغلقه. تبعه ساندين بنظرة مليئة بالتسلية.

قال شوبيرغ: «هذا ليس مضحكاً. لقد مضت ثلاثة أيّام على غيابه من دون أيّ خبر. حتّى إنّه لم يتّصل بأحد. وبحسب الإدارة، ليس

في إجازة مرضية، كما أنّه لم يطلب عطلة».

سأله ساندين: «إذاً، ما هو تفسيره؟»

«لم يكن في بيته! وما زلت أجهل مكانه. تكلّمت مع أحد جيرانه، فأخبرني أنّ إينار يخرج بسيّارته صباح كلّ سبت ويعود في المساء. وهذا ما فعله يوم السبت الماضي، لكنّ جاره لم يره عائداً. لكن لا شكّ أنّه رجع، لأنّ سيّارته عادت إلى الموقف. وهذا يسمح لنا باستبعاد احتمال تعرّضه لحادث سير».

قال ساندين: «لا شكّ أنّه في بيته، لكنّه لا يرغب في التحدّث معك».

«انتظر لتسمع الباقي. سألتُ الجار ما إذا كان إينار يصطحب زوجته معه في جولته يوم السبت، فضحك وأكّد لي أنّ إينار إريكسون ليس متزوّجاً. ألم تكن تظنّه متزوّجاً، أنت؟»

فكّر ساندين بضع لحظات قبل أن يجيب: «بلى في الواقع، فقد ذكر زوجته عدّة مرّات، مع أنّه لم يتحدّث عنها أبداً. على أيّ حال، هو لا يتحدّث عن حياته الخاصّة. لكنّني واثق أنّه يضع خاتم زواج».

«لقد اقتحمتُ منزله، ينس».

فغر ساندين فاه متعجّباً.

«فتحت الباب بمفتاح لكلّ الأقفال».

«لكنّ هذا ممنوع! في قضية كهذه، يطلب الناس الشرطة!»

«لكن تبّاً، ماذا كنت تريدني أن أفعل؟ الرجل لا يعرف أحداً، كما أنّه لا يملك أسرة».

«ليس لديه زوجة إذاً؟»

«بلى، لديه زوجة، لكنّها في مصحّة في فيلينغزبرو، إن كان هذا الاسم يعني لك شيئاً، وذلك منذ زمن طويل. فقد وجدتُ فواتير

لإقامتها هناك ترجع إلى عشر سنوات على الأقلّ. عشر سنوات! أصبحت أفهم الآن سبب كآبته!»

«إذاً، قمت بتفتيش شقّته. هذا فظيع جدّاً، كوني».

«لم يكن بيدي حيلة. فعلت ذلك من أجله. لا يمكننا أن نترك إينار يختفي هكذا، فنحن من الشرطة في النهاية. من غيرنا سيساعده إن كان في ورطة؟»

«لكنّك بالغتَ بعض الشيء...»

«كلاّ. فصحف يوم الأحد ما زالت على أرض المدخل. هذا يعني أنّه مختفٍ منذ أربعة أيّام. ولو كان ثمّة من يهتمّ لأمره، لأبلغ عن غيابه منذ أيّام».

علّق ساندين قائلاً: «لا تكن متشائماً إلى هذا الحدّ».

نظر إلى النافذة، وغلبه إحساس بالكآبة. في الخارج، تساقط الثلج في حبّات كبيرة، وضاعف من تجهّم الشتاء الطويل. لزم الرجلان الصمت للحظة.

أخيراً سأله شوبيرغ: «هل كنت تعرف أنّه يلعب الغولف؟»

نفى ساندين بهزّة من رأسه.

«ربّما كان يلعب في الماضي، فالحقيبة ليست جديدة».

«أين يقطن؟»

«هناك». أشار شوبيرغ برأسه باتجاه شارع إريكسدالسغاتان. «في شقّة صغيرة، نظيفة ومرتّبة. وبمفرده، من دون زوجة. تحتوي الغرفة على سرير، ويوجد أمام الطاولة في غرفة الطعام كرسي واحد. وعلى أحد الجدران، عُلّقت صورة الزفاف. يبدو فيها العريسان جميلان وسعيدان جدّاً».

قال ساندين بجدّية: «هذا لا يصدّق».

telegram @ktabpdf

«لا تتفوّه بكلمة عن ذلك. تابع ما عليك فعله، وسأرتّب أموري لأهتمّ بذلك بالإضافة إلى التحقيق الذي بين يدينا».

وافق ساندين وغادر الغرفة.

* * *

لم تتزوّج زوجة كريستر لارسن الأولى مرّة أخرى أبداً. بعد طلاقهما، استعادت شهرتها لما قبل الزواج وأصبح اسمها مجدّداً إنغيغيرد ريدن. ومن محاسن الصدف أنّها تقطن في أربوغا. عندما علم شوبيرغ بذلك، قرّر أنّ عليه ربّما أن يتكبّد عناء الذهاب لاستجوابها في منزلها.

غير أنّه بدّل رأيه على الفور. فهذا ليس على الأرجح سوى عذر للذهاب إلى المنطقة واستيضاح قصّة قطعة أرض تعذّبه. ألا يكفيه ما لديه من الهموم حاليّاً، مع جريمة ثلاثية وزميل له تبخّر في الهواء.

مع ذلك، اتّصل برقم إنغيغيرد ريدن، من دون أن يتلقّى جواباً. عندئذٍ قرّر مغادرة مكتبه. مرّ من أمام مكتب إريكسون، وألقى نظرة على الداخل، كما فعل عدّة مرّات خلال الأيّام الماضية، من دون أن يجد أيّ أثر لزميله. جال بنظرة سريعة على الممرّ، ولم يره أحد عندما دخل بتردّد إلى الغرفة المعتمة. سرعان ما استعاد ثقته، فأغلق الباب خلفه، وأضاء مصباح النيون في السقف. ومض المصباح قليلاً قبل أن يغرق المكتب بضوء أبيض. كما يفعل شوبيرغ في مكتبه، سرعان ما أضاء المصباح الموضوع فوق الحاسوب وأطفأ مصباح السقف. بعد ذلك، تفحّص بنظره الإضبارات المصفوفة على الأرفّ المحاذية للمكتب، من دون أن يجد شيئاً غير عادي. كان كرسي زميله موضوعاً بعناية بمحاذاة المكتب. عندما سحبه إلى الخلف، لاحظ أنّه مزوّد بدواليب، لكن من دون ذراعين، خلافاً لكرسيّه. تساءل ما إذا

كان السبب يرجع إلى منصب زميله الأدنى، أم أنّ إريكسون يفضّل ببساطة مقعداً بلا ذراعين. جلس عليه بحذر. ها هو يتعدّى مرّة أخرى على ممتلكات إريكسون الخاصّة، الأمر الذي أزعجه مجدّداً، وسبّب له تقلّصاً في معدته.

لم يكن المكتب يقلّ ترتيباً عن مكتبه. فقد اصطفّت الوثائق بعناية على الجهة اليمنى، وأشار كلّ ملصق إلى أنّ الوثائق تتعلّق بقضايا جارية. في الدرج الواقع من الجهة نفسها، لم يجد سوى لوازم مكتبية: أقلام، ومحايات، ودبّاسة، وشريط لاصق، ومقصّ، وعلبة مشابك زاهية الألوان، وعدد من الدفاتر الصغيرة بأحجام مختلفة. وجد الدرجين السفليّين خاليّين، لكنّ الثالث يحتوي على ملاحظات أُخذت خلال اجتماعات العمل التي نظّمها شوبيرغ. في الدرج التالي، وجد شاحن هاتف خلوي، وعدداً من الأقراص المدمجة الفارغة، فضلاً عن مصباح يدوي. كان الدرج الثالث مقفلاً بالمفتاح. غير أنّ شوبيرغ لم يستغرق سوى بضع دقائق ليفتح القفل بواسطة أحد المشابك.

انصبّ اهتمامه أوّلاً على بطاقة تحمل عدّة رموز من بنك نورديا برزت من غلاف بلاستيكي. تناولها وتفحّصها وهو يحكّ دماغه. هل كان إريكسون يسدّد فواتيره في المكتب؟ في النهاية، ما من شيء غير اعتيادي في ذلك. فإينار إريكسون يمضي معظم وقته أمام الكمبيوتر. ومن الطبيعي جدّاً أن يدير حساباته من هنا. على أيّ حال، لم يرَ شوبيرغ حاسوباً في منزله. ألقى نظرة على الحاسوب، الموضوع أمامه، ومن ثمّ على البطاقة التي يحملها. لم يكن إريكسون قد حكّ سوى رمزين من أربعة أرقام. وما زال لديه عدد لا بأس به من الرموز.

قرّر شوبيرغ الذهاب حتّى النهاية، فجلس أمام حاسوب إينار.

telegram @ktabpdf

أشار الزرّ الأخضر والهدير الصادر من تحت الطاولة إلى أنّ الجهاز شغّال. فحرّك الفأرة لتنشيط الشاشة، ليظهر أمامه إطار يحمل اسم «إينار» أمام خلفية زرقاء سماوية. لم يتأمّل كثيراً عندما ضغط عليه ووجد نفسه كما هو متوقّع أمام طلب لكلمة مرور. تنهّد شوبيرغ وغرق في مكتبه. كما هو متوقّع، لم يعد حاسوب إريكسون موصولاً. فبعد ثلاثين دقيقة من عدم الاستخدام، انتهت الجلسة من تلقاء نفسها.

شبك يديه خلف عنقه ونظر حوله. لاحظ أنّ المكتب لا يحتوي على أيّ لمسة شخصية. فكلّ شيء محايد هنا، مثل إريكسون. كانت الغرفة أصغر بقليل من غرفة مكتبه. وباستثناء حائط المدخل، والحائط الذي ثُبّتت عليه الرفوف، وحائط النافذة، لم يجد ما يمكن تزيينه. ولم يكن على الحائط أيّ شيء باستثناء سترة معلّقة بخطّاف.

تراجع بمقعده إلى الخلف، وعاد يفتّش الدرج الأخير. تحت كومة من الكتب القديمة، وجد كأساً معدنياً نُقش عليه « CESP – الشعبة الأولى – 1976». من الواضح أنّه كأس كرة قدم. ذلك أنّ النقش الموجود على القاعدة يصوّر رجلاً صغيراً، كتف ذراعيه بفخر على صدره، ووضع قدمه اليمنى على كرة قدم. استنتج شوبيرغ أنّها جائزة فاز بها فريق الشرطة في إحدى المباريات. لم يكن شوبيرغ يملك أدنى فكرة عن المنصب الذي احتلّه إريكسون في تلك الفترة. لكن من الواضح أنّ إينار كان شخصاً رياضياً، يمارس رياضتي الغولف وكرة القدم، وهو أمر يصعب تخيّله اليوم. لم يكن إريكسون يبدو رجلاً هرماً، على عكس كثير من الرجال في سنّه. لكن للوهلة الأولى، لا يبدو عليه أنّه يتمتّع بالصحّة، نظراً إلى بشرته الشاحبة دائماً، ووقفته الرديئة، وعينيه المحاطتين بالهالات السوداء، دليل على قلّة النوم.

أعاد الكأس إلى الدرج وتناول إحدى الإضبارات. كانت تحتوي

على فواتير على ما يبدو. وجد فيها إيصال إيجار للدفع يتعلّق بشقّة إريكسدالسغاتان، وفاتورة هاتف الشقّة بمبلغ لا يُذكر، فضلاً عن الدفعة الشهرية الشهيرة المستحقّة لمصحّة سولبيرغا. خطرت في باله فكرة مفاجئة. فدفع كرسيّه إلى أمام الكمبيوتر، الذي لا تزال شاشته مضاءة. كتب اسم «سولفاي» في الإطار المخصّص لكلمة المرور، وسرعان ما عرف أنّه عثر على ضالّته.

أخذ نبضه يتسارع وهو ينقر نقرة مزدوجة على محرّك البحث، قبل أن يدخل إلى الصفحة الرئيسة لنورديا، ومنها إلى الخدمة المصرفية عبر الإنترنت المخصّصة للأفراد. طلب منه الموقع رقم التعريف الشخصي وكلمة مرور. فاستخدم الأرقام التي زوّدته بها موظّفة المحاسبة، وتدبّر أمره مجدّداً باستخدام اسم «سولفاي» ككلمة مرور، ثمّ أدخل أحد الرموز المؤلّفة من أربعة أرقام والموجودة على البطاقة. واصل الحظّ الابتسام له، وحصل على كشف حساب مفصّل لإريكسون. سرت رعشة في جسده من رأسه إلى أخمص قدميه. وبدأ بالتدقيق في الحركة المصرفية لزميله خلال العام الماضي.

كان يتلقّى كلّ شهر حوالة بمبلغ 5.500 كرونا من صندوق التأمين الصحّي، وذلك كبدل طبابة لزوجته من دون شكّ. كان ينال أيضاً راتباً بقيمة 20.000 كرونا. من هذا المبلغ الشهري، يتمّ تحويل 11.500 كرونا إلى حساب المصحّة التي تقيم فيها زوجته، و4.500 كرونا كبدل إيجار، و2.500 كرونا كرسوم ثابتة أخرى، ليتبقّى لديه 7.000 كرونا كنفقات يومية. لم يكن يملك بطاقة ائتمانية مرتبطة بحسابه الجاري. ولا يبدو أيضاً أنه أخذ قرضاً ويقوم بتسديده. كان الوضع المالي لإينار إريكسون واضحاً كالشمس. فموارده تتوافق تماماً مع حاجاته، ولا يدّخر شيئاً.

تأكّد شوبيرغ أنّ زميله يستخدم الآلة الطابعة نفسها التي يستخدمها هو، قبل أن يقوم بطباعة كلّ المستندات. بعد ذلك، خرج من موقع المصرف وأعاد الكمبيوتر إلى حالة الاستعداد. أرجع البطاقة وإضبارة الفواتير إلى الدرج المخصّص لها، ثمّ أعاد إقفاله بالمشبك، وأرجع الكرسي إلى تحت المكتب، تماماً كما كان عند دخوله. أطفأ المصباح، وتلمّس طريقه إلى الباب، قبل أن يخرج بسرعة إلى الممرّ.

ذهب فوراً إلى الآلة الطابعة الموجودة بجانب آلة القهوة. لكن عوضاً عن انتظار خروج كلّ الصفحات، راح يتناولها واحدة تلو الأخرى من دون أن يخاطر بافتضاح أمره أمام أحد. ما إن أصبحت كلّ المستندات بيده، حتّى طواها على بعضها، ودسّها في جيب سرواله الخلفي.

* * *

هبّ الهواء بقوّة، وغطّت السحب سماء المدينة إيذاناً بهطول الأمطار قريباً على أهالي ستوكهولم الذين جمّد البرد أطرافهم أساساً. ومع أنّ الساعة لم تتجاوز الثالثة عصراً، إلاّ أنّ الوقت بدا أقرب إلى المغيب.

دسّ جمال يديه في جيوبه، ومشى خافضاً رأسه بين كتفيه. لكنّ برودة الجوّ لم تكن مسؤولة عن ذلك بقدر ما كان مزاجه هو السبب. فما يستعدّ لفعله ليس قليلاً. إمّا أن ينجح أو يفشل، ومن المحتمل جدّاً أن يعود خالي الوفاض إلى قسم الشرطة. لكن لا بأس، فقد اختار ذلك. وعلى أيّ حال، فاستئناف التحقيق يفيده جدّاً. فعندما يفكّر ببترا وهي تدخل من دون حتّى أن تعيره أيّ انتباه، ينزعج كثيراً. كان جوّ المكتب فاتراً جدّاً، ولا يدري لماذا يغيظه ذلك.

بدأ كلّ شيء منذ ستّة أشهر، عندما أمضيا هو وبترا الأمسية

يهذيان في مقهى بيليكان. كالعادة، تكلّما كثيراً، في جوّ جامح وودّي في آن. كانت الساعة قد أشرفت على منتصف الليل عندما قرّر العودة. فعرضت عليه مواصلة السهرة في مكان آخر، لكنّه رفض الدعوة بحجّة أنّ لديه مباراة غولف في اليوم التالي، وعليه الاستيقاظ باكراً. لم يكن ينوي إخبار أحد أنّ شريكته في الغولف كانت بيلا هانسن، التي تنتظره علاوة على ذلك في سيّارتها على بعد بضعة شوارع من هنا. ولا حتّى بترا. لكن من الممكن أن تكون قد فهمت وجود علاقة بينهما، وكان هذا صحيحاً. فقد بدأت الأمور بينه وبين بيلا كنوع من المنافسة، إذ تواجها في مباراة بولينغ، وغولف، وتنس، وهلمّ جرّاً. مع الوقت، تحوّلت الصداقة إلى علاقة قصيرة، سرعان ما انتهت. لكن ربّما ما زالت مستمرّة في عقل بترا. إذ أنّها منذ ذلك الحين لم توجّه له كلمة محبّبة. ولم يجد جمال أيّ تفسير لذلك سوى الغيرة.

مع ذلك، لم تعره أبداً اهتماماً على نحو شخصي أكثر. ربّما يرجع الأمر إلى أنّه كان متزوّجاً منذ وقت غير بعيد. لكن لا بدّ أنّها لاحظت أنّه لا ينظر إليها مثل الآخرين. وبما أنّها لا تعطيه الأمل أبداً، لا يمكن أن تتوقّع منه أن يعيش حياة الرهبان. أم أنّ هذا ما تريده بالضبط؟ الاستحواذ عليه وعدم السماح له بإقامة علاقات أخرى؟

غير أنّ العقوبة التي ألحقتها به بترا على تجاوُزِ قوانينها غيرِ المعلنة قاسيةٌ جدّاً. المقاطعة، والصمت، والنظرات الحادّة كلّما تسنّت لها الفرصة، وذلك بشكل خفيّ لكنّه مؤلم. إنّها شرور النساء، ولا علاقة لهذه الأعمال ببترا التي يعرفها. من الواضح أنّه ارتكب بنظرها خطأً جسيماً بما فيه الكفاية ليعتبر نفسه محظوظاً لأنّها لم توجّه له لكمة في وجهه. علماً أنّ هذا العقاب لن يكون سيّئاً تماماً، لأنّ الأمور ستكون أكثر وضوحاً.

telegram @ktabpdf

الأسوأ هو أنّها كلّما أساءت معاملته، رغب في استعادتها أكثر. هذا جنون، قال ذلك في نفسه وهو يفتح قفلاً معقّداً.

* * *

بعد أن شدّ على قبضة الباب عدّة مرّات، أدرك وجود قبضة ثانية على مستوى رأسه. إنّه تدبير أمني آخر لمنع الأطفال من الخروج في لحظة غفلة من الموظّفين. دخل، وأغلق الباب خلفه جيّداً، ثمّ ترك حذاءه بعناية بجانب صفّ أحذية الأطفال.

عندما نظر إلى الأعلى، كان اللوح المعلّق على الحائط هو أوّل ما لفت انتباهه. فقد عُلّقت عليه صور طفلي كاثرين لارسن، وزُيّنت بأزهار ورقية صغيرة من كلّ الألوان.

أُضيفت إلى ذلك جملة كُتبت بأحرف ذهبية: «توم ولين، نحن نفتقد إليكما»، وكتب الأطفال أسماءهم تحتها. أحسّ جمال بغصّة بينما انخفض نظره إلى إناء من الأزهار يزيّن الطاولة المنخفضة الموضوعة تحت اللوح تماماً وتحيط به ألعاب من القماش على شكل حيوانات.

دخل إلى الغرفة على رؤوس أصابعه لكي لا يقاطع الأنشطة الجارية. كان ثمّة امرأة من سنّه تقدّم عرضاً للدمى. وقفت مديرةً ظهرها إليه، واختفت حول لوحة من الخشب الرقائقي المزوّدة بثقب على مستوى وجهها. حرّكت بإحدى يديها دمية على شكل تمساح وبالأخرى ملكاً. كانت الشخصيتان تتكلّمان بحماسة وتضحكان بأصوات مرحة. جلس الأطفال على الأرض أمام اللوحة، وراحوا يتابعون المشهد بعيون واسعة وصمت تامّ، إلى أن أطلق التمساح تعليقاً جعلهم ينفجرون ضاحكين. استغلّت المدرّسة تلك اللحظة لكي تستدير نحو جمال، وتتفحّصه بنظراتها، قبل أن تسأله بصوت

منخفض: «هل أنت من الشرطة؟»

تساءل ما إذا كان الأمر واضحاً إلى هذا الحدّ، غير أنّه أكّد لها ظنّها. أشارت له بعينيها إلى مكان ما خلفه، وحرّكت رأسها بذاك الاتجاه.

همست قائلة: «مود في المطبخ تغسل الصحون، اذهب وتحدّث إليها». ثمّ عادت لمتابعة المسرحية.

غادر الغرفة وذهب بالاتّجاه الذي أشارت إليه. تتبّع أصوات الأطباق، وسلك ممرّاً يقود إلى المطبخ. وقفت أمام حوض الجلي امرأة قصيرة الشعر، ترتدي سروال جينز وقميصاً قطنياً ذا أكمام طويلة رفعتها إلى الأعلى، وبدت في العقد السادس من عمرها تقريباً. كانت مستغرقة في أفكارها بحيث لم تلاحظ جمال عندما دخل إلى المطبخ. تنحنح هذا الأخير، وأخرج بطاقة الشرطة.

اعتذرت قائلة: «آه، لم أسمعك تدخل». ثمّ تركت الاسفنجة وكوب البلاستيك الذي كانت تغسله، وجفّفت يديها على بنطالها.

«عذراً على الإزعاج». قال لها جمال ذلك وهو يرفع بطاقته باليد اليسرى، ويصافحها بالأخرى. «جمال حمد، من فرقة مكافحة الجريمة في هاماربي».

صافحته وعرّفت عن نفسها باسم مود فالاندر، ثمّ أشارت إلى طاولة المطبخ.

تنهّدت وهي تجلس على طرف كرسيّ: «الاضطراب يعمّ هذا المكان».

حذا جمال حذوها، ثمّ قال بتعاطف: «أنا أفهم ذلك، ويؤسفني حقّاً ما جرى».

قالت وهي تهزّ رأسها باستسلام: «يفضّل المرء البقاء في منزله

telegram @ktabpdf

والبكاء في السرير، لكنّنا مضطرّون للمجيء إلى هنا، أنا وزميلتيّ، من أجل الأطفال. كلّهم هنا تقريباً. تناقشنا في الموضوع، كما تحدّثنا مع الأهل، ووجدنا أنّ الحلّ الأفضل هو التحدّث عن المسألة مع الأطفال، وشرح الأمور لهم».

«رأيت اللوحة المعلّقة في المدخل. إنّها جميلة جدّاً».

أحسّ بالدموع تتزاحم في عينيه، فحاول إبعادها برفّ جفنيه».

«صنعناها هذا الصباح مع الأطفال، لجعل الحداد ملموساً».

«كيف فهموا هذه المأساة؟»

«ما زالوا صغاراً. معظمهم لم يدرك ما جرى بعد. فنحن لم نعطهم تفاصيل... عن كيفيّة وقوع الجريمة. لكن لا بدّ من إخبارهم... وعلى أيّ حال، سيسمعون الكثير من هنا وهناك. فاكتفينا بإخبارهم أنّهم قُتلوا على يد رجل شرّير قام بطعنهم. بطبيعة الحال، شعروا بالخوف. فهم يخشون أن يحدث ذلك لهم هم أيضاً».

أخذَت نفساً عميقاً قبل أن تتابع: «طرحوا كثيراً من الأسئلة، وبكى بعضهم. فأخذنا نعانقهم، وتحدّثنا كثيراً عن توم ولين بشكل إيجابي. أخيراً، بدأ الأطفال يتقبّلون الأمر. غير أنّ الوضع كان أسوأ بالنسبة إلى أولياء الأمور، وكذلك بالنسبة إلينا نحن أيضاً».

صمتت، ولم يدرِ جمال ماذا يقول. جلسا بصمت للحظات، قبل أن يُفتح باب الصفّ المجاور فجأة ويُغلق بصوت عالٍ. فأُجفلت المربية.

سألته: «هل توفّرت لديكم معلومات أوّلية؟»

«مع الأسف، لا يمكنني الإجابة على هذا النوع من الأسئلة. فنحن لم نوقف أحداً بعد، لكن اعلمي أنّ هذه القضية هي على رأس أولويّاتنا. وبالطبع، سنخبركم بالمستجدّات لاحقاً».

«إنّها قصّة جنونية، وغير منطقية على الإطلاق».

وافقها جمال.

تابعت تقول: «سمعت بطفل مرض ومات، أو قُتل في حادث، لكن مجزرة من هذا النوع...»

هزّت رأسها مجدّداً غير مصدّقة.

«حسناً، ماذا تريد أن تسألني؟»

أحسّ جمال بقشعريرة تسري في جسده.

«لديّ في الواقع، سؤال واحد».

* * *

بعد أن أنهى شوبيرغ تحقيقاته المحفوفة بالمخاطر في مكتب زميله، أحسّ بزوال التوتّر، لكنّ ألم رأسه عاوده. حاول تهدئته بكوب كبير من الماء وبعض البسكويت الذي أحضره من المطبخ. ثمّ أخذ كلّ شيء إلى مكتبه وجلس أمام الكمبيوتر. لم يجدِ هذا العلاج نفعاً، بل ازداد الألم سوءاً. فألقى نظرة متعبة على الشاشة السوداء. تردّد بعض الشيء، غير أنّه قرّر أخيراً تجاوز خطّ أحمر آخر.

دخل قاعدة البيانات المركزية للجرائم والجنح، وبدأ بحثاً عن إينار إريكسون، مستخدماً رقم التعريف الشخصي الذي حفظه الآن عن ظهر قلب. كان يعرف أنّ هذا النوع من لأبحاث قد يتمّ اكتشافه، وقد يُحرم إلى الأبد من حقّ دخول قاعدة البيانات بسبب طبيعته الاحتيالية. حتّى إنّ هذا العمل قد يعرّض منصبه كمفوّض وحتّى كشرطي للخطر. حاول شوبيرغ أن يهدّئ نفسه بالقول إنّ هذه الجريمة متواضعة إلى حدّ ما مقارنة بما أقدم عليه خلال النهار: دخول منزل زميله عنوة، والوصول غير المشروع إلى بيانات كمبيوتر خاصّة. لكنّ قلقه هذه المرّة كان مختلفاً لأنّ هذه الجنحة قد تُكتشف

telegram @ktabpdf

فعلاً. في نهاية المطاف، اكتشف بسرور أنّ إينار إريكسون لا يملك سجلاً جنائياً. بقي له أن يأمل ألاّ يُقدم زميله على رفع دعوى ضدّه.

من دون أن يفهم السبب تماماً، اتّصل بعد ذلك بخدمات الأحوال المدنية. عرّف عن نفسه على أنّه مفوّض في الشرطة، فطلب منه الموظّف المعنيّ إغلاق الخطّ لكي يتّصل به. رنّ هاتفه بعد بضع دقائق، وحصل شوبيرغ على كلّ المعلومات الممكنة عن إينار إريكسون وزوجته، غير أنّها لم تكن هامّة في النهاية. أخذ بعض الملاحظات في أثناء المحادثة، ثمّ قرأها لاحقاً. كان إريكسون طفلاً وحيداً، ولم يعد والداه على قيد الحياة. هو متزوّج بالفعل من سولفاي إريكسون، وشهرتها قبل الزواج يونسون. وُلدا في العام نفسه. وهي الأخرى لا تملك أشقّاء أو شقيقات، كما أنّ والداها فارقا الحياة. تزوّجا عام 1976، ولم يُرزقا بأطفال، وتعيش سولفاي في العنوان نفسه مع زوجها. غيّر إريكسون عنوانه في أبريل 2006، إذ غادر منطقة هودينغي السكنية الواقعة في ضواحي ستوكهولم، لكي يستقرّ في الشقّة التي ما زال يقطن فيها في إريكسدالسغاتان. عاش إريكسون في هودينغي منذ عام 1980، وكان يقيم قبل ذلك في أربوغا.

هذه الملاحظة الأخيرة ذكّرت شوبيرغ أنّ عليه أن يحاول التحدّث مع إنغيغيرد ريدن، زوجة كريستر لارسن الأولى. فرفع سمّاعة الهاتف، وطلب رقمها، من دون أن يحصل على جواب مجدّداً. رنّ الهاتف عشر مرّات، قبل أن يغلق الخطّ.

تنهّد شوبيرغ، ثمّ شبك يديه خلف عنقه، وأدار الكرسيّ باتجاه النافذة. مدّ ساقيه أمامه، واستند إلى ظهر الكرسيّ. يبدو أنّ الربيع سيتأخّر. ففي تلك اللحظة، راحت حبّات الثلج تتراقص أمام النافذة، والرياح تهبّ بقوّة. باستثناء أشعّة الشمس الربيعية، لم تكن تلوح في

الأجواء أيّ بشائر للربيع، ما لم يكن هو الذي لم يلاحظ. هذا الصباح، عندما غادر شقّته في سكونيغاتان، كان مقياس الحرارة الخارجي يشير إلى 5- درجات مئوية، وما زالت قناة هامساربي مكسوّة بالجليد، وإن كانت القوارب تسلك ممرّاً تمّ حفره في الوسط.

كان ذهنه «مجمّداً» في هذه اللحظة. فهو لم يعد يعرف نفسه. كيف يُقدم على خيانة زوجته الحبيبة أوسا بهذا البرود؟ صحيح أنّه لم يفعل ذلك سوى بضع مرّات، لكن مع المرأة نفسها، الأمر الذي يجعل من ذلك علاقة غرامية، وليست مجرّد نزوة عابرة. أراد أن يقنع نفسه أنّه يخجل من أفعاله، لكنّه لم يكن يشعر سوى بعدم المبالاة. فقد طغى البرود على الخجل. اعتبر ما حدث أمراً حتمياً، ونظر إليه من مسافة فاجأته. ربّما عليه استشارة أحد، أخصّائي يفسّر له حلمه المتكرّر، ويعبّر بالكلمات عن مشاعره، ويدفعه في الاتجاه الصحيح. وربّما كان من الأفضل أن يجد شخصاً يحثّه على أن يكفّ حالاً عن رؤية هذه المرأة. كرّر في نفسه «هذه المرأة». لقد ذهبت الأمور بعيداً إلى حدّ أنّه أصبح يشير إلى مارغيت بهذه العبارة، ويلقي عليها كامل المسؤولية في تلك المغامرة.

تنهّد مجدّداً. لقد تمّت إبادة أسرة بأكملها، واختفى إينار. ولم يتمكّن لا هو ولا زملاؤه من التقدّم في هاتين القضيتين. شعر بالعجز، وتساءل كيف يسمح لنفسه بالتفكير في همومه. فجأة، خطرت في باله صورة. تخيّل إينار وهو يستيقظ كلّ صباح وحيداً في شقّته الصغيرة، مع أنّه متزوّج منذ أكثر من ثلاثين عاماً. إينار الذي يجاهد كلّ صباح للذهاب إلى عمل من الواضح أنّه غير راغب فيه. لكنّها الوظيفة التي يجيدها، والتي لا يستطيع الاستغناء عنها من أجل الإنفاق على إقامة زوجته في المصحّة. أدرك فجأة أنّه لكي يضحّي إينار إريكسون بمبلغ

كهذا، لا شكّ أنّه يحبّ زوجته حقّاً، على الرغم من مرضها ومن البؤس الذي نتج عن ذلك. فهو لم يضعها في أيّ مكان، بل في دار يسمّى «لؤلؤة بيرغسلاغن»، الواقعة وسط مناظر طبيعية فريدة من نوعها. ولم يتخلَّ عنها أبداً، بل ثابر على زيارتها صباح كلّ سبت، وقام بهذه الرحلة إلى فيلينغزبرو من دون انقطاع.

اعتدل شوبيرغ في مقعده، وركّز مجدّداً على الكمبيوتر. مرّر أصابعه على لوح المفاتيح، ثمّ دخل الصفحة الرئيسة لدليل الصفحات الصفراء. نقر على زاوية «الخرائط» ووجد الخارطة المتعلّقة بمقاطعة فيتسمانلاند، حيث تقع بلدة فيلينغزبرو الصغيرة. كانت موجودة خارج أربوغا تماماً، على طريق ليندسبيرغ. فهم على الفور لماذا وضع إريكسون زوجته المريضة في هذا المكان على وجه التحديد، لأنّها ولدت هناك. أراد أن تتمّ رعايتها، إن كان يمكن الحديث عن الرعاية في المكان الذي أمضت فيه طفولتها. مرّة أخرى ازداد تقدير شوبيرغ لإينار إريكسون. لكن لماذا قرّر زميله مغادرة المنطقة في النهاية؟

أخرجته من أفكاره طرقة خفيفة على الباب، فأشار شوبيرغ لجمال بالدخول. كان هذا الأخير يرتدي سروالاً من الكتّان، وحزاماً عريضاً، وقميصاً أزرق. عندما اقترب من ضوء مصباح المكتب الخفيف، لمعت عيناه السوداوان على نحو يعرفه شوبيرغ جيّداً. إنّها علامة حماسته، لا بدّ أنّ جمال توصّل إلى شيء ما. مع ذلك، اقترب بهدوء، ولم يرَ شوبيرغ ابتسامة الرضى الذاتي التي تعلو وجه جمال عادة عندما يكتشف شيئاً. دعاه إلى الجلوس. فتنحنح، لكنّه لم يقل شيئاً.

بادره شوبيرغ قائلاً: «كيف سارت الأمور؟»

«لا شيء في عيادة الأسنان ولا في مركز طبّ الأطفال. لم

تقصدهما الأسرة سوى لإجراء فحوص روتينية، ولا يوجد من يدعى إريك بين الموظّفين».

سأله شوبيرغ بنبرة أكثر قسوة: «ماذا إذاً...؟»

«ماذا تعني؟»

«من الواضح أنّك وجدت شيئاً».

تنهّد جمال، ولم يستطع شوبيرغ أن يقاوم الابتسام، مع أنّ زميله بقي مكفهّراً. ترك نظرته القلقة تهيم في الغرفة.

«ستلومني».

ضحك شوبيرغ متسائلاً: «ألومك؟ لم ألمك يوماً على أيّ شيء. هيّا، أخبرني!»

«أعترف أنّ ما سأقوله ليس منطقياً، لكنّه مجرّد حدس».

أجابه شوبيرغ من دون أن تفارقه الابتسامة: «كنت أعتقد أنّني الوحيد الخبير في هذه المسألة. أمّا أنت، فيُفترض أن تكون الشخص العقلاني في الفريق».

«فكرتي ليست غير منطقية تماماً».

«هيّا، انطق الجوهرة».

اعتدل جمال في جلسته، فلاحظ شوبيرغ مدى توتّره. لم يسبق أن رآه على هذه الحال من قبل.

«كوني، هل تذكر الكنزة المعلّقة في مدخل كاثرين لارسن؟»

سرت رعشة باردة في جسد شوبيرغ. وفهم فجأة ما يوشك جمال على قوله، مدركاً أنّ هذه الفكرة كانت موجودة في رأسه من دون أن يعي ذلك. مع ذلك، فضّل أن يكون متشكّكاً. فهزّ رأسه، لكن بنظرة تحدّ.

«لديّ أسباب وجيهة للاعتقاد أنّ السترة تنتمي إلى إريكسون».

خفض جمال بصره إلى الأسفل.

سأله شوبيرغ بنبرة غاضبة: «أيّ إريكسون؟»

أمام نبرة زميله القاسية، تصاعد الغضب في نفس جمال. فتحدّى شوبيرغ بنظرته.

«إينار، تبّاً. كنت أعرف أنّك ستخرج عن طوعك».

أجاب شوبيرغ بشيء من الازدراء: «بالطبع سأخرج عن طوعي. لقد كانت كنزة عادية من ماركة أوهلينز. برأيك، كم يباع منها في ستوكهولم؟»

«المئات، لا بل الآلاف، أعرف. لكن مع ذلك، أظنّ أنّها له».

سأله شوبيرغ ساخراً: «وما هو الشيء غير المنطقي تماماً في ذلك؟»

أجاب جمال وهو يرمق شوبيرغ شزراً: «لقد اشتممت رائحة الكنزة، وكانت تشبه رائحة أولد سبايس. قليل من الناس يستخدمون هذا العطر في أيّامنا».

«وهل إريكسون هو واحد منهم؟»

أجاب جمال بهزّة من رأسه.

«أعتقد إذاً أنّهم الأشخاص أنفسهم الذين يستخدمون عطر أولد سبايس ويشترون كنزات أوهلينز».

مازحه جمال قائلاً: «كم يمكنك أن تكون متعجرفاً!»

غير أنّ شوبيرغ لم يكن في مزاج للدخول في معركة كلامية، بل اكتفى بالتحديق ببرود إلى جمال.

تابع جمال بنبرة ماكرة: «إريك إريكسون، من إريكسدالسغاتان».

«لعب على الكلام؟ أهذا هو الجزء المنطقي في حجّتك؟»

«إريك وإينار هما شخص واحد».

«إينار اختفى».

«أليس هذا منطقياً تماماً، بالنظر إلى ما اكتشفته للتوّ؟»

«وماذا اكتشفت للتوّ، جمال؟»

«أنّ إريك وإينار هما شخص واحد».

«استنتجتَ ذلك بناءً على كنزة آلنز؟»

«كلاّ، بل بناءً على شهادات موظّفي دار الحضانة».

شعر شوبيرغ ببرودة في أوصاله وبغصّة في حلقه. فنهض فجأة عن كرسيه، ووقف أمام النافذة. ها هي الشمس تسطع الآن في سماء زرقاء صافية. أدار ظهره لجمال، واستأنف الكلام محاولاً أن يسيطر على نفسه.

مكتبة الرمحي أحمد

«ماذا فعلت، جمال؟»

«أريتُ صورة لإينار لموظّفي دار الحضانة. فأكّدوا أنّ الرجل في الصورة هو إريك، وأنّ إينار وإريك هما شخص واحد. لقد كان جوابهم قاطعاً، ما من شكّ في ذلك، كوني».

«لقد تجاوزتَ أوامري، جمال».

«يمكننا القول أيضاً إنّني احترمتها، لكنّني زدتُ عليها قليلاً. وهذا جيّد، لأنّنا أصبحنا على علم بذلك».

دسّ شوبيرغ يديه في جيوبه متنهّداً. في المنطقة الصناعية الواقعة على الضفّة الأخرى من القنال، كان ثمّة رافعة ضخمة تدور في ورشة بناء، وقد عُلقت فيها سقالة بواسطة كابل على ارتفاع خمسين متراً عن الأرض.

سأله جمال بنبرة حذرة: «أنت أيضاً شككت به، أليس كذلك؟»

«ليس تماماً. لكن ما إن ذكرتَ الكنزة، حتّى أدركتُ ما ستقول. كانت الفكرة تتردّد على رأسي منذ مدّة».

telegram @ktabpdf

التفت شوبيرغ إلى زميله.

«لماذا لم تحدّثني عن ذلك من قبل؟»

«أردت أن أجمع مزيداً من الأدلّة، وكنت على حقّ. فقد توقّعت أن يكون ردّ فعلك على هذا النحو».

جلس المفوّض من جديد. لزما الصمت لبعض الوقت، بينما راح شوبيرغ يطرق بأصابعه على سطح المكتب، ونظره مركّز على نقطة خلف مساعده.

أخيراً سأله جمال: «ماذا سنفعل الآن؟»

«علينا إصدار محضر بحث بحقّ إينار».

«لماذا؟»

«لأنّه اختفى منذ أربعة أيّام».

«ولماذا أربعة أيّام؟»

«إن أضفنا مساء السبت ويوم الأحد تصبح أربعة أيّام».

«أنت تشمل الوقت الذي ارتُكبت فيه الجرائم؟»

«لقد قمت بأبحاثي الخاصّة، وعرفت أنّه عاد إلى بيته بالسيّارة في وقت متأخّر من مساء السبت. بالمقابل، ما زالت صحيفة يوم الأحد، التي أدخلها الساعي عبر فتحة الباب، ملقاةً على الأرض في مدخل بيته».

قال جمال بإعجاب: «لقد أدهشتني».

«يوجد معطف له في مكتبه. أحضره إلى المختبر، واطلب منهم مقارنة ما يجدونه فيه، من شعر، وغير ذلك».

«لأنّك قمت أيضاً بجولة في مكتبه؟»

لم يجبه شوبيرغ. فقد استعاد نشاطه وإدراكه لما عليه فعله.

«سأتّصل فوراً بالمصرف الذي أودع فيه إينار حسابه، وسأطلب

منهم أن يؤكّدوا لي أنّه هو من كان يموّل شقّة كاثرين لارسن».

«هل تعتقد أنّه هو؟»

«أنا واثق من ذلك. فإينار يعيش بمبلغ زهيد جدّاً. كلّ ما بقي معه بعد شراء شقّته ذهب إلى كاثرين لارسن. فقد باع منزله في هودينغي في ربيع عام 2006، قبل أن تشتري لارسن شقّتها بالضبط».

بدا القلق على وجه جمال.

«وماذا عن زوجته، ما كان رأيها؟ لا بدّ أنّها لاحظت أنّ حسابهم المصرفي ينقص مليوني كرونا».

«لم تعد تعيش معه. فهي موجودة منذ عشرة أعوام على الأقلّ في مصحّة خاصّة، وإينار هو من يغطّي التكاليف أيضاً براتبه».

«إذاً، يعيش إينار حياة مزدوجة... من كان ليصدّق ذلك؟ على أيّ حال، هذا يفسّر جانبه المتحفّظ، وأطباعه السيّئة».

تذكّر شوبيرغ فجأة ما قاله ساندين عن رأي موظّفي دار الحضانة بـ «إريك».

«كان يلعب بالطابة مع الأطفال...»

نظر إليه جمال بحيرة.

تابع شوبيرغ: «كان إينار سعيداً مع كاثرين لارسن، والطفلان يعشقانه. فما الذي جرّ كلّ هذه الأحداث؟»

كانا قد انتظرا طويلاً قبل أن يدخلا في صلب الموضوع. وجمال هو الذي غامر بطرح السؤال.

«هل تظنّ أنّ إينار هو القاتل؟»

فكّر شوبيرغ لبضع لحظات قبل أن يجيب.

«في النهاية، ماذا نعرف عن الأشخاص الذين يحيطون بنا؟ فمعظم أعمال القتل تقع داخل الأسرة. أجد صعوبة كبيرة في تخيّل

telegram @ktabpdf

إينار كقاتل وحشي للأطفال. لكن في الوقت نفسه، يصعب عليّ أيضاً أن أتخيّله أباً حنوناً».

وافقه جمال مفكّراً.

أضاف: «علاوة على ذلك، يملك الرجل امرأتين».

«وهل هذه نقطة ضدّه؟»

«حسناً... كلاّ. ليس إن كانت امرأته مريضة منذ مدّة طويلة، كما تقول. ما مرضها؟»

«سأعرف، سأذهب غداً إلى أربوغا في الصباح الباكر».

كان شوبيرغ قد اتّخذ القرار للتوّ.

«أربوغا؟»

«تقع المصحّة التي تعيش فيها زوجته في مكان مجاور. بالإضافة إلى ذلك، تعيش زوجة كريستر لارسن الأولى في أربوغا هي الأخرى، ولم أتمكّن من الاتّصال بها».

سأله جمال: «لكن أليس العثور على إينار هو على رأس أولويّاتنا؟»

«بالتأكيد. لهذا السبب، سأقصد ذلك المكان. فأنا أملك فرضيتين أو ثلاث حول اختفاء إينار».

ابتلع زميله الشابّ الطعم فوراً: «من المحتمل أن يكون إينار قد قتل كاثرين لارسن وولديها قبل أن يلوذ بالفرار. ويمكن لزوجته أن تعطينا فكرة تساعدنا على تحديد مكانه، أو على فهم أفعاله».

شجّعه شوبيرغ على المتابعة بإشارة موافقة.

«من المحتمل أيضاً أن يكون كريستر لارسن هو القاتل. في هذه الحالة، نكون أمام جريمة عاطفية كلاسيكية. أنت التقيت بكريستر لارسن، هل تظنّه قادراً...؟»

«إنّـه يعانـي من الاكتئاب، ويعيـش بمفرده، ولا يملك دليلاً عن مـكان تواجـده ليلـة الجريمة. إنّه عبارة عن عمـلاق حقيقي. وأمامه، لا يملك إينار أيّ فرصة. عليّ التحدّث مع زوجة لارسن السابقة».

أشار جمال: «لا يوجد لديه سوابق جنائية».

«وكذلك إينار».

رفع جمال حاجبيه استغراباً، لكنّه تجنّب التعليق.

قـال جمـال: «إن كان إينـار هو القاتل، فقد أتيحت له أربعة أيّام لمغادرة البلاد».

اعتـرض شـوبيرغ قائـلاً: «لا أظـنّ أنّه يملك المـال اللازم. فهو يعيش بالحدّ الأدنى... لكنّني سأتأكّد حالاً من وضعه المالي».

قال جمال: «يبدو أنّك تعرف الكثير عن ذلك أساساً».

«كما سبق وقلت، قمت ببعض الأبحاث».

«مع ذلك، كان تصرّفاً لائقاً من جانبه ألاّ يتخلّى عن زوجته، لا سيّما بعدما التقى بامرأة أخرى».

«يمكـن القـول أيضـاً إنّ هـذا ضعـف. أخبِر الباقين أنّنا سـنعقد اجتماعاً عند الساعة الخامسة، وسيحضر روزين. وأخبرهم أنّ المسألة هامّة. حتّى ذلك الوقت، لا تتحدّث بشـيء عن ذلك. فليقم الزملاء بمهامهم بموضوعية. ولا تنسَ إصدار أمر بحث بحقّ إينار».

«بحث لكونه هارباً؟»

رمقـه شـوبيرغ بنظـرة قاسـية ثـمّ قـال: «لأنّـه مفقـود، بالمعنـى الأساسي للكلمة».

* * *

بعد اتّصال جمال الهاتفي، ذهب الفريق بأكمله إلى قسم الشرطة قبل السـاعة الخامسـة بقليل. توقّف سـاندين في المدخل لينفض عنه

telegram @ktabpdf

الثلج الذي عاد يتساقط في هذا اليوم المتقلّب من شهر مارس. في الوقت نفسه، توجّهت بترا بخطوات ثابتة نحو جيني، الجالسة على مقعدها خلف مكتب الاستقبال.

قالت لها: «سمعت على ما أظنّ أنّك تنتظرين زيارة هذا المساء».

أجابتها جيني بدهشة: «أجل، سيمرّ بي جمال».

كان ساندين ما زال يحاول التخلّص من الثلج الذي علق بشعره، فراح يهزّ رأسه مثل كلب مبلول، الأمر الذي أضحك لوتن.

تابعت بترا بإلحاح: «لو كنت مكانك، لألغيت الزيارة».

«أنا لا أفهم...»

أخذت لوتن تقهقه، الأمر الذي دفع ساندين ليبالغ في حركته.

قالت بترا بحدّة: «إنّها فكرة سيّئة وحسب، فجمال ليس شخصاً صالحاً».

«حقّاً؟»

«أجل. عليك أن تكوني حذرة».

أنهى ساندين استعراضه، وانضمّ إليهنّ.

سألتها جيني: «لماذا؟ ماذا فعل؟»

مالت بترا فوق المكتب وهمست لها: «إنّه يلتهم فتاة بريئة مثلك على وجبة الإفطار».

لم تعرف بترا ما إذا كان تعليقها الأخير أم وصول أبيها المسرحي هو الذي رسم ابتسامة عريضة على وجه جيني.

هتف ساندين: «ما كلّ هذا العنف يا هذه؟ لا تصغِ إليها يا ابنتي. إنّها ساحرتنا الصغيرة المحبوبة في الفريق».

ألقى نظرة إلى ساعة الحائط الكبيرة.

«علينا الانضمام إليهم خلال أربعين ثانية، بترا. هيّا، هيّا، انطلقي».

* * *

بادرهم شوبيرغ قائلاً: «لقد اتّخذ التحقيق للتوّ منعطفاً غير متوقّع».

كانت الساعة الخامسة والربع. وُضعت في وسط الطاولة في قاعة الاجتماعات صينية من السندويشات أحضرتها جيني قبل دقائق.

أضاف قائلاً: «بالمناسبة، تفضّلوا».

من جهته، كان يشعر بشيء من الغثيان، فاكتفى بزجاجة من المياه المعدنية التي حملها بيده. أمّا زملاؤه، فراحوا يأكلون بشهية.

«قبل أن أتابع، هل توصّل أحد منكم لأيّ جديد؟ بترا؟ ينس؟»

قالت بترا: «لم تمارس كاثرين لارسن أيّ نشاط في السويد، باستثناء التدبير المنزلي».

أضاف ساندين: «وكانت تؤدّي وظيفتها على نحو جيّد جدّاً، بحسب الزبائن الذين تحدّثنا معهم. كانت تتقاضى 90 كرونا في الساعة، وتعمل ثلاثين ساعة في الأسبوع. هذا يعادل 2.700 كرونا في السرّ. لا بأس بهذا المبلغ، لكنّه ليس كافياً لتسديد ثمن شقّة في حيّ هاماربيهامنن».

تابعت بترا: «لم نواجه أيّ مشكلة مع الزبائن الذين يقطنون وسط المدينة والضواحي. إنّهم أشخاص عاديون كما يبدو، وقد ذُعروا عندما تلقّوا النبأ. مع ذلك سنتحقّق ما إذا كان أيّ منهم يملك سجلاً إجرامياً، لكن حتّى الآن لم نلاحظ شيئاً مثيراً للشبهات. من ناحية أخرى، لم يستطع أيّ منهم إعطاءنا معلومات عن شخصيتها، كما أنّهم لا يعرفونها شخصياً».

قال شوبيرغ: «حسناً، تابعوا التحقّق من كافة الزبائن واذكروهم في التقرير. فما سأخبركم به الآن لن يغيّر شيئاً في نهجنا».

telegram @ktabpdf

خيّم توتّر مفاجئ على الغرفة، وتوقّف الجميع عن مضغ الطعام. اعتدل ساندين في جلسته، وأرجعت بترا خصلة من شعرها إلى خلف أذنها، في حين وضع جمال الشطيرة من يده، وكتف ذراعيه على صدره. رفع روزين عينيه عن دفتره، واتجهت كلّ الأنظار إلى شوبيرغ.

«عاد جمال إلى دار الحضانة. تمّ التعرّف على هوية إريك الغامض، ومن المرجّح كما كنّا نعتقد أن يكون هو الذي موّل شراء شقّة كاثرين لارسن».

صمت شوبيرغ قبل أن يتابع. ولم يُسمع في الغرفة سوى حفيف خافت صادرة عن نظام التهوئة.

«إنّ المعلومات التي سأطلعكم عليها حسّاسة للغاية، وأريد أن تتعاملوا معها على هذا النحو. هذه المعلومات سرّية جدّاً، وأتمنّى على كلّ واحد منكم عدم كشفها حتّى نعرف المزيد. كالعادة، أطلب منكم أن تتعاملوا معها من وجهة نظر مهنية وحسب، من دون أفكار مسبقة. ولا يجب أن تدخلوا آراءكم الشخصية بشأن أيّ موضوع».

خيّم صمت تامّ، بينما شبك شوبيرغ ذراعيه أمامه على الطاولة، وجال ببصره على كلّ واحد منهم، كأنّه يأخذ منهم وعداً ضمنياً بالتصرّف باحترام ومهنية.

«إنّ الاسم الحقيقي للشخص الذي تبرّع لكاثرين لارسن بالمال ليس إريك، بل إينار إريكسون».

استمرّ الصمت لبضع ثوانٍ، ولم يتحرّك أحد. أخيراً، أفلت روزين القلم من يده على الطاولة، وتراخى في مقعده. تناول جمال مجدّداً شطيرته، واستعدّ لاستئناف الأكل. أمّا بترا، فأخذت تهزّ رأسها وتنظر إلى شوبيرغ كأنّها تنتظر منه أن يسحب ما قاله للتوّ. أخيراً، كان ساندين هو الذي تحدّث باسم الجميع.

اكتفى بالقول: «هذا هراء...»

ترك شوبيرغ الوقت للآخرين لاستيعاب الخبر قبل أن يتابع.

«إليكم ما بتنا نعرفه. قُتلت كاثرين لارسن مع طفليها ليلة السبت الأحد. في الوقت نفسه تقريباً، اختفى إينار. إنّه متزوّج من سولفاي إريكسون من عام 1976. ومنذ عام 1977، تقيم زوجته في سولبيرغا، في مصحّة تقع في فيلينغزبرو، على مقربة من أربوغا. لا نعرف سبب ذلك. بحسب أحد جيران إينار، يخرج هذا الأخير صباح كلّ سبت بسيّارته، ويرجع متأخّراً في المساء. يمضي كلّ سبت هناك، إلى جانب زوجته، يعتني بها. كما يمضي معها أمسيات الميلاد، ورأس السنة، ويوم ذكرى ميلادها. كان مبرمجاً مثل الساعة. لكن يوم السبت الماضي، لم يره الجار وهو يعود. في صباح اليوم التالي، عادت سيارته إلى مكانها في المرآب، الأمر الذي يُثبت عودته. بالمقابل، لم يلمس صحيفة يوم الأحد التي ما زالت ملقاة على الأرض في مدخل بيته. هذا كلّ ما نعرفه».

كان روزين، وبترا، وساندين يدوّنون الملاحظات باجتهاد، في حين انشغل جمال بشطريته.

«بالنسبة إلى الجانب المالي للقضية، فإنّ مبلغ 5.000 كرونا الذي يحوّل شهرياً إلى حساب كاثرين لارسن المصرفي يأتي فعلاً من إينار. وقد اشترت شقّتها من المال الذي تقاضاه عندما باع منزله في هودينغي. فهو يقطن في هذا المكان منذ أبريل 2006، أي قبل مدّة قصيرة من شراء كاثرين لارسن لشقّتها. ومعظم راتب إينار يُستخدم في تسديد نفقات أسرة كاثرين لارسن. أمّا المبلغ القليل الذي يتبقّى، فينفقه إينار على مأكله وإيجار شقّته. هذا كلّ ما نعرفه حتّى الآن. هل من تعليقات؟»

ارتفعت ثلاثة أصوات في وقت واحد، وكان صوت ساندين هو الغالب.

«كيف اكتشفتما كلّ ذلك؟»

«تعرّف جمال على الكنزة المعلّقة في شقّة كاثرين لارسن وربطها بإينار. كما تعرّف العاملون في دار الحضانة على صورته على أنّها صورة إريك. ويقوم المختبر حالياً بدراسة عينات الشعر لإعطائنا دليلاً علمياً على أنّ الكنزة الخضراء تنتمي فعلاً إلى إينار».

سأله روزين: «هل من المحتمل أن يكون والد الطفلين؟»

لم تخطر الفكرة أبداً على بال شوبيرغ.

«هذا احتمال في الواقع. سنتطرّق إليه بعدما تأتينا بيلا بنتائج اختبار الأبوّة الذي أجريناه على كريستر لارسن. إن لم يكن هو الأب، سنذهب إلى أبعد من ذلك مع إينار. هادار، أريد منك أن تحضر لنا مذكّرة تفتيش لشقّته. ينس، ستتولّى ذلك مع بترا، ولا تنسيا سيّارته. إنّها مركونة في المرآب الواقع أمام المبنى. واستفيدا من وجودكما هناك لاستجواب الجيران، إذ يهمّنا أن نعرف ما إذا كان أحد قد رآه يعود مساء السبت أو يغادر مجدّداً. يجب أيضاً إرسال جميع الأحذية الموجودة في الشقّة إلى بيلا لمقارنتها بآثار الأقدام التي عُثر عليها في مسرح الجريمة. والأمر نفسه بالنسبة إلى الأغراض التي يمكن أن تحمل بصمات أصابعه، مثل كتاب على الطاولة بجانب السرير، أو كتاب طبخ قديم. جمال، ستتولّى تحليل محتوى كمبيوتر إينار. أمّا أنا فسأذهب إلى أربوغا صباح غد لاستجواب سولفاي، زوجة إينار، وإنغيغيرد ريدن، الزوجة السابقة لكريستر لارسن. سنواصل تحقيقاتنا على كافة الأصعدة، حتّى لو كان همّنا الأوّل هو تحديد مكان إينار. فاختفاؤه له دور حاسم في القضية».

قال ساندين: «إمّا أن يكون القاتل، أو أنّه قُتل. بحسب الفرضية الأولى، قد يكون في هذه الساعة مستلقياً على شاطئ في الأورغواي. أمّا بحسب الثانية، فإنّه في مكان ما في أعماق قنال هاماربي. وهذا يعني أنّ العثور عليه مستحيل في الحالتين. هل أصدرنا مذكّرة بحث؟»

«أجل، منذ ساعة تقريباً. بحسب معلوماتنا، لا يملك موارد كافية للإقامة في الخارج لمدّة طويلة، لكنّنا لا ندري شيئاً. جمال، حاول أن تعرف أيضاً ما إذا كان قد غادر البلاد، سواء عن طريق الجوّ، أو البحر، أو البرّ. أريدك أن تراقب أيضاً حسابه المصرفي».

سألت بترا: «لماذا أخبر كاثرين لارسن أنّ اسمه إريك؟»

أجاب شوبيرغ: «لا يمكننا حالياً سوى إعطاء فرضيات. فقد رغب لسبب أو لآخر بإخفاء هويّته الحقيقية. إمّا عنها وحدها، أو عن محيطها، أو عن الاثنين. لا شكّ أنّ السبب يتعلّق بزوجته».

أكّد ساندين قائلاً: «كلّ علاقتهما محاطة بالأسرار. فما من أثر لأيّ اتّصال بين إريك وكاثرين لارسن، والأمر نفسه ينطبق على التحويلات المصرفية من حساب إلى آخر. ويكمن الاختراق الوحيد لهذه السرّية التامّة في زيارته المنتظمة إلى دار الحضانة».

تساءل المدّعي العام: «هل يتعيّن علينا إطلاع الصحافة على كلّ ذلك؟»

أجاب شوبيرغ: «أودّ الانتظار لأطول مدّة ممكنة، حفاظاً على سمعة إينار».

سألت بترا: «وماذا لو كان هو القاتل؟»

«حتّى يتبيّن العكس، أفضّل اعتباره ضحية. فهو شرطي، ولا يملك سوابق جنائية. لو كنتِ في مكانه، ماذا كنت تفضّلين أن نفعل؟»

وافقته بترا مفكّرة، ولم يعترض أحد من الموجودين.

telegram @ktabpdf

أخيراً قالساندين: «هل يملك أصدقاء؟»

رفع شوبيرغ كتفيه مجيباً: «أنا شخصياً لا أدلاي. إن كان أحد منكم يعرف عنه أموراً إضافية تفيدنا في التحقيق، يسرّني الاطّلاع عليها». ثمّ أضاف: «على انفراد»، ليشدّد مجدّداً على ضرورة الوفاء لزميلهم. «سنرى ما سيُسفر عنه تفتيش شقّته في ما يتعلّق بالعناوين، وأرقام الهاتف، والبريد...».

قال جمال: «ربّما يجدر بنا استجواب جيران كاثرين لارسن وفيدا يوهانسن مجدّداً، بعد ما عرفناه عن إينار».

«بالضبط، وخصوصاً التكلّم مجدّداً مع كريستر لارسن. لكن أودّ أوّلاً مقابلة إنغيغيرد ريدن. هل يمكنك الاهتمام بأمر الجيران؟»

«بكلّ تأكيد. كم ستغيب، كوني؟»

«سأعود بأسرع وقت ممكن، عصر يوم الجمعة على الأكثر. حتّى ذلك الوقت، فلنخبر بعضنا بالمستجدّات بانتظام».

نهض شوبيرغ وحذا الباقون حذوه. وحدها بترا بقيت جالسة على مقعدها، وأغلقت دفتر ملاحظاتها وقد بدت عليها إمارات القلق.

همست قائلة: «لكنّ إينار لم يمت، أليس كذلك؟»

على الرغم من الجلبة التي أحدثها جرّ المقاعد على الأرض، جمد الباقون عندما سمعوها، والتفتوا نحو شوبيرغ. تصلّب هذا الأخير، ثمّ دفع كرسيّه أمام الطاولة بحركة مفاجئة، وأجاب بصوت حازم: «إنّه حي، ويعرف أنّنا سنساعده».

* * *

الطقس جميل اليوم، كان واثقاً من ذلك. فقد تسلّلت أشعّة الشمس من الفتحة الصغيرة. كانت الشمس تشرف على الغياب، وبالكاد يرى ما حوله. تمكّن من البقاء مستيقظاً منذ الصباح. لم

يكن تحسّن حالته هو السبب، بل لأنّه أراد حقّاً أن يحلّ الليل مع أمل التمكّن من النوم بضع ساعات. حتّى لو كان ذلك على فترات لا تتعدّى عشر دقائق.

جلس مسنداً ظهره إلى الحائط البارد، يصغي إلى الضجيج في الخارج. سمع الصفّارة المميّزة لشاحنة إطفاء، تبعتها صفّارات أخرى غير واضحة. على وقع تلك الأصوات، حاول بقدر استطاعته أن يشدّ الحبال التي تقيّد يديه خلف ظهره. لكنّه لم يكن يتمتّع بالقوّة الكافية، كما أنّ قيوده بقيت صامدة. كان مقتنعاً في أعماقه أنّ محاولاته لن تجدي نفعاً. لكن ليس بيده حيلة أخرى. وحده أمل حلّ القيود هو الذي يحول بينه وبين الجنون التامّ. فهو لا يحتمل الألم الذي يمزّق أوصاله ولا البرد القارس الذي ينخر عظامه.

أدخل أطراف أصابعه في أخاديد الأرضية الخشبية، ثمّ قوّس جسده وتمكّن من الاعتدال قليلاً إلى الجدار، على الأقلّ بما فيه الكفاية لكي ينحني جسده الذي يبّسه البرد على مستوى الركبتين. بعد ذلك، ترك نفسه يسقط على جنبه الأيمن، بحيث ارتطم كتفه بالأرض أوّلاً. شعر بالألم، لكنّه حاول تجاهله. بعد ذلك، وضع قدميه على الجدار ودفع نفسه على الأرض كالدودة، عبر السنتمترات القليلة التي تفصله عن وعاء من الماء. استجمع كلّ قواه، ورفع رقبته بصعوبة بما فيه الكفاية ليغمر وجهه في المياه، ويلعق بضع نقاط من ذلك السائل الثمين. بعد أن أرهقه هذا المجهود، ظلّ يلهث بضع دقائق وهو مستلقٍ على جنبه. يمكنه أن ينام بسهولة، لكنّه قاوم. فقد أمل أن يبقى مستيقظاً بضع ساعات أخرى، قبل أن يستغرق في النوم.

شعر بشيء يتحطّم تحت خدّه. فاستخرج ببقية القوّة التي لديه فتات الخبز المتناثر على الأرض، ووصل إلى قطعة خبز يابسة لاحظ

telegram @ktabpdf

أنّ بإمكانه الحصول عليها بفمه، شرط أن ينقلب على بطنه. سبّبت له هـذه الحركـة المفاجئة علـى الفور ألـماً حادّاً في كتفه الأيمن وجعلته يئنّ من شدّة الألـم. مدّ لسانه بضع مرّات مثل الزواحف باتجاه قطعة الخبز، إلى أن بلغها أخيراً، وتلقّفها بفمه. ثمّ أسند جبينه بحذر على الأرض، وبدأ يمضغها قبل أن يرفع رأسه لابتلاعها.

حاول البكاء، لكنّه لم يُصدر سوى صفيراً ضعيفاً. فقد بحّ صوته منذ أوّل ليلة له في الأسـر. على أيّ حال، لم يعد لذلك أيّ أهمّية. ففـي هـذا الفصـل، لا يبـدو أنّ أحـداً يمرّ من هنـا. لكن خلال بضعة أسـابيع، سـيتمّ فتح المخزن لأخذ معدّات منه وزراعة أولى المواسم في الربيع. كانت ركب بنطاليهما ملوّثة بالتراب، لكن ما أهمّية ذلك؟ هذا هو الربيع لدى الصبية الصغار. فالتراب ليس قذراً، ورائحة الطين ملأت السـيّارة بينما كان يرجع إلى الخلف عند أسـفل المبنى. راح الطفلان يصيحان على المقعد الخلفي. فجأة، ظهرت قدم صغيرة بين مقعده ومقعد زوجته.

صـاح محـاولاً أن يبـدو جـادّاً: «كفـى! هذا خطر. في السـيّارة، عليكما أن تبقيا هادئَين، وإلاّ قد تلمسان إحدى أدوات التحكّم. ولا أظنّ أنّ أحداً يرغب في التسبّب بحادث، أليس كذلك؟»

سأله توبياس: «ما هذا؟»

«هذه فرامل اليد».

«هل يمكنني أن أشدّها؟»

«كلاّ، لا يجب أن نلمس شيئاً في السيّارة، فهذا خطر».

«وماذا يحدث إن فعلتُ ذلك؟»

«إن شددت فرامل اليد، تتوقّف السيّارة فوراً، فتصطدم بنا السيّارة التي خلفنا».

ألقى توبياس نظرة عبر الزجاج الخلفي، ثمّ صاح قائلاً: «لكن لا يوجد أحد خلفنا! هيّا أرجوك...»

قاطعت زوجته الصبيّ قائلة: «أندرياس، انتبه لأخيك».

التفتت إلى زوجها وابتسمت قائلة: «ساعتان هي مدّة كافية تماماً...»

تنهّد متظاهراً باليأس، وأجاب: «نعم، ما لم تكوني مع وحشَين صغيرَين كهذين».

تشاجر الصبيّان طوال الطريق المؤدّية إلى المدينة. وقام هو وزوجته بتأنيبهما بلطف وحزم في آن ليلزما الهدوء. مرّت السيّارة الآن على ضفة البحيرة، وانعكست أشعّة الشمس الحادّة على صفحة المياه الداكنة. كانت السيّارة قد وصلت للتوّ إلى مدخل المدينة، عندما خفّف من سرعته وركنها على مسافة قريبة يُسمع منها خرير المياه.

قال: «سأذهب قليلاً إلى السكّاف لأحضر حذائي. سأعود فوراً أيّها الصغيرَين، وبعد ذلك أعيدكما إلى أمّكما».

قال توبياس متوسّلاً: «هل يمكنني قيادة السيّارة؟ أرجوك، دعني أقودها قليلاً!».

بعد هذا الامتحان القاسي، أغلق الرجل باب السيّارة بجفاف خلفه. ثمّ أدخل رأسه من نافذة السيّارة الخلفية المفتوحة وأجاب: «كلاّ يا صغيري، هذا مستحيل. اجلسا بهدوء حتّى عودتي!»

قبل أن يخرج رأسه، أرسل إلى زوجته قبلة في الهواء. فأعادتها له قبل أن يستدير ليجتاز الشارع. في تلك اللحظة أجابه الأخ الأكبر بين الطفلين.

صاح أندرياس معرباً عن حسن نواياه: «حسناً!»

مساء الأربعاء

أتـت موديسـتي بلايـز بتحفّظ لإلقـاء التحيّة عليه فـي المدخل. كانت زميلة جيني الجديدة في السكن هي عبارة عن أنثى كلب سلوقي ذات فراء حريري بعمر السنتين. كانت تثير موجة حماس قوية تقارب الهستيريا بين أعضاء نادي محبّي الكلاب الذي أسّسه موظّفو مكتب الاستقبال في قسم الشرطة. راحت تشتمّ سروال جمال بفضول، لكنّها امتنعـت عـن القفـز أو العواء. أمّا جيني، فسـرعان مـا قفزت لمعانقته قبل أن تدخله إلى الشقّة.

كانـت طاولـة المطبـخ قـد أعـدّت، والشـاي والفطائـر الصغيرة جاهزة، والشموع مضاءة. اعتقد جمال أنّه أتى فقط لفحص الكمبيوتر لربـع سـاعة علـى الأكثر. لكن أمـام كلّ هذا الاهتمام من قبل جيني، وجد نفسه مجبراً على تغيير خططه.

هتف قائلاً: «كم هذا رائع! يبدو شـهياً جدّاً، أنا أتضوّر جوعاً!» غير أنّه حرص على تذكير نفسـه أنّ الجسـد لا يحتاج بالضرورة إلى وجبة حقيقية كلّ مسـاء وأنّ تعبه ليس سـوى وهم ناتج عن الطقس السيّئ.

أمسـكت بيـده وقادتـه إلـى الطاولة مـن دون أن تتيح له الوقت للاعتراض. جلس، وجلست هي إلى جانبه.

قال: «اجلسي أمامي، هكذا يسهل علينا التكلّم».

أجابتـه جينـي وهـي تضع يدها على ذراعـه: «وما الفرق؟ هكذا

أيضاً يمكننا أن نتكلَم».

لاحظ أنّها زيّنت وجهها. ربّما كان كذلك عادة، لكنّه لم ينتبه. غير أنّ الأمر لم يرق له فجأة، فنهض واستدار حول الطاولة.

أصرّ قائلاً وهو يجلس أمامها: «يكون الحديث أفضل ونحن ننظر إلى بعضنا».

بدت عليها الخيبة والاضطراب.

«عندما يلتقي الأحبّة، يجلسون جنباً إلى جنب».

«ليس بالضرورة، كما أنّنا لسنا حبيبان».

«حقّاً؟»

كانت دهشتها صادقة.

لاحظ أنّ جيني جادّة. أمام وضع كهذا، عليه أن يتصرّف بصدق وحكمة.

«نعم، بالتأكيد. لقد أتيت لمساعدتك على حلّ مشكلة الكمبيوتر وحسب. لطف منك أن تقدّمي لي الشاي، هكذا نتحدّث قليلاً ونحن نأكل. بعد ذلك، سأحاول إصلاح الكمبيوتر، ثمّ أعود إلى بيتي. اتفقنا؟»

«ألا أعجبك؟ ألستُ جميلة؟»

بدا عليها شيء من الحزن، في حين أنّ جمال بدا مسترخياً للغاية. فقد أدرك أنّ لديه الفرصة لإعطاء جيني شيئاً لم يستطع والدها إعطاءها إيّاه، لمجرّد أنّه والدها.

«أجدك رائعة جيني، وأنت تعرفين ذلك. فأنت جميلة جدّاً».

ابتسمت مجدّداً، في حين بدأ جمال بصبّ الشاي متابعاً: «لكنّك لا تعجبينني لأنّك جميلة، فهذه الصفة ليست مهمّة. بالإضافة إلى ذلك، نحن نحبّ الناس بطرق عديدة. فأنا أحبّك كصديقة، لأنّك

لطيفة، وموهوبة. ولأنّك وفية. لكنّني لست مغرماً بك ولستِ مغرمة بي».

أجابته بصراحة: «أنا بلى!»

«هذا ما تظنّينه، ربّما لأنّك تستلطفينني؟»

«امم».

أعادت خصلة من شعرها الأشقر إلى خلف أذنها، وتناولت قضمة من فطيرة مزيّنة بباتيه الكبد والمخلّلات.

«ربّما لا يعاملك الجميع بلطف، لكن لا تكترثي لذلك. أنا أيضاً يعاملني بعض الناس بفظاظة. غير أنّنا لا نستطيع أن نغرم بكلّ الأشخاص الذين يتعاطون معنا بلطف، وإلاّ لأغرمنا بعدد كبير من الناس وأمضينا الوقت في معانقتهم». قال ذلك ضاحكاً.

ضحكت جيني هي الأخرى، لكنّه ليس واثقاً أنّها فهمت حقّاً ما يعنيه.

تابع يقول: «أنا موافق على أن أكون صديقك. ويمكنك أن تتحدّثي إليّ إن أزعجك أحد، أو أغرمتِ بأحد، أو أردت التحدّث وحسب، فأنا سأساعدك. هل أنت موافقة؟»

هزّت جيني رأسها، وبدت راضية. لم يجد جمال ما يضيفه، لذلك استأنفا الأكل والشرب وهما يتحدّثان في أمور أخرى.

سألها جمال أخيراً: «إذاً، ما هي مشكلة الكمبيوتر؟»

«إنّه بطيء جدّاً».

«هل تتحدّثين عن الشبكة؟»

«أجل».

«أي عندما ترسلين البريد الإلكتروني وهذا النوع من الأشياء؟»

«كلاّ، لا مشكلة في ذلك، بل عندما أشاهد الأفلام. فهو يتوقّف

حمد

كثيراً، وهذا مزعج».

«حسناً، يمكننا أن نحاول تنزيل آخر نسخة من مشغّل الفيديو».

خرجا من المطبخ وعادا إلى الغرفة الوحيدة في الشقّة. جلس جمال على الأريكة وشغّل الكمبيوتر المحمول الموضوع على الطاولة. جلست جيني على ذراع الأريكة تشاهده وهو يدخل موقع Adobe. لم يستغرق التحميل وقتاً طويلاً، ولم يبدُ أنّ الشبكة السريعة تسبّب أيّ مشاكل.

سألها: «حسناً، ماذا تريدين أن تشاهدي لتجربة البرنامج؟ يو تيوب؟»

قبل أن تجيبه، دخل إلى الموقع المذكور ونقر على فيديو اليوم: مقطع من مباراة لدوري أبطال أوروبا. شاهداه بكامله من دون أيّ حادثة تذكر.

قال جمال من دون أن يتباهى أنّه خبير كمبيوتر: «أرأيتِ، لم تكن المشكلة معقّدة!»

أجابته وهي تنهض: «أريد أن أتأكّد بمشاهدة فيلم».

نهض جمال هو الآخر وأعطاها مكانه على الأريكة. فدخلت قائمة المفضّلات، ونقرت على أحد المواقع. بينما كانت تنتظر تحميل الصفحة، رفعت الصوت. من جهته، قرّر جمال دخول الحمّام قبل أن يغادر. غير أنّه وقف جامداً عندما رأى ما ظهر على الشاشة. وقبل أن يتاح له الوقت ليتكلّم، شغّلت الفيلم. فظهر رجل وامرأة في مشهد إباحي. كان عنوان الفيلم لوسي في السماء. في الواقع، في هذا الزمن من الأفلام المثيرة على شبكة الإنترنت، لم يكن في المشهد شيء مثير، باستثناء أنّ الفتاة التي يراها على الشاشة لم تكن سوى جيني.

شعر جمال بالعرق البارد يتصبّب منه. أوّلاً، ماذا تفعل تلك

الفتاة في فيلم كهذا؟ وثانياً، لماذا حمّلته على الإنترنت؟ أخيراً، لماذا تريه إيّاه؟ الجواب على السؤال الأخير بدا الأسهل. فمن الواضح أنّها لم تفقه شيئاً من حديثهما للتوّ.

انحنى وأوقف الفيلم. بعد ذلك، توجّه إلى السرير، وجلس متنهّداً. راقبته جيني بعينين مليئتين بالأمل. غير أنّه أخذ يهزّ رأسه من دون أن يعرف ماذا يقول.

سألته عندما لاحظت وجود خطب ما: «ألم يعجبك؟»

«لا جيني، حقّاً لا. إنّه فظيع».

«لكن لماذا؟ قلت إنّك تراني جميلة».

«أنت جميلة كما أراك هنا، جيني، بثيابك... ولا أرغب في رؤيتك كما أنت في هذا الفيلم! ماذا يقول والدك إن عرف؟ لا شكّ في أنّه سيجنّ تماماً!»

«لكن لماذا تخبره؟»

«ليس هذا هو السؤال! فكلّ من سيعرف بذلك سيتصرّف بالطريقة نفسها... لماذا فعلت ذلك، جيني؟ لماذا قمت بتحميل الفيلم على الإنترنت؟»

أجابته وقد بدا عليها الخوف: «لستُ أنا من قام بتحميله، بل بونتوس».

بدت على وشك أن تنفجر باكية.

«ومن هذا؟»

«إنّه بونتوس أورستيد، صديقي، الرجل الذي كنت أعيش معه».

«وهل انفصلتما؟»

«كلاّ، لكنّه انتقل».

«هذا جيّد، فقد استغلّك. المرء لا يفعل أشياء من هذا القبيل

لشخص يحبّه».

استعاد جمال هدوءه، وحاول أن يفكّر بعقلانية.

حاولت جيني أن تبرّر قائلة: «هذا ليس مهمّاً جدّاً...»

«بلى، هذا خطير. فأنت محظوظة لأنّني الوحيد الذي شاهد الفيلم من بين معارفك. ولو عرفت أمّك، لاحترق قلبها. أمّا والدك، فقد يودي خبر كهذا بحياته. أهذا ما تريدينه؟»

لم يحاول أن يراعي ألفاظه، لأنّه يعرف أنّ هذا هو السبيل الوحيد لتغيير رأيها.

أضاف قائلاً: «وماذا سيقول زملاؤك في العمل عن ذلك، جيني؟ سيسخرون منك سرّاً، و...»

«لكنّ الجميع يفعلون ذلك!»

بدا على جيني أنّها مجروحة، كأنّه يظلمها.

«كلاّ، أنت مخطئة. أنا لا أعرف أحداً يظهر على الإنترنت بهذا الشكل. هذا مجرّد...»

أصرّت جيني: «بلى».

«كلاّ».

«سأثبت لك».

«لا شكراً، أفضّل ألاّ أعرف».

«لكن بما أنّك لا تصدّقني، أريد أن أثبت لك...»

مالت نحو الكمبيوتر، ثمّ أعادت تنشيط الشاشة، وبنقرة واحدة، شغّلت فيلماً آخر على قائمة مفضّلاتها. تركها جمال تفعل ذلك. فهو على استعداد لتكريس أمسيته لإقناع هذه الطفلة التي انحرفت عن الطريق القويم. سيكرّر الدرس الذي أعطاها إيّاه مراراً وتكراراً حتّى تفهم.

شغّلت فيلماً آخر، وكان إباحياً للهواة تحت عنوان «رجل كبير في السنّ، وجهه غير واضح، مع فتاة شابّة».

«لا أريد أن أشاهد جيني. فأنا لست مهتمّاً. أوقفي الفيلم لو سمحت».

«لكن ألا ترى من هذه؟»

ارتسمت على وجهها ابتسامة مليئة بالأمل.

«كلاّ، ولا أريد أن أعرف. أوقفيه».

«لكن انظر جيّداً، أنت تعرفها، أليس كذلك؟»

بدت المرأة في الفيلم أنّها لا تتجاوب، كما لو كانت مخدّرة أو غير واعية. استغرق بضع ثوانٍ قبل أن تتّضح له الأمور ويفهم إلامَ يشير عنوان الشرطي الصالح والشرطي السيّئ، وقد آلمه ذلك. في الحقيقة، شعر بالرغبة في البكاء.

«أوقفيه». أمرَها بصوت حازم بما فيه الكفاية بحيث أطاعته فوراً.

حدّقت إليه جيني باستهجان.

«أرأيت، أنا لست الوحيدة».

اكتفى بهزّ رأسه بحزن. لم يعد يفهم شيئاً. ماذا حدث للتوّ؟ وماذا عليه أن يفعل؟

«أين وجدت هذا الفيلم؟»

«في المكان نفسه. على موقع بونتوس».

«أماتور6، أهذا هو موقع بونتوس؟»

أجابت بهزّة من رأسها.

«اللعنة، ماذا تفعل بترا هناك؟»

هزّت جيني كتفيها، غير قادرة على الشرح.

سألها جمال، بعدما بدأ يستعيد رشده: «عليّ أن أتحدّث مع

بونتوس هذا، لكي يقوم بسحب الفيلمين. أين يسكن؟»

«لا أعرف، فنحن لم نعد على اتّصال».

«ما هو اسم عائلته؟ أورستيد؟ اكتبيه لي».

نفّذت جيني طلبه، في حين قام هو بنسخ الفيلمين على أداة يو إس بي يحملها معه، من دون أن يفهم السبب تماماً.

«سيكون هذا الأمر سرّ بيننا جيني، قريباً سيختفي الفيلمان، ولا أريد أن تتحدّثي عنهما مع أيّ شخص. اتّفقنا؟»

وافقت جيني بهزّة من رأسها.

«ستحزن بترا كثيراً إن عرفت بهذه القصّة. كما أنّ والديك لن يحتملا ذلك، أؤكّد لك».

«ولماذا تهتمّ لأمر بترا، فهي لا تحبّك».

«آه حقّاً؟ قد تكون مستاءة منّي حالياً، لكنّ غضبها سيزول سريعاً».

«قالت إنّك تستطيع أن تلتهم فتاة بريئة مثلي على وجبة الإفطار».

لم يستطع جمال أن يقاوم الابتسام، حتّى لو كان يجهل هذه الأيّام ماذا يدور في رأس بترا.

«حقّاً، هل تقول أشياء من هذا القبيل؟ على كلّ حال، أنا أحبّها كثيراً، وأنا متأكّد أنّها لا ترغب في التواجد على هذا النوع من المواقع. ولا أنت أيضاً. فلنعد إلى المطبخ، سأشرح لك السبب.

* * *

بعد بضع ساعات، غادر شقّة جيني على أمل أن تكون رسالته قد وصلت. ها قد أنهى مهمّة، وعليه مع الأسف أن يُتبعها بأخرى.

telegram @ktabpdf

صباح الخميس

منذ الساعة السادسة صباحاً، غادر شوبيرغ منزله وانطلق في رحلته. وصل بعد ساعتين إلى أربوغا، قائلاً في نفسه إنّ بيلا المخلصة لعملها لا بدّ أن تكون قد وصلت إلى المكتب. أخرج هاتفه من جيب قميصه وطلب رقم المختبر. فأجابه صوت العالمة الحازم مؤكّداً فرضيته.

«هانسن».

«صباح الخير، بيلا. معك كوني. هل أزعجتك؟»

«كلاّ، على الإطلاق. ما الأمر؟»

بيلا هي واحدة من الأشخاص الأكثر كفاءة وثقة الذين أتيح له العمل معهم. كما أنّها امرأة جميلة ومثيرة للاهتمام على الصعيد الشخصي. فقد أدرك ذلك بنفسه خلال الحفلات التي كانت تقام في قسم الشرطة، والأمسيات التي أمضاها في المقهى معها. غير أنّ الدردشة على الهاتف باسترخاء ليست من نقاط قوّتها. فهي تفضّل الإيجاز وتتوقّع الشيء نفسه من محدّثها، من دون الخوض في عبارات التحية وغيرها من المجاملات.

«أنا اتّصل بشأن اختبار الأبوّة المتعلّق بأحد المشتبه بهم لدينا، أعني كريستر لارسن. أهو قيد التحليل؟»

«نعم، فمختبر لينكوبينغ يهتمّ بالأمر».

«هل يمكنك أن تفرضي عليهم تسليمنا النتائج خلال مدّة

أقصاها أربع وعشرون ساعة؟ فالأمر ملحّ جدّاً».

«لقد تمّ ذلك بالفعل، فهم يعرفون أنّ المسألة تتعلّق بجرائم قتل. أتوقّع وصول النتيجة في الصباح».

«ممتاز، اتّصلي بي فور وصولها. هل لديك أيّ معلومات أخرى؟»

«كلاّ، ليس في الوقت الراهن».

«ستصلك عدّة أزواج من الأحذية هذا الصباح. أريد منك مقارنتها مع آثار الأقدام التي أخذت من مسرح الجريمة. تأكّدي جيّداً ما إذا كانت النعول تحمل آثار دماء. سيكون لديك أيضاً عدّة أغراض لفحصها تتعلّق بالبصمات المأخوذة من الشقّة. أرجو اعتبار هذه المسألة أولوية قصوى بالنسبة إلى التحقيق».

أغلق شوبيرغ الخطّ وترجّل من السيّارة. كان قد ركن سيّارته للتوّ في منطقة المساكن العامّة، وهي بلا شكّ الجزء الأكثر كآبة من مدينة أربوغا، التي تُعتبر ساحرة في ما خلا ذلك. لم يضطرّ إلى إدخال أيّ رمز عند الباب. كانت إنغيغيرد ريدن تقطن في الطابق الثاني. بعدما رنّ الجرس، انتظر طويلاً حتّى أوشك أن يرحل، غير أنّ الباب فُتح أخيراً. وقفت أمامه، وحدّقت إليه بنظرة مرتابة.

قال شوبيرغ وهو يظهر لها بطاقة الشرطة: «أنا أبحث عن إنغيغيرد ريدن».

أخذتها من يده، وتفحّصتها جيّداً قبل أن تجيبه: «إنّها أنا».

كان صوتها خشناً بحيث استنتج شوبيرغ أنّها مدخّنة قديمة. عرّف عن نفسه، وطلب التحدّث معها للحظة. فرفعت كتفيها، وتركته يدخل. أغلق الباب خلفه، ثمّ تبعها إلى داخل الشقّة.

بدت المرأة أكبر من شوبيرغ ببضعة أعوام، ربّما في العقد

telegram @ktabpdf

الخمسين. كانت نحيلة جداً، عظام ظهرها بارزة، ومشيتها ثقيلة، تضفي عليها مظهراً ضعيفاً. أشار اللون الرمادي الداكن الذي غزا شعرها القصير أنّها كانت سمراء في ما مضى. كانت ترتدي قميصاً مزركشاً بالمربّعات وسروالاً يناسب ابنته سارة، ذات الأعوام السبعة، شرط تقصيره بضعة سنتمترات.

كانت الشقّة عبارة عن غرفتين. بعدما مرّا من أمام المطبخ وعبرا باباً، وصلا إلى الصالة. جلست بصعوبة على أحد المقاعد. على الطاولة المنخفضة، وُضع جهاز تحكّم عن بعد، ومجموعة من المجلاّت، وصحيفة محلّية ما زالت مفتوحة. من الجهة الأخرى من المقعد، وجد شيئاً ينتمي إلى مستشفى أكثر منه إلى منزل: حامل ثلاثي القوائم على عجلات، مجهّز بخزّان أوكسجين. ما إن جلست إنغيغيرد، حتّى تناولت طرف الأنبوب الممتدّ من الجهاز ووضعته في فمها.

قالت بصعوبة بين نفسين: «أعاني من التهاب الشعب الهوائية الإنسدادي المزمن».

ولكي تستبق رغبة شوبيرغ في معرفة المزيد، أعطته بعض التفاصيل الإضافية بصوت متعب لم يلاحظه خلال حديثهما القصير في المدخل.

«أنا أعاني من انسداد رئوي مزمن، انتفاخ في الرئة. والأوكسجين يسهّل عليّ التنفّس».

لم يكن شوبيرغ يعرف أنّ الأطبّاء يصفون الأوكسجين للمدخّنين. نظر حوله ليؤكّد شكوكه حيال التدخين، لكنّه لم يجد أيّ أثر لمنافض أو سجائر. مع ذلك، ما تزال رائحة الدخان عالقة في الغرفة. هل تحاول أن تغشّ؟

«يأتي فريق من خدمات الرعاية المنزلية لرؤيتي مرّتين في اليوم. كما يساعدونني على شراء احتياجاتي، لأنّني لم أعد أقوى على الخروج».

«أنا آسف حقّاً. هل لديك القوّة لتبادل بضع كلمات معي؟»

أجابت بهزّة من رأسها وهي تأخذ أنفاساً عميقة عبر الأنبوب. لاحظ شوبيرغ أنّها لا تخرخر مع كلّ نفس، وهو أمر ما كان ليتحمّله. أحسّ بالتعاطف مع هذه السيّدة، وتخيّلها فجأة إلى جانب كريستر لارسن بقامته الهائلة. أصبحت هذه الصورة مستبعدة اليوم، لكن عليه أن يكوّن فكرة عمّا كانت عليه إنغيغيرد في شبابها. لم ير فيها اليوم سوى وجه كبر قبل أوانه وذراعين صفراوين.

قالت فجأة: «لن أعيش طويلاً. فقد أزالوا أكثر الأجزاء التالفة من رئتَيّ، ويقولون إنّني لن أحتمل عمليّة زرع».

«أنا آسف حقّاً».

لم يجد شوبيرغ شيئاً آخر يقوله. ما دام وضعها خطيراً إلى هذا الحدّ، لماذا لا يسمحون لها بنفَسٍ من وقت إلى آخر تحت جهاز الشفط في المطبخ؟ عليهم أن يأملوا فقط ألاّ تستغلّ الفرصة لإضرام النار في الشقّة أو لقتل نفسها. أخذ يستمع إلى تنفّسها، وقد اعتراه خوف تمنّى أن يتمكّن من إخفائه.

فجأة، عاد إليه الغرض من وجوده. فقام من دون دعوة، وجلس على المقعد المواجه لها. استقرّ على حافّة المقعد لكي يظهر لها أنّه لن يبقى طويلاً، على الرغم من كون وجوده قانونياً تماماً.

«هل تعرفين سبب وجودي هنا؟»

هزّت رأسها نافية، وواصلت ضخّ الهواء.

«كنت متزوّجة من كريستر لارسن، أليس كذلك؟»

telegram @ktabpdf

أجابت بهزّة من رأسها من دون أن تكشف له رأيها بالأمر.
«أما زلت على اتّصال به؟»
أخرجت طرف الأنبوب من فمها لتجيبه قائلة: «لم نرَ بعضنا منذ أكثر من ثلاثين عاماً».
«هل تتكلّمان على الهاتف؟»
«كلاّ».
«هل تركتما بعضكما على خلاف؟»
أجابته بصوت محايد: «كلاّ. لكن لم يكن لدينا أيّ سبب للبقاء على اتّصال، هذا كلّ ما في الأمر».
أعادت الأنبوب إلى شفتيها، وهدأ تنفّسها قليلاً.
«هل كان كريستر لارسن شخصاً عنيفاً؟»
«لماذا تسأل؟»
أجاب بصوت حازم: «أجيبي عن سؤالي من فضلك، سأشرح لك لاحقاً».
أجابت من طرف فمها: «كلاّ».
كان وجود الأنبوب يمنع شوبيرغ من الحكم على ردود أفعالها.
«هل كان يوماً مصدر تهديد أو شخصاً عدوانياً؟»
هزّت رأسها نافية، من دون أن ترفع نظرها عنه.
«هل كان يعاني من مشاكل إدمان؟»
«كلاّ. كان يشرب بشكل طبيعي، من دون أن يسبّب ذلك مشكلة».
«هل تعرفين أنّه تزوّج مجدّداً؟»
«كلاّ، لم أكن أعرف».
«أيدهشك ذلك؟»

أخرجـت الأنبـوب مـن فمها مرّة أخـرى، وأجابت من دون أيّ استغراب ظاهر: «كما سبق وقلت، لم نعد على اتّصال. فلماذا أفاجأ؟»

لم يجبها شوبيرغ، بل فضّل مواصلة التحقيق.

«عام 2001، تزوّج من امرأة التقى بها في الفليبين، وكان لديهما طفلين».

ظهرت تجعيدة فوق عينها اليسـرى، قد تكون علامة دهشـة. لم يعرف شـوبيرغ سـببَها، أهو اسـتخدامه للفعل الماضي بشأن الطفلين. اسـتعادت تعابيرها المحايدة فجأة، لكنّه شـعر أنّ تنفسـها أصبح أكثر صعوبة.

«انفصلا منذ بضع سنوات، من دون أن يقدما على الطلاق. كانا يعيشان كلّ بمفرده».

سألته قبل أن تعيد الأنبوب إلى فمها: «هل مات كريستر؟»

رمقهـا شـوبيرغ بضـع ثوانٍ قبل أن يجيب: «كلاّ، كريسـتر حيّ. لكنّ زوجته وولديه وجدوا مقتولين في منزلهم منذ بضعة أيّام. ربّما قرأتِ الخبر في الصحيفة أو شاهدته على التلفاز؟»

أكّدت ظنّه بهزّة من رأسـها. وجد شـوبيرغ أنّها لم تكن مرعوبة بقدر ما كانت تفكّر. فقد لاحظ بوضوح أنّ كريسـتر لارسـن لم يعد لـه مـكان فـي حياتها. وهذا أمر طبيعي فـي النهاية. فثلاثون عاماً هي مدّة طويلة، تفوق نصف حياة إنغيغيرد ريدن. فجأة، غيّرت تعابيرها.

«سألتني ما إذا كان كريستر عنيفاً. هل تشكّ أنّه قتل أسرته؟»

«لا نعلم. ما رأيك أنت؟»

أجابت من دون أن ترفع الأنبوب من فمها: «ليس كريستر الذي عرفته».

قال بلطف: «وهل يمكن لكريستر الحالي أن يقدم على ذلك؟»

اكتفت برفع كتفيها في إشارة إلى أنها ترفض التكهّن. فأحسّ شوبيرغ بشيء من الخيبة. لقد عوّل كثيراً على هذه المقابلة، وسيكون عليه أن يشطب إنغيغيرد ريدن من قائمة المشتبه بهم. ففي حالتها تلك، يصعب عليها أن تقطع عنق دجاجة. في المقابل، لا بدّ له من الاعتراف أنّه كان يأمل في الحصول على بعض المعلومات التي تدين كريستر لارسن. لكن على الرغم من رغبته في إبعاد الشكوك عن إينار، عليه أن يبقى موضوعياً.

«مع ذلك، ألحّ قائلاً: «إنّه رجل ضخم وقوي. توقّف عن العمل منذ سنوات بسبب الاكتئاب...»

مرّت غمامة على وجه إنغيغيرد فجأة.

«ربّما لم يتقبّل طلاقكما أبداً».

انفجرت ضاحكة، وأفلت الأنبوب من فمها.

«كلاّ، أنا واثقة من هذا الأمر».

لم يجد شوبيرغ في هذا الجواب أيّ أثر للسخرية أو المرارة.

* * *

عندما خرج شوبيرغ من سيّارته في وقت لاحق، وسمع العصافير تزقزق، أدرك أنّ الربيع أصبح وشيكاً. فقد تسلّلت أشعّة الشمس من بين الغيوم، ودفّأت وجهه، والأرضَ التي يدوس عليها، والتي ما زالت تحمل آثار الشتاء. بعد رحلة مضنية على طرقات ضيّقة ومتعرّجة أتلفتها مياه الأمطار، وصل إلى قطعة الأرض التي تملكها أمّه، بيورسكوغسنيس 4:14. واضطرّ إلى اجتياز الأمتار القليلة الأخيرة التي تفصله عن العقار سيراً على الأقدام. كان الطريق الضيّق الذي يؤدّي إليها مرئياً بالكاد اليوم، بعد أن أخفته الشجيرات والأعشاب، بحيث تعذّر اجتيازه بالسيّارة.

كانت الأرض كبيرة نوعاً ما، إذ تبلغ مساحتها ثمانية آلاف متر مربّـع، وتقـع علـى تلّـة صغيرة. تصوّر أن يتغيّر المشـهد عند وصوله إلـى الأرض. وهـذا مـا حصـل فعـلاً، لكن ليس كما توقّـع. فعوضاً عن اكتشـاف مرج، وجد نفسـه أمام مسـاحة تكسـوها أجمات كثيفة، أشـجارها أقـلّ انخفاضـاً مـن أشـجار الغابة التي تحيط به. مشـى في الطريـق إلـى أن وصـل إلى أبنية قديمة. كانـت عبارة عن بقايا أكواخ أو مخازن ما زالت صامدة، لكن عندما ألقى نظرة من خلال ما تبقّى من النوافذ، لاحظ أنّ الأكواخ فارغة. رأى بين الأشجار شجرتي تفّاح قديمتين. وصعب عليه التصديق أنّهما ما زالتا مثمرتين عندما سـحق تحت قدمه تفّاحة مهترئة.

فـي تلـك اللحظـة، اعترته رغبة مفاجئـة في العناية بهذه الأرض مجدّداً. أراد زراعة أشجار، واقتلاع كلّ هذه النباتات الضارّة، وإعادة الحديقـة إلـى أمجادهـا القديمـة. إنّها أرضه. على أيّ حال، سـتصبح كذلـك، ولا ينـوي تركها تتدهـور أكثر من ذلك. كانت الخارطة التي يحملها بيده تشير إلى وجود بحيرة مع مكان للسباحة على بعد مئتي متر من المنزل. لاحظ في طريقه وجود عدّة منازل لتمضية العطلات، ويبدو أنّها بنيت في السـتينيات. لا شـكّ أنّ أولاده سـيجدون أصدقاء هنـا. لمـاذا أخفـت أمّـه كلّ هذا؟ لا يمكنهـا أن تتجاهل وجود أرض تملكها. فحتّى لو كانت تنتمي في الأسـاس إلى أبيه، ولم يسـبق أن عاشت فيها، إلاّ أنّها تعرف بوجودها.

ترك الأكواخ الخربة والبستان القديم، وتابع استكشافه للمكان، ليقـع نظـره فجـأة علـى المنـزل الرئيـس، أو بالأحرى، مـا تبقّى منه: الأساسات، ووسط ما كان بناءً في الماضي، أحجار الطوب المحيطة بمدفأة قديمة. باختصار، لا شـيء. فقد غزت الشـجيرات والأعشـاب

telegram @ktabpdf

الكبيرة قلب المبنى. من المحزن أن يكون هذا كلّ ما تبقّى ممّا كان في الماضي منزلاً، ربّما لوالده أو أجداده.

من دون أن يعرف السبب، أخرج هاتفه من جيبه، وطلب رقم أمّه.

«أنا كوني، كيف حالك؟»

«كالعادة، وأنت؟»

قال في نفسه ساخراً، أمّي دائماً على هذا القدر من الإيجابية. قرّر أن يدخل مباشرة في الموضوع.

«أنا في الأرض، أرضنا، تلك التي تزعمين أنّك لا تعرفينها. بيورسكوغسنيس 4:14».

خيّم الصمت على الطرف الآخر.

«أمّي؟»

أجابته أخيراً ببرود: «أنا أسمعك».

«أتعرفين، المكان جميل هنا. إنّها أرض كبيرة ورائعة، تقع على تلّة. ولو تمّ تنظيف المكان، ستصبح مطلّة على مناظر جميلة».

لم يسمع أيّ جواب.

«يمكننا بناء منزل جديد مكان المنزل القديم. سيكون الأمر رائعاً للأطفال، بوجود بحيرة للسباحة على مقربة من هنا. ما دامت الأرض لنا، لماذا نتركها على هذه الحال؟»

انتظر قليلاً، من دون أن تستجيب أمّه إطلاقاً.

«لماذا لا تجيبين؟»

«لأنّني لا أعرف عمّ تتحدّث».

«أنا متأكد أنّك تعرفين، أمّي. لكنّني أحاول أن أفهم وحسب لماذا لا تريدين مساعدتي؟»

«أنت لا تفهم شيئاً».

«بالضبط. لكن لماذا تعاملنني بعدوانية؟»

نادراً ما كان شوبيرغ ينتقد أمّه. فهو يجد هذا السلوك غير مجدٍ. إنّها شخص متشائم، دائم الخوف، ولكنّها تملك في أعماقها قلباً طيباً. فهي حنونة مع أحفادها، حتّى لو لم تكن سهلة المعشر. قليلاً ما تبتسم في وجههم، لكنّهم يحبّونها مع ذلك.

كانت لديها عاداتها، كأن ترفض التحدّث في أيّ شيء آخر بخلاف الأمور اليومية.

«هل عاش أبي هنا؟ أم أهله؟ عليك أن تجيبينني».

لم يكن ينوي هذه المرّة أن يستسلم بسهولة.

«لا أدري...»

ها قد عادت للشكوى، وبدأ هو يغلي غضباً. لكي تتجنّب أمّه الإجابة على الأسئلة المباشرة التي يطرحها، تستخدم دائماً الأسلوب نفسه. إذ تدّعي أنّها امرأة عجوز تعاني من الخرف. وهذا ليس صحيحاً. لذلك قرّر المضيّ في هذه المسألة حتّى النهاية. سيعرف كيف ولماذا أصبحت هذه الأرض ملكاً لأمّه، ولماذا لا تريدها. صحيح أنّ المسائل العائلية لم تثر اهتمامه يوماً، لكن هذه المرّة يريد أن يعرف الحقيقة. لا ينبغي أن يكون من الصعب إلى هذا الحدّ تتبّع سلالة الأشخاص الذين قطنوا هذا المنزل. فمع أمٍّ مقتصدة في الكلام بهذا الشكل، لم تُذكر هذه القضية على مسمعه في صغره. حتّى إنّه لا يملك أيّ ذكرى لأبيه الذي توفّي عندما كان في سنّ الثالثة.

صاح قائلاً: «تباً، سأعرف الجواب بنفسي».

أغلق الخطّ من دون اللياقات المعتادة، ومن دون وعود بزيارة أمّه المسنّة لإسعادها. لكن بعد ثوانٍ، وبينما كان يحاول أن يهدّئ

telegram @ktabpdf

أعصابه، اعتراه شعور بالذنب. سيتّصل بها مجدّداً في وقت لاحق كما لو أنّ شيئاً لم يكن، ويبقى وفياً للتربية التي تلقّاها. وهكذا ستُنسى الحادثة. لكن هذه المرّة لن ينسى، بل هو مصرّ على معرفة الحقيقة.

شقّ طريقه بين الأشجار عائداً إلى السيّارة. لكن قبل أن يغادر الأرض، استدار ليتأمّل ملكه مرّة أخيرة. وأدرك بحماسة أنّه لا ينوي التخلّي عن مشاريعه بتنظيف الأرض وإعادة إعمارها.

* * *

كان شوبيرغ جالساً خلف المقود، على وشك التوجّه إلى مصحّة فيلينغزبرو، عندما رنّ هاتفه. كانت الساعة الحادية عشرة، وها هي بيلا هانسن تتّصل.

بادرته قائلة: «أفترض أنّ التحقيق في قضية كاثرين لارسن يسير بشكل جيّد».

«كلاّ، لا أظنّ ذلك».

خمّن شوبيرغ نوع المعلومات التي توشك على إخباره بها، وخالجته مشاعر غامضة.

تابع قائلاً: «هذا يعتمد على الزاوية التي ننظر منها إلى القضية». غير أنّه لم يبُح بأيّ تفاصيل عن أفكاره المشتّتة بين سعيه إلى اكتشاف القاتل وخوفه من أن يتزامن ذلك مع سقوط زميل له. «هل حصلتِ على النتائج؟»

«نعم، تمّ تحليل اختبار الأبوّة، وثبت أنّ كريستر لارسن هو والد الطفلين».

شعر شوبيرغ بالارتياح لدى سماع ذلك.

«هذا جيّد، هذا ما كنّا نظنّه. ماذا أيضاً؟»

«وجد المختبر آثار شعر على الكنزتين. لكن بما أنّ الجذور لم

تعـد حيـة، لـم نتمكّن من إجراء الاختبـار التقليدي للحمض النووي. بالمقابـل، أجرينـا تحليـلاً للمتقدّرات (ميتوكوندريـا)، لكن بما أنّنا لا نملك عنصر مقارنة، لم نستطع التوصّل إلى أيّ استنتاج، باستثناء أنّ الكنزتين ارتداهما شخص واحد».

سجّل شوبيرغ هذه المعلومة بصمت. لم يستغرب في الواقع أن يكون إينار هو صاحب الكنزتين.

«أمّا بالنسبة إلى البصمات الموجودة على الأغراض التي أرسلها ساندين منذ ساعة تقريباً، فهي تتوافق مع تلك التي وجدت في شقّة كاثرين لارسن. كما أنّها موجودة على بعض الأشياء التي عُثر عليها فـي مسـرح الجريمـة، كبـاب البرّاد مثلاً. يمكننا الاسـتنتاج بالتالي أنّ الشخص المعنيّ دخل إلى الشقّة».

هـذا الاسـتنتاج أيضاً لم يُثر اسـتغراب شـوبيرغ. فقـد كان إينار مقرّباً جدّاً من كاثرين لارسـن وطفليها ومن الطبيعي أن يزورهم في البيت. وهذا لا يعني أنّه أقدم على قتلهم. لا بل على العكس، عدم وجود بصماته في الشقّة هو الذي كان سيثير قلقه. لكان هذا دلّ على أنّـه حـاول إزالتهـا ليخفي أيّ أثر له عـن فريق الطبّ الجنائي، وليس فقط عن زوجته أو عن فضوليين آخرين ممّن أخفى عليهم بلا شكّ تورّطه المالي معها.

اكتفى شوبيرغ بالإجابة: «حسناً، هل من شيء آخر؟»

أجابت بيلا: «نأتي إلى مسألة الأحذية».

توتّر شوبيرغ فجأة، وتمنّى من كلّ قلبه ألاّ تزفّ إليه زميلته أنباء سيّئة.

«تطابق نعل الحذاء الرياضي مع الآثار التي عثر عليها في الشقّة وعلى الدرج. ووجدت عليها آثار دماء إحدى الضحايا».

telegram @ktabpdf

«دماء كاثرين لارسن؟»

«أجل. أهي أنباء جيّدة أم سيّئة؟»

«جيّدة وسيّئة على السواء. الأمر يعتمد».

«هذا كلّ ما لديّ في الوقت الراهن».

«شكراً لك بيلا».

أنهى شوبيرغ المكالمة محبطاً قبل أن يغرق في أفكاره. بينما كان يقود سيّارته، أخذ يرسم سير الأحداث في رأسه. مثل صباح كلّ سبت، توجّه إينار باكراً إلى فيلينغزبرو بالسيّارة. سلك الطريق الذي يقود عليه شوبيرغ في هذه اللحظة. بعد ذلك، أمضى النهار إلى جانب زوجته قبل أن يعود إلى ستوكهولم في المساء. وصل حوالى الساعة الحادية عشرة. فركن سيّارته أمام منزله، وذهب سيراً على الأقدام إلى منزل كاثرين لارسن، أو كايت، كما يناديها بلا شك. أدخلته من دون أن تطرح أيّ أسئلة. وبعد نصف ساعة، أقدم على ذبحها في الحمّام، قبل أن يُتبعها بولديها النائمَين في الغرفة. أخيراً، غادر الشقّة، وعاد إلى بيته. هناك، بدّل حذاءه ولاذ بالفرار.

إينار إريكسون، ذاك الشرطي الذي لا تشوب ماضيه شائبة، زميله منذ سنوات عديدة، رجل متحفّظ، ومتجهّم قليلاً، هذا أكيد، لكنّه لم يسبق أن آذى أحداً. لكن لماذا كلّف نفسه عناء تغيير حذائه قبل الهرب؟ وعلاوة على ذلك، لماذا ترك حذاءه الملوّث بالدماء في شقّته، كأنّه يعطي زملاءه دليلاً قاطعاً على أنه هو من ارتكب تلك الجرائم البشعة؟ ربّما لم يتوقّع أنّهم سيربطون بينه وبين كاثرين لارسن؟ وهذا الأمر ما كان ليحدث أبداً، لو أنّ جمال لم يشتمّ رائحة الكنزة المعلّقة في المدخل. لكن على الرغم من كلّ شيء... وحتّى لو وُجدت بصمات إينار في كلّ أرجاء شقّة كاثرين لارسن، إلاّ أنه

لم يتمّ اكتشافها على مقبض باب المدخل، أو حنفية الحمام، وهما الشيئان الوحيدان اللذان لمسهما القاتل على ما يبدو.

ثمّة أمر غامض في هذه القصّة. يكمن مفتاح التحقيق في اختفاء إينار والدور الذي لعبه. لكن هل يجعل ذلك منه هو القاتل؟ نفى شوبيرغ ذلك في نفسه. ما الذي حدث إذاً؟ هل شاءت الصدف أن يلتقي إينار بالقاتل؟ ربّما كان المجرم شخصاً أراد تصفية حسابه مع كاثرين لارسن، واستغلّ الفرصة لتوجيه شكوك ضبّاط الشرطة إلى أحد عناصرهم.

لكنّ ما زاد من حيرته هو مقتل الطفلين المسكينين. من الذي يستطيع أن يعتدي بهذا العنف على طفلين في الثانية والرابعة من العمر؟ بدا له ذلك أمراً غير معقول، حتّى من قبل مدمن على المخدّرات في حالة جنون يدمّر كلّ ما في طريقه، فما بالك بشرطي محنّك مثل إينار. في هذه القضية، يبدو أنّ الطفلين دفعا ثمن دورهما المحتمل كشاهدين. ليس لأنّهما شهدا على مقتل أمّهما، لأنّ الأدلّة تشير إلى أنّهما كانا نائمَين في تلك اللحظة، بل ربّما لأنّهما رأيا القاتل على مسرح الجريمة في ذلك المساء، أو ربّما لسبب آخر لم يكتشفه بعد.

هذا ما لم يكن الدافع بالطبع هو الانتقام. وهو احتمال سبق ذكره في مرحلة سابقة من التحقيق. في هذه الحالة، يكون الانتقام موجّهاً إلى الأهل. لكنّ الأمّ ماتت قبل الطفلين، ما يعني أنّ هذا الافتراض لا معنى له من جهتها. أمّا بالنسبة إلى الأب، فهو غير مهتمّ بالأسرة على الإطلاق، ولا معنى لذلك بالنسبة إليه هو الآخر. وماذا لو كان إينار هو الذي أراد القاتل الانتقام منه؟ ففي النهاية، هو أكثر من سيعاني من هذه الجرائم الوحشية. وتوجيه شكوك الشرطة إليه

سيكون مثل ذرّ الملح على الجرح.

أدرك شوبيرغ فجأة أنّ هذه الفرضية الأخيرة هي التي يجب اتّباعها. فما من أحد يقدم على ذبح طفلين بهذه البرودة ما لم يكن بدافع الانتقام. لقد تمّ تنفيذ هذه الجريمة من دون استخدام عنف مفرط ومن دون أيّ أثر للغضب. من المرجّح إذاً أنّ القاتل لم يكن يعرف ضحاياه ولم يتصرّف بدافع الغضب. ربّما كان يغلي من الداخل، لكن ليس ضدّ كاثرين لارسن وطفليها. معهم، لم يفعل سوى ما كان عليه فعله. ولم يرتكب تلك الجرائم الوحشية سوى ضدّ الشخص الذي يشكّل الهدف الحقيقي لكراهيته. عندما أدرك شوبيرغ ما الذي يمرّ به إينار، هذا إن كان لا يزال حياً، أحسّ بالعرق البارد يتصبّب منه. إن كان إينار لا يزال على قيد الحياة، لا شكّ أنّه تعرّض للتعذيب وتمّ إخباره بمصير كاثرين والطفلين. شعر شوبيرغ فجأة بالقلق يتصاعد بداخله. كان يريد أن يمضي قدماً في التحقيق، فضغط أكثر على دوّاسة السرعة، وفي أثناء ذلك، طلب رقم ساندين.

«معك كوني. هل وجدت شيئاً؟»

«ليس حقّاً. لم نستطع أن نضع يدنا على جواز سفره، مثلاً. حتّى لو كان من المفترض أن يمتلك واحداً».

تنهّد شوبيرغ.

«أرسلنا زوجاً من الأحذية فضلاً عن أشياء أخرى إلى المختبر».

«أعرف، فقد اتّصلت بي بيلا».

«وماذا أخبرتك؟»

«وجدوا الشعر نفسه على الكنزتين. والأمر نفسه بالنسبة إلى بصمات الأصابع التي عُثر عليها على مسرح الجريمة».

«وماذا عن الحذاء؟ هل وجدوا عليه دماء؟»

«أجل، دماء كاثرين لارسن. هل لديك قليل من الوقت؟»

«بالطبع. هل تحدّثت مع زوجة لارسن السابقة؟»

«لم تفضِ المقابلة إلى أيّ شيء. يمكننا شطبها من القائمة، فهي تحتضر. لم تتّصل بكريستر لارسن منذ أكثر من ثلاثين عاماً، ولم تذكره بسوء أبداً. وبالمناسبة، أكّد اختبار الأبوّة أنّه هو والد الطفلين، لذلك لا حاجة لإجراء مزيد من الأبحاث من هذه الناحية. لكن ليس هذا ما أودّ التحدّث عنه».

«أنا أسمعك».

«أنا لست راضياً عن المنحى الذي اتّخذه التحقيق. برأيي، إينار هو ضحية مؤامرة. وكلّ هذه القصّة هي انتقام منه. هذا ما أشعر به. وأنا أرفض التصديق أنّه مذنب».

«وماذا حلّ بموضوعيتك؟»

«أنا جادّ في ما أقول. فثمّة أمور في هذه القضية لا تنسجم مع بعضها، وأريد مناقشتها».

«هيّا إذاً، تفضّل».

«لماذا يقدم إينار على قتل أسرة تكبّد كثيراً من العناء لمساعدتها؟»

أجاب ساندين: «يمكنني أن أتخيّل عدّة أسباب؛ الخيبة، الانتقام، الغيرة. ربّما التقت بشخص آخر، أو قطعت علاقتها به. على أيّ حال، قد تكون استغلّت ثقته بطريقة أو بأخرى، وماله أيضاً. لا تنسَ أنّه أنفق مليوني كرونا على تلك المرأة. فإن كانت قد خانته بشكل أو بآخر، من الطبيعي أن يثور غضبه».

اعترض شوبيرغ قائلاً: «لكنّ طريقة القتل باردة جدّاً لا بل سريرية تقريباً. إن كان الدافع هو واحد من الأسباب التي ذكرتها للتوّ، لبدا ذلك في طريقة تنفيذ الجريمة. لكنّا وجدنا آثار غضب أو

telegram @ktabpdf

عنف خارج عن السيطرة.

«ربّما لم يعد يشعر بشيء تجاهها».

«لماذا قتلها إذاً؟»

«ربّما لأسباب مالية».

«بجميع الأحوال، لن يتمكّن من استرداد هذا المال. كفّ عن التكهّن، ينس».

أجاب ساندين، من دون سخرية هذه المرّة: «أنا أحاول أن أبقى موضوعياً وحسب».

«ولماذا يقتل الطفلين؟»

«لأنّه إن لم يقتلهما، سيكشفان أمره».

«هل يمكنك أن تتخيّل إينار وهو يقدم على ذبح طفلين؟»

«بشكل عامّ، يصعب عليّ أن أتخيّل إينار مقدماً على أيّ شيء. وفي الواقع، أنا لا أتخيّل أحداً على وجه الأرض يقوم بذبح طفلين بريئَين. مع ذلك، هذا يحدث دائماً».

أصرّ شوبيرغ على موقفه قائلاً: «لماذا يقوم إينار بإعادة حذائه الملوّث بالدماء إلى خزانته؟ فهو ليس غبياً في النهاية. هل تعتقد أنّه يسعى إلى توجيه الشكوك نحوه؟»

«سبق ورأينا حالات مماثلة».

وافقه شوبيرغ على هذه النقطة على مضض.

تابع ساندين: «لكن بما أنّه قتل الشاهدَين، لا شيء يشير إلى أنّنا كنّا سنكتشف الصلة التي تربطه بكاثرين لارسن».

أجاب شوبيرغ بقناعة: «بل كنّا سنفعل. فحتى لو أنّ الكنزة المعلّقة في المدخل لم تثر شكوك جمال على الفور، كنّا سنكتشف العلاقة بين الكنزتين في وقت ما. هذا بالإضافة إلى أنّ موظّفي

الحضانة يعرفونه».

«إن كان يعيش في الخارج، لن يكشف أمره أحد».

تنهّد شوبيرغ محبطاً. بدّل سرعة السيّارة، وترك الطريق العامّ ليسلك الكيلومترات الأربعة الأخيرة التي تقوده إلى مصحّة سولبيرغا.

«ينس، إمّا أنّك تلعب دور محامي الشيطان، أو أنّك لا تصدّق فرضيّتي على الإطلاق».

«أنا أعتقد أنّ الأدلّة تتحدّث عن نفسها. فإن وجدنا عند إينار حذاء له ملوّثاً بالدماء، هذا يعني أنّه هو من وضعه هناك».

سأله شوبيرغ محاولاً التمسّك بأمل أخير: «هل نحن واثقون أنّه ينتمي إلى إينار؟»

«نعم، فقد وجدنا بطاقة الاستلام».

«من السهل جدّاً سرقته من إينار لارتدائه عند ارتكاب الجريمة ومن ثمّ إعادته إليه».

قاطعه ساندين بجفاف: «في أحد أفلام أغاثا كريستي، نعم، هذا ممكن. لكن في واقع الحياة، لا تجري الأمور على هذا النحو. فالقتلة يتصرّفون بعجل، تحت الضغط، ولا يكونون في أغلب الأحيان بوعيهم التامّ».

«لكن ليس القاتل الذي نتحدّث عنه، ينس! وهذا ما أريد الوصول إليه. قاتلنا بارد ودقيق. فقد نُفّذت الجرائم بهدوء، من دون أيّ إهمال».

«حسناً. على أيّ حال، بتّ أعرف رأيك الآن».

شعر شوبيرغ أنّ ساندين ليس الوحيد الذي يخالفه الرأي. لا شكّ أنّه الشخص الوحيد الذي ما زال يأمل ظهور براءة إينار. لحسن الحظّ، هو صاحب القرار في هذه القضية، وينوي الاستفادة من ذلك.

* * *

لم يكن بونتوس أورستيد مدرجاً في الدليل، لكنّ سرعان ما زوّد قسم الأحوال الشخصية جمال بالمعلومات المتعلّقة به. ولم تكن الساعة قد تجاوزت العاشرة عندما وقف هذا الأخير عند باب شقّة بونتوس في شارع سوربرونسغاتان، في حيّ فاساستان. من الواضح أنّ الرجل شديد الاحتياط، لأنّه لم يسمح لجمال بالدخول إلاّ بعد أن أظهر له بطاقة الشرطة من خلال ثقب الباب.

كان الشابّ يصغره ببضعة أعوام. استقبله بسروال قصير، كاشفاً جسمه العضلي. أمّا شعره، فكان مشعّثاً.

سأله جمال: «هل تنام متأخّراً؟»

أجاب أورستيد: «وما شأنك. ما سبب وجودك هنا؟»

«الأمر يتعلّق بموقعك، أماتور6. أريدك أن تمسح عنه بعض الحماقات التي تثير غضب عدد من الناس».

مرّر بونتوس يده في شعره، وانفجر ضاحكاً.

«آه، فهمت. أؤكّد لك أنّ هذه الصفحة تثير كثيراً من الناس».

«هذا ممكن، لكن ربّما ليس الأشخاص الذين يظهرون فيها تحديداً».

«هل لاحظت ما هو اسم الموقع، إنّه يعني الهواة. إنّهم هواة سعداء أرسلوا إليّ أفلاماً بمحض إرادتهم، وأرادوا عرض كلّ شيء».

«أنا أعرف اثنتين على الأقلّ لا يسرّهما ذلك. وأريد أن تمسحهما عن الموقع».

«وإلاّ؟»

«وإلاّ، سأحرص على أن تواجه المشاكل، ثق بذلك».

قال أورستيد ساخراً: «النجدة، أنا خائف! هل تهدّدني».

«كلاّ، أفضّل أن أنفّذ».

«وما هي التهمة التي ستوجّهها إليّ؟»

«السمسرة».

توتّرت نظرات أورستيد، الأمر الذي اعتبره جمال إشارة جيّدة.

أمره جمال قائلاً: «أرني الموقع».

أغلق أورستيد الباب خلفهما، وتوجّه إلى المطبخ، والشرطي في أعقابه. كان الكمبيوتر موضوعاً على الطاولة.

نظر جمال حوله، ولاحظ أنّ تأثيث الشقّة لا يتوافق مع صورة الشاب المعني.

سأله: «هل الشقّة مستأجرة من الباطن؟ لديك ستائر دانتيل جميلة!»

لم يجبه أورستيد. ظهرت صفحة الموقع الرئيسة على الشاشة.

«ما هي الأفلام التي تبحث عنها؟»

«لوسي في السماء، والشرطي الصالح والشرطي السيّئ».

«آه تباً... هل جيني هي التي أرسلتك؟»

أصبح أورستيد أكثر مرحاً من جديد، بينما ظهرت على وجه جمال ملامح الازدراء.

«هذا لا يعنيك. كيف حصلت على فيلم الشرطي الصالح والشرطي السيّئ؟»

أرسله إليّ أحدهم، شخص غريب. لكن فيلم لوسي أنا الذي حمّلته، ولا تقل لي إنّها لا تحبّ ذلك».

ابتسم مجدّداً.

«هي لا تفهم ماذا تفعل، وأنت تعرف ذلك. هل لديك أفلام أخرى لها؟»

telegram @ktabpdf

«كلاّ».

«امسحه إذاً. وإن عثرت مرّة أخرى على صور كهذه لجيني، سأعود إليك فوراً. وهذه المرّة لن أكون بمفردي».

نفّذ أورستيد الأمر على الفور.

«امسح الفيلم الآخر أيضاً. وأريدك أن تخبرني من هو الشخص الذي أرسله. هل أنت الذي أعطيته هذا العنوان؟»

«لا أظنّ ذلك. كيف لي أن أعرف أنّها شرطية حقيقية؟ فأنا لم أرها كثيراً بالزيّ الرسمي».

راح يضحك ساخراً بحيث رغب جمال بلكمه بعنف، لكنّه تمالك نفسه. بعدما بحث أورستيد في قائمة الرسائل الواردة، عثر أخيراً على المرسِل المعنيّ.

«ها هو».

بالفعل، كان المرسِل هو الذي أعطى العنوان للفيلم. وكانت الرسالة قصيرة المرافقة تشير إلى أنّ الشخصين اللذين يظهران في الفيلم رغبا في إرضاء فضول المشاهدين ببعض اللقطات الجيّدة المأخوذة من غرفة نومهما. دوّن جمال تاريخ وساعة الإرسال. أمّا بالنسبة إلى اسم المرسِل، فلن يجد صعوبة في تذكّره.

أمره قائلاً: «امسح هذه الرسالة وأفرِغ سلّة المهملات، في البريد الإلكتروني وفي الكمبيوتر».

قال أورستيد ساخراً وهو يطيعه: «أظنّ أنّني بدأت أفهم».

قاوم جمال رغبته، وغادر الشقّة من دون أن يلمس شعرة واحدة من رأس أورستيد.

عصر الخميس

بعدما تناول شوبيرغ طبقاً لا طعم له من كرات اللحم مع البطاطس المهروسة في مطعم على الطريق السريع، وهو يتصفّح مجلّة بشرود، عاد ليجلس خلف المقود. كان قد أوشك على الوصول إلى مصحّة سولبيرغا، فسلك شارعاً طويلاً محاطاً بالأشجار من الجانبين يؤدّي إلى المبنى. كان هذا الأخير عبارة عن بناء مهيب ذي جدران صفراء مزيّنة بزخرفات حلزونية عند الزوايا ومحاطة بجناحين. والمبنى بأكمله يقع وسط الحقول. تخيّل أنّ البحيرة المذكورة في الكتيّب تقع خلف المبنى.

ركن سيّارته جانباً، وأطفأ المحرّك. لكن قبل أن يدخل، أراد التحدّث مع جمال. فأخرج هاتفه المحمول وطلب الرقم.

«معك جمال».

«أجبت قبل أن يرنّ الهاتف».

«لأنّني شغّلت الرجراج. كيف تسير الأمور؟»

أخبره شوبيرغ باختصار عن مقابلته غير المجدية تقريباً مع إنغيغيرد ريدن.

«يمكننا أن ننسى أمرها إذاً. لقد وصلتُ للتوّ إلى مصحّة سولبيرغا لأتحدّث مع زوجة إينار. ماذا عنك أنت؟»

«تأكّدت من أمر واحد، أنّ إينار إريكسون لم يغادر البلاد بالطائرة، كما أنّه لم يحجز تذكرة بحراً أو بالقطار باسمه. بالتالي،

telegram @ktabpdf

إمّا أن يكون اشتراها مباشرة، أو استخدم السيّارة، أو غيّر هويته».

«أشار شوبيرغ: «أذكّرك أنّه بحسب فرضيتنا، ما زال في البلاد وعلى قيد الحياة».

تمتم جمال بإجابة غير مفهومة.

«هل لديك شكوك حيال المسألة؟»

«إن كان جواز سفره مختفياً، أظنّ أنّه غادر البلاد. من المحتمل أيضاً أن يكون مختبئاً في مكان ما في السويد، لكنّ هذا العمل يعتبر غباءً من جهته، لأنّه سيتم العثور عليه حتماً في نهاية المطاف. ووجود بصماته في كلّ مكان، بالإضافة إلى الدماء التي وجدت على حذائه...»

«هل تحدّثت مع سانديين؟»

«نعم».

شعر شوبيرغ بشيء من الانزعاج، لكنّه أخفاه وحاول أن يعرض فكرته لجمال بطريقة موضوعية.

أجاب جمال: «أنا أفهمك، لكن بحسب خبرتي، فإنّ الوقائع غالباً ما تتناسب مع الظواهر».

بعد هذا التعليق، عدل شوبيرغ عن رغبته في إقناع زملائه، وقرّر أن يتقبّل شكوكهم. على أيّ حال، هو المكلّف بهذا التحقيق وعليهم اتّباع أوامره. هكذا، غيّر الموضوع.

«وماذا عن الكمبيوتر؟»

«لم أجد شيئاً هاماً حتّى الآن، لكنّني لم أنتهِ بعد».

«أريدك أن تلقي أيضاً نظرة على الوثائق الموجودة على مكتب إينار، وكذلك تلك الموضوعة على الرفوف. اطّلع على التحقيقات التي يتولاّها وتلك المصنّفة. وحاول أن تعرف تحديداً ما إذا كان ثمّة شخص لديه سبب للانتقام منه».

أطلق جمال تنهيدة طويلة، وتظاهر شوبيرغ كأنّ شيئاً لم يكن.

«اتّفقنا؟»

«اتّفقنا. وماذا أفعل بالنسبة إلى الاستجوابات؟»

«ستهتمّ بها بعد الانتهاء من مسألة الأوراق. فالأمر لن يستغرق وقتاً كما تظنّ. بالتوفيق».

«وأنت أيضاً».

* * *

شغّل شوبيرغ محرّك السيّارة مجدّداً، ثمّ ركنها في الموقف الواقع أمام أحد أجنحة القصر المهيب، وتوجّه إلى المدخل، فوق الحصى المصفوفة بعناية. لاحظ أنّ الثلج الذي يغطّي المساحات المزروعة أمام واجهة المبنى قد بدأ يذوب، معلناً اقتراب أجواء أفضل. أمّا بالنسبة إلى أزهار الربيع التي ستتخلّلها، فما زال الوقت مبكراً. فقد بدأت تزهر للتوّ، ومع التربة التي لا تزال صلبة، تتردّد أزهارها الطرية بالتصديق أنّ الربيع قد عاد.

صعد شوبيرغ السلّم ورنّ على جهاز الاتّصال الداخلي. لم يجبه أحد، ففتح الباب ودخل.

كانت قاعة الاستقبال عادية جدّاً. جلست امرأة مسنّة ترتدي قميصاً أبيض خلف حجرة استقبال ذات نافذة زجاجية، وتدلّت نظّارتها من عنقها. ابتسمت له عندما اقترب.

قال شوبيرغ: «مرحباً. أتيت لرؤية سولفاي إريكسون».

أجابته بصوت مليء بالدهشة: «آه، حقّاً؟ إنّها في الغرفة 230. اصعد إلى الطابق الثاني. تقع غرفتها في آخر الرواق إلى يسار الرواق الأيمن عندما تخرج من المصعد».

شكرها شوبيرغ وتوجّه إلى المصعد. في طريقه إلى الأعلى،

telegram @ktabpdf

فكّر أنّه كان يجدر به إحضار شيء ما، كباقة من الأزهار أو علبة من الشوكولاته. لكن في النهاية، أتى إلى هنا للعمل. حتّى إنّه لا يعرف أذواق سولفاي إريكسون أو حساسيّاتها.

كان الرواق المطلي باللون الأبيض ينتهي عند نافذة وحيدة. زيّنت الجدران الفاصلة بين أبواب الغرف نسخ من لوحات شهيرة، وتوزّعت النباتات هنا وهناك. لمس شوبيرغ إحدى الأوراق بأصابعه، وأدرك أنّها مصنوعة من البلاستيك. فما من نبتة يمكن أن تعيش في مكان خفيف الإضاءة كهذا. تابع طريقه وصولاً إلى الباب الأخير الواقع إلى اليسار، وطرق عليه. طرق أوّلاً بهدوء وحذر. لكن عندما لم يأته أيّ جواب، طرق مجدّداً بقوّة أكبر. لم يجبه أحد هذه المرّة أيضاً، فخفض المقبض، وفتح الباب قليلاً.

شعر أنّه في فيلم سينمائي. فقد جلست امرأة على مقعد أمام النافذة، ظهرها إليه، وغطّت ساقيها ببطّانية. أسندت ذراعيها إلى ذراعي المقعد من دون أن تتحرّك، بينما دخل إلى تلك الغرفة المشرقة، ودُهش عندما اكتشف أنّها مؤثّثة بأمتعة شخصية. كانت الغرفة واقعة عند زاوية المبنى، بحيث تستفيد من نافذتين زُيّنت حوافهما بالنباتات المزروعة في أوعية مختلفة الأشكال. عُلّقت على الجدران لوحات حقيقية، ليست ذات قيّمة كبيرة بلا شكّ، لكنّها أصلية. احتلّ الجدار الفاصل بين الغرفة والممرّ سرير مرتّب ومكسوّ بغطاء يدوي الصنع. على الطاولة المجاورة، رأى صورة الزفاف نفسها المعلّقة في منزل إينار، يحيط بها إطار جميل وقديم من الفضّة. أمّا من الجهة الأخرى، فوضعت منضدة قديمة الطراز، وتوزّعت عليها صور أخرى للزوجين الشابّين في وضعيات مختلفة. واحتلّ وسط الغرفة طقم مؤلّف من أريكة صغيرة ومقاعد من طراز الروكوكو الأنيق. وغُطّيت الطاولة

المرفقة بمفرش من الدانتيل، وضعت فوقه نبتة بغونيا. لكنّ الشيء الوحيد الذي لفت نظر شوبيرغ هو غياب الكتب والتلفاز. كيف أمضت كلّ هذه السنوات في هذا المكان من دون أن تقرأ؟

اقترب من النافذة بخطى ثقيلة، لكي تلاحظ وجوده، أو تشعر به على الأقلّ. لكنّها لم تتحرّك.

بادرها شوبيرغ قائلاً: «مرحباً سولفاي»، وعندئذٍ رأى وجهها.

كانت نظرتها الشاردة موجّهة إلى الباحة. لم تردّ على تحيّته. فوضع يده على كتفها ليظهر وجوده.

«أدعى كوني شوبيرغ، وأنا زميل زوجك».

لم يظهر عليها أيّ ردّ فعل.

«إينار، نحن نعمل معاً في قسم الشرطة».

لم يظهر عليها أيّ تعبير يشير إلى أنّها سمعت أو فهمت. كان من المستحيل إيجاد الشابّة الجميلة التي تظهر في صورة زفاف في هذه المخلوقة بظهرها المحنيّ وجسدها النحيل. كان شعرها أبيض وقصيراً. أمّا عيناها، فلم يرَ فيهما أيّ شعاع للحياة. تساءل شوبيرغ ما الذي حدث لها. هل تعيش على هذه الحال منذ أواسط السبيعينيات؟ سرت رعشة في جسده عندما فكّر بالعناء الذي تكبّده إينار كلّ تلك السنوات، كلّ سبت. ماذا يفعل؟ هل يتحدّث معها؟ هل يجلس معها على الأريكة، ويحيطها بذراعه ليروي لها أحداث الأسبوع؟

فجأة، أدرك شوبيرغ مدى طيبة إينار وإخلاصه. فقد التزم فعلاً بعهد البقاء مع زوجته في السرّاء والضرّاء. لم يشترِ ذاك المنزل لكي يعيش فيه بمفرده. بالتأكيد، كان يتمنّى أن تشفى سولفاي وتعود للعيش معه. ولا يمكن لأحد أن يلومه على علاقته بامرأة أخرى. هو نفسه كان ليتخلّى عن عهده منذ زمن طويل لو كان مكانه. لكنّ

إينار لم يتخلَّ أبداً عن هذه المرأة التي تزوّجها في الماضي، حتّى بعد لقائه بكاثرين لارسن. أمسك شوبيرغ بيد السيّدة إريكسون.

«سولفاي، أشيري إليّ ما إذا كنت تسمعينني. يكفي أن تحرّكي أصابعك. سولفاي، أنا صديق إينار».

لم تتحرّك الأصابع الرخوة في يده. وظلّ نظرها مركّزاً على نقطة خلف النافذة.

«هل تظنّين أنّ إينار قادر على قتل أحد، سولفاي؟ هل هو قادر على قتل طفلين صغيرَين؟»

لم يبدُ عليها أيّ ردّ فعل. لو أنّها استوعبت ما قاله للتوّ، ألن تبدي شيئاً من الفضول لمعرفة ما جرى؟ تساءل ماذا يمكن أن تفعل لو صفعها. غير أنّه طرد هذه الفكرة بسرعة واختار التهديد. سياسة الجزرة والعصا. فهذه الطريقة تنفع دائماً مع الأطفال، غير أنّه ليس متأكّداً من فاعليتها في هذه الحالة. سحب يده، فسقطت يد سولفاي على الغطاء الموضوع على ركبتيها.

«سولفاي، لقد اختفى إينار. وإن لم تساعديني، قد لا يعود لرؤيتك أبداً».

واصلت سولفاي إريكسون التحديق في الفراغ. عندئذٍ قرّر شوبيرغ الاستسلام وغادر الغرفة.

عندما عاد إلى قاعة الاستقبال، لم يجد السيّدة التي كانت جالسة هناك. طرق على الزجاج، فخرج رجل في الثلاثينيات من عمره من غرفة مجاورة وأتى إليه.

«أريد التحدّث مع شخص يعرف سولفاي إريكسون».

أجابه الممرّض مبتسماً: «كلّنا نعرفها».

«أفضّل شخصاً كان يعمل هنا عند وصولها. أريد الموظّفة الأقدم

في سولبيرغا».

«في هذه الحالة... لا بدّ أن تكون آن بريت. سأناديها. من تكون حضرتك؟»

«كوني شوبيرغ، كبير المحقّقين في القضايا الجنائية لدى شرطة ستوكهولم».

رفع الممرّض أحد حاجبيه مستغرباً قبل أن يتناول سمّاعة الهاتف.

بعد عدّة محاولات، استطاع الاتّصال بها. بعد ذلك، عرض على شوبيرغ الجلوس لانتظارها.

«إنّها مشغولة مع إحدى المريضات، ستأتي فور انتهائها».

جلس شوبيرغ على مقعد صغير، قاسٍ وغير مريح. ثمّ راح يتفحّص مجلّة ديكور وقد غمره شعور بالإحباط. بعد عشر دقائق، عاد الرجل حاملاً كوباً من عصير البرتقال، ووضعه على الطاولة أمامه.

«أنا آسف، استغرق الأمر أكثر ممّا كان متوقّعاً. قالت لي آن بريت إنّها ستأتي بأسرع وقت ممكن».

ابتسم له شوبيرغ ممتنّاً. وبعدما رحل الممرّض، ترك خلفه رائحة الصابون. فجأة، خطرت في باله مارغيت. اهتمامها غير المتوقّع، جمالها، سحرها، وقع حذائها الناعم. لكن فجأة، ومن دون أن يعرف كيف، تخيّل نفسه ممدّداً على طاولة العمليّات، بينما انحنت مارغيت فوقه، ورمقته بنظرة فضولية، وقد غطّت كمّامة الجزء الأسفل من وجهها. كان تحت رحمتها، بينما ترتدي قفّازات، وتحمل أداة معدنية. كانت هادئة، ومخيفة.

بدت الصورة مفاجئة ومرعبة بحيث أحسّ أنّه ما زال يرتجف عندما مدّ يده لتناول الكوب. في تلك اللحظة، شعر كم أنّ لا وعيه

يستخدم كلّ الوسائل لوضح حدّ لهذه... العلاقة، وتدمير تلك المرأة.

بعد عشرين دقيقة، ومجلّتين، أتت آن بريت بيرغ أخيراً. عرفها على الفور، كانت المرأة نفسها التي استقبلته عند وصوله. بدت في العقد السادس من عمرها، ومن المحتمل أن تكون قد بدأت بالعمل هنا حتّى قبل وصول سولفاي إريكسون.

مدّت يدها لمصافحته قائلة: «آن بريت بيرغ، آسفة على تأخّري. كنت أساعد زميلتي على تحميم أحد المقيمين هنا. فهو صعب المراس بعض الشيء.

حيّاها شوبيرغ وعرّفها بنفسه.

«أنا أراك هنا للمرّة الأولى، هل أنت من الأسرة؟»

«كلاّ، أنا هنا في زيارة مهنية. أرغب في التحدّث مع شخص يعرف سولفاي منذ مدّة طويلة. وإن لم أكن مخطئاً، أنت هنا منذ مدّة، وربّما منذ دخولها للاستشفاء؟»

ابتسمت الممرّضة قائلة: «هذه الكلمة غير مناسبة لهذا المكان. فسولبيرغا هي مكان للسكن. وسولفاي ليست مضطرّة للبقاء طريحة الفراش. لكن باستثناء ذلك، أنت على حقّ. أنا أعمل هنا منذ عام 1977، أي منذ ستّة وثلاثين عاماً تقريباً».

«ما هو مرضها؟»

«مع الأسف، لا أستطيع الإجابة عن هذا السؤال. فالمسألة سرّية».

حاول شوبيرغ مجدّداً: «حسناً، فلنطرح المسألة بطريقة مختلفة. لقد قمت بزيارتها، وأظنّ أنّني أعرف ما بها. من الواضح أنّها في حالة لا مبالاة، الأمر الذي يدفعني إلى الاعتقاد أنّها تعاني من إجهاد ناتج عن صدمة ما أو شيء من هذا القبيل. هل كانت على هذه الحال

عند وصولها؟»

«أنا آسفة حقاً. فنحن لا نملك الحقّ بالتحدّث عن المقيمين هنا مع أشخاص آخرين باستثناء أقربائهم. ولو قلتُ المزيد، قد أضطر إلى تحمّل العواقب. حتّى إنّه من المحتمل أن تُرفع شكوى ضدّي».

رسم شوبيرغ على وجهه ملامح الجدّية وأجابها بنبرة ودودة وحازمة.

«المشكلة هي أنّ قريبها الوحيد، زوجها إينار، اختفى منذ خمسة أيّام. أنا مكلّف بالتحقيق، ومقتنع أنّه من صالح سولفاي أن نعثر عليه. لذلك من الضروري أن أحصل على بعض الأجوبة».

«لكنّ سولفاي عاجزة عن قول شيء. فهي لا تتحدّث مع أحد، ولا حتّى مع إينار. مع ذلك، يمضي كلّ سبت إلى جانبها».

«لهذا السبب أنا أحاول معك. يكفي أن تجيبي على أسئلتي بهزّة من رأسك. هكذا، لا يمكن لأحد أن يتّهمك أنّك أكثرتِ من الكلام».

لم تجبه، بل اكتفت بالنظر إليه بقلق.

كرّر شوبيرغ سؤالها: «هل كانت على هذه الحال عند وصولها؟»

ألقت آن بريت بيرغ نظرات قلقة حولها، قبل أن تهزّ رأسها موافقة بحذر. شعر شوبيرغ بارتياح. فبعدما قام في يوم واحد باستجواب ثلاث نساء لزمن الصمت (بمن فيهنّ أمّه)، قرّرت الرابعة أن تكون عقلانية أخيراً. ألقى نظرة نحو حجرة الاستقبال، ولاحظ أنّ بابها مغلق وأنّ أحداً لن يسمعهما.

تابع قائلاً: «ألهذا السبب أُحضرت إلى سولبيرغا؟»

هزّت الممرّضة رأسها إلى الأسفل مجدّداً.

«هل كانت تعاني من مرض آخر يبرّر وجودها هنا؟»

هزّت المرأة رأسها نافية، وبدت أكثر استرخاءً.

telegram @ktabpdf

«هل تغيّرت حالتها مع الوقت؟»

كلاّ، لم تتغيّر.

«وهل هي بحال جسدية جيّدة؟ هل تستطيع السير؟»

نعم.

«ومن الناحية الصحية، هل هي مستقلّة؟»

بعد لحظة من التفكير، بدت نابعة من رغبتها في الحفاظ على احترامها لتلك المرأة أكثر من خوفها من إفشاء سرّ طبّي، هزّت رأسها نافية.

«هل يمكنها أن تأكل بمفردها؟»

كلاّ.

«هل السبب هو إجهاد ناتج عن صدمة؟»

رفعت كتفيها وألقت نظرة مرتابة حولها قبل أن تجيب: «على الأرجح. فمن الصعب تشخيص هذه الحالة. يتحدّث بعض الأطبّاء عن حالة صمت عامّة».

سألها شوبيرغ ممازحاً لتلطيف الأجواء: «وكيف يلتقط المرء هذا المرض؟ أهو معدٍ؟»

ابتسمت له آن بريت بيرغ بامتنان.

«بالطبع لا، الأمر ناتج على الأرجح عن إجهاد زائد. فعندما يتعرّض الإنسان لصدمة، أو عندما يشعر بالكآبة، يقرّر أحياناً أن ينعزل عن العالم».

«إنّه خيار إذاً؟»

«نعم، يمكن قول ذلك. لكنّ السبب يرجع خصوصاً إلى عدم قدرة المريض على مواجهة الحياة».

«أي أنّه حلّ آخر غير الانتحار؟»

«هذا القول مبالغ فيه ربّما. فأنا ممرّضة، ولم أدرس علم النفس. لمناقشة هذه الأمور، يجدر بك التحدّث مع طبيب أو خبير نفسي».

«وفي حالة سولفاي؟»

«لم أفهم سؤالك».

«ما هو سبب إجهادها؟»

«في الحقيقة، لا أعرف شيئاً. أظنّ أنّني طرحت السؤال على إينار منذ مدّة طويلة، لكنّه لم يجب أبداً. لا شكّ في أنّ بعض الأشخاص هنا كانوا يعرفون، أمّا أنا، فكنت مجرّد فتاة صغيرة ولم أتدخّل. غير أنّني أذكر أنّ التطرّق للموضوع كان محظوراً».

«كيف هو إينار؟ هل تعرفينه؟»

«بالطبع أعرفه! إنّه شخص متحفّظ، بالغ اللطف، ورائع مع سولفاي. كان إلى جانبها دائماً. يخرج معها في نزهات طويلة. في البداية، كان يدعها تمشي لكي تقوم ببعض الحركة، ثمّ أصبح يجرّها في كرسيّها المتحرّك. وغالباً ما أسمعه يتحدّث معها في غرفتها. غير أنّها لا تجيبه أبداً، ولا تنظر إليه حتّى. وعلى الرغم من كلّ شيء، بقي موجوداً، عاماً بعد عام».

«ماذا تعرفين عنه؟» أضاف وهو يغمزها: «إجابتك عن هذا السؤال لا تعدّ إفشاءً لسرّ طبّي».

«بلى، فالأمر يتعلّق أيضاً بالأسرة. بصراحة، لا أعرف الكثير عنه. أعرف أنّه من الشرطة، وأنّه ظلّ يعيش في أربوغا خلال العامين الأوّلَين، قبل أن ينتقل إلى ستوكهولم. ربّما أدرك أنّ حالة سولفاي لن تتحسّن، وقرّر أن يبدأ من جديد. أعني على الصعيد المهني».

«ألم تدخل امرأة أخرى إلى حياته؟»

«لا أعرف شيئاً عن ذلك. فهو ليس كثير الكلام، كما تعرف.

telegram @ktabpdf

لكن في السنوات الأخيرة، كنت أجده أكثر فرحاً».

«حقّاً؟»

لم يلاحظ شوبيرغ ذلك. لا بدّ من القول إنّ سمعة إينار كشخص نكد مترسّخة تماماً في قسم الشرطة. وبما أنّ الجميع ينظرون إليه دائماً من هذه الزاوية، لم يسعَ إلى تغييرها.

قالت بشيء من الإرباك: «مع ذلك، لا بدّ لي من الاعتراف أنّني سمعته مرّة يتحدّث عن شيء كهذا مع سولفاي. كان يتكلّم بحماسة، ويخبرها أنّه يعرف امرأة لديها طفلان، وأنّه يهتمّ بهما عندما تكون في العمل، ويذهب لإحضارهما من دار الحضانة، ويلعب معهما. قال إنّهم رائعون، وشعرتُ أنّ الأمر يتعدّى الصداقة. في الوقت نفسه، بدا لي من الغريب أن يصف بهذا السرور أسرته الجديدة لزوجته، حتّى لو لم تهتمّ يوماً بما يقول. لا بدّ أنّني أسأت الفهم».

فكّر شوبيرغ بما سمعه للتوّ. بالنسبة إلى إينار، ربّما بقيت زوجته هي المؤتمنة على أسراره، كالعادة. إينار إريكسون، ذاك الرجل الكئيب الذي يبوح بأفراحه وأتراحه اليومية إلى المرأة التي اختارت مشاركته حياته منذ زمن طويل. هل فكّر أنّها تسمعه؟ أم أنّه أخبرها كلّ شيء لأنّه كان يعرف أنّها لن تخون ثقته أبداً؟ هل أراد وحسب أن يملأ الصمت بكلامه وأن يجسّد بالكلمات أفكاراً أو أحاسيس ما كان ليعبّر عنها يوماً؟ أم أنّه فكّر أنّ معلومات كهذه قد تحرّك فيها ساكناً؟ هل اعتقد أنّه يستطيع بذلك أن يولّد لديها ردّ فعل، إيجابياً كان أم سلبياً؟ ربّما أراد أن يجرحها، أو أن يخرجها ببساطة من برودها».

سألها شوبيرغ: «هل يزورها أحد آخر؟»

«كلاّ، على الإطلاق. في الماضي، كان والداها يأتيان، لكنّهما توفيا منذ سنوات. وأصبح إينار هو الزائر الوحيد. هل لديك أيّ فكرة

عمّا حلّ به؟»

كذب شوبيرغ مجيباً: «مطلقاً».

في الحقيقة، لم يجد أيّ سبب لتغيير صورة إينار في أعين موظّفي سولبيرغا. لذلك، اكتفى بإخبارهم باختفائه.

«إذاً، مساء السبت الماضي، غادر سولبيرغا عند الساعة التاسعة تقريباً؟»

«بالضبط. فهو يأتي حوالى الساعة التاسعة صباحاً ويرحل حوالى التاسعة مساءً، كلّ سبت».

«وهل يحضر أحياناً شيئاً لسولفاي؟»

«أجل، في بعض الأحيان يحضر أشياء تلزمها، كملابس جديدة مثلاً».

«ويوم السبت الماضي؟»

«لا شيء، فأنا التي استقبلته».

فكّر شوبيرغ بصوت عالٍ قائلاً: «لم يُحضر إذاً هدية وداع، لا شيء يشير إلى نيّته في الرحيل».

هزّت آن بريت رأسها بقلق، بينما غيّر شوبيرغ الموضوع.

«ألا تقرأ شيئاً؟ لم أرَ لا كتباً ولا جرائد في غرفتها. كما أنّني لم أرَ تلفازاً أيضاً».

«كلاّ، فسولفاي لا تكترث للعالم المحيط بها. ثمّة جهاز تلفاز في غرفة الجلوس المشتركة، وأحياناً نصطحبها إلى هناك، إلاّ أنّها لا تنظر أبداً إلى الشاشة، بل تحدّق دائماً إلى مكان آخر. كما أنّها لا تكترث لبقية المقيمين هنا، أو للموظّفين. تعيش معزولة عن كلّ شيء وعن كلّ الناس».

«يبدو هذا عذاباً حقيقياً. هل سبق وآذت نفسها جسدياً؟ هل

حاولت الانتحار؟»

«كلاّ، إطلاقاً. عموماً، هي لا تُظهر جانبها الإنساني، إن جاز التعبير. ذلك أنّ الأشخاص الذين يحاولون إيذاء أنفسهم يرغبون عادة في تذكّر أنّهم ما زالوا على قيد الحياة. وأشعر أنّ سولفاي... لا تريد ربّما أن تتذكّر».

«مع ذلك، ما زالت على قيد الحياة، وسجينة لجسدها، ترفض أيّ متعة. ربّما كانت تعتقد أنّها لا تستحقّ الموت».

فتحت آن بريت بيرغ كفّيها في إشارة إلى أنّها عاجزة عن إضافة أيّ شيء. فرغ شوبيرغ من أسئلته، فنهض عن كرسيّه الصغير غير المريح.

مدّ يده لمصافحة الممرّضة قائلاً: «شكراً لك».

حيّته بشيء من الخجل، كما لو أنّها تأسف على خيانة السرّ المهني، أو تعتقد أنّها لم تقل شيئاً مفيداً.

تركها تعود إلى أشغالها، ثمّ سمع صوت ارتطام الباب الثقيل وهو يُغلق، ورحل تاركاً خلفه سولبيرغا وسولفاي إريكسون.

* * *

كان يشتمّ من وقت إلى آخر رائحة مثيرة للاشمئزاز، منبعثة من المخلوق البائس الذي أصبح عليه. فقد اعتاد أنفه في النهاية على الروائح القذرة. مضت عليه خمسة أيّام في الأسر، مقيّد اليدين والقدمين، وممدّداً على أرض هذا الكوخ، بسرواله المبتلّ والمتّسخ، في مجال أصغر من مساحة الحجرة، لأنّه محدود بطول الحبل الذي يقيّده إلى الجدار.

كان يشعر بالألم في كلّ أنحاء جسده بسبب الوضعيات الصعبة، والبرد، وقلّة النظافة، والجوع، والعطش. فالماء القليل الذي تمكّن من

رشفه من الوعاء بعيد المنال أساساً لم يكفِ ليروي ظمأه طويلاً، كما أنّ الفتات المتناثر على الأرض الذي تمكّن من ابتلاعه لا يمكن أن يملأ معدته. في اليومين الأوّلين، امتنع عن قضاء حاجته. لكن في اليوم الثالث، أصيب بإسهال. هكذا لم يعد قادراً على السيطرة على نفسه، كما أنّه لم يعد يحاول.

عندما ألقي في هذه الحجرة وهو غائب عن الوعي، خسر اثنين من أسنانه بفعل الركلات التي تعرّض لها. وأصبح الآن عاجزاً عن فتح إحدى عينيه لأنّ جفنه التصق بالدم الجاف الذي سال من جبينه. لديه إصبعان مكسوران، هذا بالإضافة إلى عدّة أضلع من دون شكّ. مع ذلك، كان البرد القارس هو مصدر المعاناة الأكبر. فجسده يرتجف باستمرار، حتّى لو حاول الاسترخاء لتوفير طاقته.

تخلّى منذ مدّة طويلة عن الأمل في إسماع صوته لأحد من المارة، أو جعل أحد يفهم أنّ أمراً غريباً يجري في هذا الكوخ. فرصته الأخيرة، مهما تكن ضئيلة، تتمثّل في الحبال التي تشدّ معصميه. فإن تمكّن من حلّها بما فيه الكفاية، سينجح في تحرير يديه. هكذا عاد يشدّها، على الرغم من الألم الذي تسبّبه تلك الحركة. راح يشدّها في كلّ الاتجاهات، عشر مرّات، عشرين مرّة... بعد عشرين دقيقة، لم يكن قد عاد إلى السيّارة. فتساءلَت إلى أين ذهب، من دون أن تفهم لماذا تستغرق زيارة الإسكافي كلّ هذا الوقت الطويل. ربّما كان هذا الأخير شديد الانشغال، أو أنّ زوجها التقى شخصاً يعرفه، واضطرّ من باب اللياقة، أن يبادله الحديث.

في الواقع، لم يكن في المتجر سوى زبونين، هو وامرأة حامل في العقد الثالث من عمرها. فجأة، أغمي عليها. فانحنى بجانبها، وحمل رأسها بين يديه وهو يعطي تعليمات للإسكافي. طلب منه

أوّلاً أن يتصل بالإسعاف، ثمّ أرسله لإحضار زجاجة من الماء. أخذ يربّت على وجه المرأة الشابة، ويحاول قدر الإمكان تنظيف الجرح الذي أصاب مؤخّر رأسها. راح يتحدّث معها بلطف لتهدئة روعها، ويحاول في الوقت نفسه طمأنة الإسكافي الذي بدا على وشك الإصابة بالهستيريا، ويحثّه على إبقاء المتطفّلين خارج المتجر.

في المقعد الخلفي، أصبح الطفلان لا يطاقان. تصاعدت حرارة شمس أيّار، وأصبح الحرّ لا يحتمل داخل السيّارة. عندئذٍ عرضت عليهم أن يلعبوا لعبة تشغلهم لبضع دقائق، وهذا ما فعلوه إلى أن أصبح توبياس عاجزاً عن التركيز. عندئذٍ روت لهما قصّة، لكن سرعان ما شعرا بالملل. في تلك اللحظة، رأت كشكاً للسكاكر على بعد مائة متر عند منعطف النهر. ففكّرت أنّه يوم السبت، ويمكنها تدليل الطفلين بشراء بعض الحلوى لهما لإلهائهما.

قالت وهي تلتفت إليهما: «عرفت ماذا سنفعل! سنذهب إلى ذلك الكشك لشراء البوظة».

فهتف الطفلان: «نعم! فكرة رائعة!»

قال أندرياس: «أنا أفضّل المصّاصة».

رحّبت باقتراحه، فالمصّاصة لن تلوّث السيّارة بقدر البوظة. لم تجرؤ على إخراج هذين العفريتين الصغيرين من السيّارة للتنزّه على هذه المقربة من الماء.

قال توبياس: «أنا أيضاً أريد مصّاصة. هل يمكنني أن أقود السيّارة إلى هناك؟ إنّه ليس بعيداً».

«مستحيل. لكن سأشتري مصّاصة لكلّ منكما».

سألها توبياس بارتياب: «لكن هل أنت من سيقود السيّارة؟»

«نعم أيّها الشاب الصغير. حتّى إنّني أفضل من يقود السيّارة

في الأسرة، لكن لا تخبرا أحداً!» رفعت إصبعها إلى شفتيها وهي تقول ذلك.

نظر الطفلان إلى بعضهما، ثمّ انفجرا ضاحكَين. لم تعرف ما إذا كانا مسرورَين لإخبارهما بذلك، أم أنّهما لم يصدّقا ما قالته. غير أنّهما هدآ وراحا يراقبانها بنظرات فضولية وهي تنتقل للجلوس على المقعد الآخر أمام المقود. شغّلت السيّارة، ثمّ خفضت فرامل اليد. راقب الولدان كلّ حركة من حركاتها. راودها إحساس مفاجئ بالضيق، لكنّها تجاهلته. قادت السيّارة حتّى وصلت إلى الكشك، قبل أن تتراجع إلى الخلف لتركنها على المنحدر الواقع جانباً، بحيث وجّهت غطاء محرّك السيّارة إلى الأعلى. بعد ذلك، رفعت فرامل اليد.

صاح توبياس بإعجاب: «أنت تجيدين القيادة فعلاً!»

التقت نظراته بنظراتها على المرآة الأمامية. كانت عيناه الخضراوان تتألّقان بحماسة في وجهه المكسوّ بالنمش.

سألها أندرياس: «هل يمكننا المجيء معك لكي نختار؟»

«كلاّ، أنتما تبقيان هنا. ماذا تريدان؟»

التفتت إليهما.

أجابها أندرياس: «أريد مصّاصة كبيرة».

وقال توبياس: «وأنا أريدها حمراء».

«واحدة كبيرة وواحدة حمراء. أندرياس، ما هو الطعم الذي تحبه؟»

«أيّ شيء باستثناء عرق السوس».

أضاف توبياس: «أنا أريدها حمراء وكبيرة أيضاً. لكن إن لم تجدي واحدة كبيرة، لا بأس».

أجابته ضاحكة: «المهمّ أن تكون حمراء، فهمت».

telegram @ktabpdf

فتحت باب السيّارة وخرجت تحت أشعة الشمس الربيعية. هبّ من البحيرة هواء منعش ولطيف، وداعبت أنفها رائحة شجرة كرز من الجانب الآخر من الطريق.

«كونا هادئَين، ولا تتشاجرا، وإلاّ لن أحضر شيئاً».

غمزتهما من نافذة الباب، وابتسمت.

* * *

بلغ يوهان بروسيو العاشرة من عمره حديثاً ونال أوّل بطاقة للنقل العامّ.

منذ شهر يناير، أصبح بإمكانه الذهاب بمفرده إلى المدرسة. ما زال والداه يتعاقبان كلّ صباح على اصطحاب أخته الصغيرة سانا، التي ما زالت في السنة التحضيرية. أمّا هو، فقد أصبح قادراً على المرور بسرعة لإحضار صديقه المفضّل ماكس، الذي يقطن في المبنى المجاور. في الطريق إلى المدرسة، كان الصديقان يستفيدان من هذا الامتياز الجديد لاستكشاف شوارع المدينة بحرّية. في إحدى المرّات، اعترفت له أمّه أنّها تبعتهما عدّة مرّات في البداية للتأكّد أنّهما يسلكان الأماكن المخصّصة للمشاة أثناء اجتياز الشارع.

لكثرة إصراره وتأكيده على سلوكه المثالي في الشارع، انتزع موافقتهما أيضاً على الذهاب بمفرده إلى درس الغيتار. فعصر كلّ ثلاثاء، كان يحمل غيتاره على كتفه وينطلق برفقة زميله في الصف إيفان. فيستقلاّن الباص رقم 4 إلى محطة سكانستول، ثمّ يُبرز بطاقة النقل العام التي حلم بها طويلاً، ويجتاز المدينة للذهاب إلى مدرسة غيردي في حيّ أوسترمالم، لحضور الدرس.

حتّى لو كان اليوم هو الخميس، إلاّ أنّ الصبيّين كانا معاً في الباص. فقد حصل يوهان على الإذن للمرور عند إيفان بعد المدرسة.

وبما أنّ والدَي صديقه ليسا في المنزل، أقنعه هذا الأخير باغتنام الفرصة للذهاب إلى السينما في ساحة هوتورغيت، على حساب إيفان. كان يوهان يعرف أنّ والديه لا يوافقان على مبادرة كهذه، لكن لا داع لإخبارهما. وها هما الآن في طريق العودة، بحيث شعر يوهان ببعض الارتياح لدى عودته إلى المنطقة المسموح له بارتيادها.

قال إيفان: «لقد أخافك الفيلم قليلاً، كان هذا واضحاً».

أجابه يوهان: «كلاّ، لم أشعر بالخوف، بل أُخذتُ بالفيلم وحسب. أمضيت وقتاً ممتعاً، شكراً لك. أشكرك على الفوشار أيضاً».

«العفو. حتّى إنّ المال ليس مالي».

«حقّاً؟»

«أجل، إنّه مال والدتي».

ألقى يوهان نظرة قلقة على صديقه، الذي كان أطول قامة منه.

«إنّها تسمح لي أن آخذ منها مالاً عند الحاجة. لا تظن أنّني سرقته».

علّق يوهان بارتياح: «آه، حسناً. أمّا أنا، فلا أحصل سوى على مصروفي الأسبوعي».

«أنا مثلك عادة. غير أنّ أمّي غالباً ما تنسى إعطائي المال. لذلك، يمكنني الآن أن آخذ مالاً كلّما احتجت له».

«ممم...»

لم يكن يوهان راضياً تماماً عن الجواب، لكنّه قرّر عدم إطالة الحديث. راح يراقب بقيّة الركّاب بنظرة شاردة. فجأة، رأى شخصاً مألوفاً، يجلس على بعد عدّة مقاعد أمامه مديراً ظهره.

«انظر! هذا هو الرجل الذي كان جالساً أمامنا في درس الغيتار!»

قال إيفان وهو يغرق في مقعده: «لا ضرورة للصراخ».

telegram @ktabpdf

«لكنّني لا أصرخ، بل أتكلّم بهدوء. هل تخشاه أم ماذا؟»

«كلاّ، وأنت؟»

لمح يوهان شيئاً من الخوف في نظرات صديقه، لكنّه لم يقل شيئاً.

«كلاّ، لكنّ شكله مخيف، أليس كذلك؟»

قال إيفان واضعاً يده على فمه لكي لا يسمعه أحد: «بلى، إنّه بشع جدّاً».

«ليس لأنّه بشع، بل يبدو... ضخماً، ومسنّاً».

«لكن ماذا يفعل هذا العجوز في صفّ الغيتار؟»

«مهلاً، ليس عجوزاً جدّاً. ربّما كان يريد أن يتعلّم العزف على الغيتار وحسب». قال يوهان ذلك بشيء من المزاح.

رمقه إيفان شزراً، ليفهمه أنّه ليس في مزاج للضحك، وقال: «كلّ التلامذة هم إمّا أطفال أو مراهقين. وهذا الرجل يفوقنا سنّاً بكثير».

كان الهدف من التعليق هو التشكيك بالرجل الجالس أمامهما، لكنّ يوهان تذكّر عمّه دان.

«لديّ عمّ يأخذ دروساً في العزف على الغيتار، وهذا ليس غريباً. من قال إنّ الصغار وحدهم يذهبون إلى هذه الدروس؟»

أبدى إيفان رفضه الدخول في هذا الجدال بالالتفات إلى النافذة. فحاول يوهان التواصل معه مجدّداً.

«هذا الرجل فظيع حقّاً، فهو لا يلقي التحية أبداً. ومع أنّنا نلتقي به كلّ أسبوع، إلاّ أنّه لا يرانا على الإطلاق».

التفت إيفان إلى صديقه، وقال بنظرات ماكرة: «هذا أفضل، ألا ترى كم هو ضخم؟ يمكنه أن يقتلنا نحن الاثنين بضربة واحدة. واحد بكلّ يد».

راقب يوهان قامة الرجل الضخمة، وتخيّل المشهد، هو وإيفان يتخبّطان بين يديه ويلوّحان بأقدامهما.

داس السائق على الفرامل، وحان الوقت للنزول. فنهض الرجل الضخم هو الآخر. وقفت بينه وبينهما امرأة بصحبة طفل صغير. عندما مرّ يوهان بالمقعد الذي كان يجلس عليه الرجل، لاحظ أنّه نسي قفّازته. فحملهما وقال له تلقائياً: «سيّدي، لقد نسيت قفّازاتك!»

كان الرجل ينزل من الباص، ولم يسمعهما. غير أنّ المرأة التي تحمل الطفل التفتت بنظرة متسائلة. فنظر إليها يوهان وهو يهزّ كتفيه، قبل أن يقول لإيفان: «لقد نسي قفّازاته. أردت فقط...»

أجاب إيفان: «رائع، أصبح لدينا حجّة».

«لماذا؟»

«لنتبعه؟»

«لماذا؟»

«لنتعرّف على هذا الرجل غريب الأطوار».

«وماذا لو انتبه إلينا...؟»

«نعيد إليه قفّازاته!»

أحسّ يوهان بالخوف والحماسة على السواء، وقبل الاقتراح، ثمّ انطلق الصبيان خلف الرجل.

بقيا على مقربة منه، تحجبهما عن الأنظار مجموعة الركّاب عند محطّة مترو سكانستول. لكن عندما دخل إلى سوبر ماركت إيكا رينغن، لم يلحقا به. مع ذلك، لم ينتظرا طويلاً. فبعد بضع دقائق، ظهر مجدّداً، وهو يحمل كيساً بيده.

عندما وصلوا إلى حيّ تيوربيرغيت، تراجعت كثافة الناس. فاضطرّ الولدان إلى ترك مسافة بينهما وبين الهدف. تبعاه حتّى شارع

رينغفيغن، ومرّا من أمام مستشفى روزينلوند. لكن في اللحظة التي اجتاز فيها الشارع باتجاه حدائق تانتولوندن، ابتعد عنهما كثيراً بحيث اضطرّا إلى الجري لكي لا يضيعاه في الشوارع الصغيرة المحاطة بالأكواخ. وكلّما تقدّما بين الحدائق والمنازل الصغيرة، أصبح من الأسهل عليهما مراقبته. ففي هذا الفصل، تكون معظم المنازل الصغيرة مغلقة. ولم يتردّد الولدان في القفز من فوق البوّابات، والاختباء في زوايا الأكواخ، أو خلف تلال التراب التي ما زالت مكسوّة بالجليد.

كان الرجل ضخماً حقّاً، بحيث لم يستطع يوهان أن يبعد نظره عن يديه الكبيرتين الليتين تتأرجحان على جانبيه، بينما يتقدّم بخطى سريعة وواثقة في الحي المقفر. من وقت إلى آخر، كان يلتفت ويلقي نظرة سريعة حوله، كأنّه يشعر أنّه مراقب، فينخفض الولدان خلف أحد مستوعبات النفايات أو خلف الشجيرات، وقلبيهما ينبضان بعنف، خوفاً من افتضاح أمرهما أمام هذا الرجل الذي يزداد غموضاً كلّما طالت المطاردة.

يبدو أخيراً أنّه بلغ وجهته. اختبأ الولدان لمراقبته خلف الأغصان على بعد ثلاث حدائق، بينما قام الرجل بفكّ سلسلة وفتح بوّابة متداعية تفضي إلى حديقة ومنزل صغير مهمل. ما إن أغلق البوّابة خلفه واختفى عن الأنظار، حتّى اندفع الولدان نحو السياج المحيط بالمنزل. كان من المستحيل الاقتراب أكثر من دون أن يكشف أمرهما.

اختبآ خلف الشجيرات وهما يلهثان، وحاولا الإصغاء لما يجري في الداخل. لم يسمع يوهان في البداية سوى طقطقة، وبعدما بدأ نبضه يتباطأ، سمع صوت مفتاح يدخل في قفل، تبعه صوت معدني لسلسلة يتمّ فتحها. تناهت إليه بعد ذلك جلبة صادرة عن لوح خشبي وصوت باب يغلق. عمّ الصمت مجدّداً قبل أن يُسمع صوت غاضب وقاسٍ.

«ها أنت نائم هناك، أيّها الحيوان الصغير، غارق في قذارتك. لكن ألا تكفّ عن الشكوى! ربّما لم يعجبك الطعام».

سُمع بعد ذلك ضجيج مكتوم، كذاك الذي يصدر عن ملاكم وهو يضرب كيساً من الرمل. هذا ما فكّر فيه يوهان وهو يتخيّل الحيوان، والرجل وهو يركله بقسوة. نظر الولدان إلى بعضهما من دون أن يقولا شيئاً، وارتعش يوهان خوفاً.

قال الصوت مجدّداً: «على أيّ حال، لن تحصل على شيء آخر. فحيوان مثلك لا يستحقّ أن أنفق عليه المزيد. لن أحضر البطاطس للحيوانات».

سُمع حفيف صادر عن كيس من النايلون، تبعه صوت سائل يُسكب في وعاء. ثمّ تناهي إليهما وقع الخطوات مجدّداً على الأرض الخشبية، ومزيد من الركلات.

«هذا يوم حظّك. فالواجب يناديني، وعليّ الذهاب. لكن عندما أجد الوقت، سنثرثر كثيراً. تشاو».

نظر يوهان إلى إيفان مذعوراً، ثمّ همس له بصوت منخفض جدّاً: «إنّه آتٍ، علينا الهرب».

هزّ إيفان رأسه موافقاً. وفرّا هاربَين بصمت، يهرولان على الأرض المكسوّة بالثلج الذائب، إلى أن انعطفا عند زاوية قائمة. على مسافة غير بعيدة منهما، سمعا باباً يغلق. فانطلقا يعدوان بأقصى سرعتهما على الطرقات التي تتخلّل الحدائق، ومن ثمّ عبر المروج، إلى أن وصلا إلى الزقاق الذي يتبع خليج أورستافيكن. هناك، أبطآ من سرعتهما، وهرولا نحو الأحياء السكنية في إريكسلوندن، قبل أن يتسلّلا بين الأبنية.

قال يوهان وهو يلتقط أنفاسه: «ماذا يفعل بهذا الحيوان؟ هل

telegram @ktabpdf

يتمرّن على الملاكمة أم ماذا؟»

أجابه إيفان: «قلت لك إنّه غريب الأطوار. ربّما يريد أن يقتله ويأكله».

«وهل يصبح طعمه أفضل إن ركله بهذا الشكل؟ تبّاً له، يا له من سادي!»

نظر إليه إيفان بنظرة مليئة بالتسلية. وعرف يوهان السبب، لكنّه تظاهر أنّ شيئاً لم يكن. فهو ليس معتاداً على الشتم، لكنّه ارتكب اليوم كثيراً من المحظورات. ولكي يشدّد على اشمئزازه من سوء معاملة الحيوانات، وربّما ليؤكّد أنّه يتحرّر قليلاً من والديه، أطلق شتيمة أخرى.

«اللعنة على هذا القذر. أتمنّى أن تتجلّد يداه من البرد. لن أعيد إليه قفّازاته أبداً».

قال إيفان: «علينا إنقاذ الحيوان».

أجابه يوهان: «أنا لن أعود أبداً إلى هناك».

«لماذا؟ لقد ذهب إلى العمل، قال ذلك بنفسه».

«وماذا عن الأقفال الموضوعة على الباب، كيف سنفتحها؟»

«ألا يملك والدك أدوات لذلك؟»

لم يكن يوهان يعرف شيئاً. على أيّ حال، لا يحقّ لأحد الدخول إلى منازل الناس هكذا، من دون إذن. فالأمر أشبه بالسطو. هذا حتّى لو كان يعرف، من خلال التلفاز، أنّ تعذيب الحيوانات يعدّ جريمة أيضاً.

قال: «تعذيب الحيوانات ممنوع. يمكننا الاشتكاء عليه».

«لكنّنا لا نعرف اسمه».

«صحيح، لكن إن ذهبنا إلى الشرطة، يمكنهم على الأقلّ إنقاذ الحيوان».

«أنا لن أذهب إلى الشرطة أبداً! انسَ الموضوع».

نظر إليه يوهان محتاراً.

«لماذا؟ هل فعلتَ شيئاً؟»

أجاب إيفان بنبرة غامضة وهو يهزّ كتفيه: «هذا ممكن».

لم يقولا شيئاً آخر، وانتهى حديثهما عند هذا الحدّ. افترق الولدان عند محطّة سكانستول. لكن كلّما اقترب يوهان من منزله، تعاظم إحساسه بالذنب. أدرك تدريجيّاً أنّ والديه سينزعجان عندما يعرفان بما فعله. ولن يستغرب إن قرّرا سحب بطاقة النقل المشترك منه. حتّى إنّهما قد يمنعاه ببساطة من التجوّل بمفرده بين البيت والمدرسة. عندئذٍ، تعهّد لنفسه أن يتّبع سلوكاً مثالياً في المستقبل، وارتأى بعد اتّخاذه هذا القرار أنّه ليس من الضروري إخبارهما بما جرى عصر هذا اليوم. هذا يعني أنّه لن يتمكّن من إخبارهما عن الحيوان. لكن ما الذي سيحلّ بالحيوان المسكين؟ عاجلاً أم آجلاً، سيأكله الرجل. بعد هذا القرار، صعد بحزم درجات السلّم المؤدّي إلى الشقّة التي ينتظره فيها أبوه وأخته الصغيرة على العشاء.

عندما أوشك أن يفتح الباب، غيّر رأيه. فثمّة أمر أكيد اليوم، وهو أنّه ارتكب عدداً لابأس به من الحماقات. وهذا سبب إضافي لكي ينهي يومه بعمل صالح.

* * *

أمضى جمال فترة الصباح في محاولة إثبات أنّ إينار إريكسون لم يغادر البلاد بواسطة بطاقة نقل يمكن التعرّف عليها. بعد ذلك، وبناءً على أوامر شوبيرغ، بدأ عصراً بتفتيش كمبيوتر وأوراق زميله. غير أنّه لم يجد أيّ معلومة تساعد على تقدّم التحقيق. فإريكسون لا يحتفظ بشيء غريب في جهاز الكمبيوتر. كما أنّه لا يهتمّ بالاستغلال

الجنسي للأطفال، ولم يُرسل أو يستلم رسائل إلكترونية مريبة. لم يجرِ أيّ تحقيقات شخصية، ولم يتورّط في التحقيق بلمفّات سرّية. ما من سبب يدفعه إلى الاعتقاد أنّه أصبح هدفاً لمجرمين قدماء أو ضحايا متعطّشين للانتقام.

واجه جمال بعض الصعوبة في التركيز على العمل. ومع أنّ النتيجة لم تتأثّر، إلاّ أنّ ذلك استغرق منه وقت أطول. شرد عدّة مرّات في أفكاره، قبل أن يهزّ رأسه ويعود إلى العمل. وها هو أخيراً قد عاد إلى مكتبه، وانهمك في تصفّح أجندات قديمة اعتقد أنّ عليه الاحتفاظ بها في أحد الأدراج.

كان فيها تاريخين يهمّانه بشكل خاصّ. الأوّل، لن ينساه قريباً، لأنّه التاريخ الذي قرّرا فيه هو ولينا الطلاق. في ذلك المساء، وبعد بضعة أسابيع من التفكير، جلسا إلى طاولة المطبخ لتبادل وجهات النظر بهدوء. تكلّما بشكل منطقي عمّا كان يمكنهما أن يفعلا معاً وما عليهما تقريره الآن. كانت لحظة صعبة وحزينة، لكنّها مرّت من دون مآسٍ. اتّخذا قرارهما بالاتفاق المتبادل: إن انفصلا، ستكون حياة كلّ منهما أجمل. تمنّيا الحظّ لبعضهما، وأنهيا علاقة دامت أربع سنوات بعناق ودمعة. كان فشلاً حقيقياً، وسيبقى تاريخه، من بين تواريخ أكثر إيجابية، محفوراً دائماً في ذاكرته.

انطلاقاً من تلك الحادثة، تذكّر حوادث أخرى وقعت في الليلة نفسها أو في اليوم التالي. غير أنّه تعمّد التحقّق. في الواقع، يشير التاريخ الذي يظهر في أسفل فيلم بترا الإباحي إلى أنّه صُوّر في يوم الجمعة نفسه من نوفمبر 2006.

في تلك الفترة كانا يخوضان تحقيقاً حول قاتل متسلسل. وفي تلك الليلة، تمكّن من إقناع بترا، التي بدت متمنّعة، بمغادرة قسم

الشرطة ومرافقته إلى مقهى كلاريون. احتسيا الشراب، وتحدّثا. نجح في جعلها تنسى العمل، وكالعادة، كان حديثهما مفعماً بالحيوية، وتناول مواضيع مسلّية. كانت السهرة ودّية، تتّسم بالاحترام المتبادل. وعندما ترك المكان، لم يفعل بملء إرادته، بل كان مضطرّاً للذهاب إلى لينا لإغلاق هذا الفصل من حياته.

لم تكن الأحداث المرتبطة بالتاريخ الثاني واضحة إلى هذا الحدّ في ذاكرته. وقعت أيضاً في يوم جمعة، لكن من شهر سبتمبر 2007، أي بعد عام تقريباً. في الأجندة، كانت الملاحظة الوحيدة المرتبطة بهذا النهار تشير إلى ندوة عمل شارك فيها عدّة أعضاء من الفرقة: «فهم لغة الجسد». كان يذكر الهدف من تلك الندوة، ألا وهو تحديد وتحليل الصورة التي يعطيها المرء للآخرين بحسب وضعيته. ويذكر أنّ هولغرسن أو مالمبيرغ قال لبترا، وهو يلعب على الكلام ويزيد من امتعاضها، إنّ مشية كبير المفوّضين تنطوي على شيء من الإثارة. وعندما يفكّر جمال بذلك مجدّداً، يئنّ متذمّراً رغماً عنه. برانت مثير؟ لا يمكنه تصديق ذلك.

وبعد ذلك؟ ماذا حدث بعد الندوة؟ أجل، أمضى أمسية مع بترا في مقهى بيليكان. كانت تلك اللحظات الأخيرة من الفترة التي كانا يتفاهمان فيها وتجمعهما علاقة عادية. إنّه هدوء ما قبل العاصفة. وفي تلك الليلة، أرسل أحدهم الفيلم الإباحي الذي تظهر فيه بترا إلى بونتوس أورستيد. حدث ذلك من عنوان إلكتروني يعرفه جيّداً.

أغلق الأجندة بعنف، وجلس واضعاً وجهه بين يديه وهو ينظر عبر النافذة. تنهّد محتاراً. لا بدّ من وجود رابط بين كلّ هذه الأحداث، لكن ما هو؟ قال في نفسه، ضع نفسك مكان بترا. ما الذي فكّرت به؟ أخبرها أحدهم بوجود هذا الفيلم القذر على موقع إلكتروني. هل

telegram @ktabpdf

هي تصارع للعثور على الرجل الذي أرسله أو ذاك الذي استغلّها؟ من الواضح أنّها تعرّضت للاستغلال، أليس كذلك؟ عاد إليه وجه بترا، بعينيها المغلقتين وفمها شبه المفتوح. هل كانت مخدّرة أم غير واعية؟ لكن ماذا يعرف عنها هو؟

مع ذلك، كان يعرفها بما فيه الكفاية لكي يستبعد فكرة قيامها بنشر هذه الصور بملء إرادتها. ومن المستحيل أن تسمح بتصويرها في حالة كهذه.

تذكّر جمال نظريته القائلة، يجب تصديق المظاهر في أغلب الأحيان. فما الذي يمنعه من تطبيقها في هذه الحالة؟ لا شيء بالطبع.

تبدو بترا غائبة تماماً. لا شكّ إذاً أنّ هذه هي الحقيقة. إمّا أن تكون غائبة عن الوعي، أو مخدّرة، أو الاثنين معاً. لنقل إنّها مخدّرة. من الواضح أنّها في المكان الخاطئ، ومع الرجل الخاطئ. وبما أنّ هذا الأخير يبدو واعياً بالتأكيد، فهي إذاً تتعرّض للاغتصاب. بالإضافة إلى ذلك، لديه شريك يصوّر كلّ شيء لكي يعرضه على الإنترنت. إنّه انتهاك للآداب العامّة.

ليس مستغرباً أن تشعر بترا بالحقد.

لقد تعرّضت للتخدير والاغتصاب في الليلة التي تلت سهرتهما في مقهى كلاريون. وربّما استنتجت أنّ جمال شارك في هذا الاعتداء لأنّه وقع بعد بضع ساعات من افتراقهما. لكن ما الذي دفعها إلى الشكّ فيه بعد عام من وقوع تلك الأحداث؟ طبعاً بسبب تاريخ نشر الفيلم، وإرساله إلى موقع أماتور6. حدث ذلك مباشرة بعد افتراقهما أمام مقهى بيليكان.

وتمّ إرساله من عنوانها البريدي.

لكن يبقى سؤال واحد: كيف تمكّنت بترا من تكوين هذا

الاعتقاد؟ كيف اعتبرت أنّه هو من أرسل الفيلم من دون أيّ شكّ؟ كيف استنتجت أنّ جمال هو من صوّرها، أو اعتدى عليها، أو الاثنين معاً؟ وكيف عرفت بهذه السرعة بإرسال الفيلم؟ لم يفهم شيئاً.

مع ذلك، ثمّة أسئلة أخرى أكثر أهمّية عليه الإجابة عنها. من الذي اعتدى على بترا وأرسل الفيلم إلى بونتوس أورستيد؟ من الذي يملك هذه السيطرة على الوضع إلى حدّ التمكّن من توجيه الشكوك نحو شخص آخر؟ أخيراً، كيف سيتمكّن جمال من دحض هذه الاتهامات لتبرئة نفسه ومعاقبة المجرم الحقيقي؟

أدرك فجأة أنّه يستطيع على الأقلّ فعل شيء واحد، ألا وهو جذب انتباه الشرطة إلى أحد أولئك الأوباش. لا بدّ من إيجاد سبب للإيقاع به. إن لم يكن بتهمة القوادة، فبتورّطه في تهريب المخدّرات أو الاحتيال المالي.

طلب جمال رقم زميل قديم له في أكاديمية الشرطة. ثمّ أعطاه معلومات عن بونتوس أورستيد وراح يتلذّذ بانتقامه، حتّى لو لم يكن هو المتضرّر مباشرة، بل بترا وجيني.

* * *

خطا يوهان بروسيو خطواته الأولى في بهو مركز الشرطة في أوستغوتاغتان وهو يحاول أن يظهر بمظهر الكبار. نزع قبّعته ونظر حوله، كأنّه يتأكّد أنّه في المكان الصحيح. كانت القاعة الرخامية الكبيرة مختلفة تماماً عن الصورة التي كوّنها عن أقسام الشرطة. فهو يرى في الأفلام عادة مكاتب تعجّ بالحركة، ومجرمين يتمّ دفعهم دائماً بين الزنزانات وغرف الاستجواب. أمّا هنا، فيسود الهدوء، ولا أثر لأيّ مخلّ بالأمن.

تقدّم بخطىً واثقة من مكتب الاستقبال، ووجد نفسه محطّ

telegram @ktabpdf

النظـرات الفضوليـة لامرأتيـن. لم يعرف إلى أيّ منهما يتحدّث، بينما تنظران إليه مبتسمتين من خلف مكتبهما.

قالت له امرأة ذات شفتين ورديتين ولامعتين: «مرحباً».

كان شعرها الأشقر مجعّداً، ونظرة عينيها الزرقاوين لطيفة.

أجاب يوهان: «مرحباً، أريد الإبلاغ عن جريمة».

قالت المرأة الأخرى: «حسناً فعلت بمجيئك إلى هنا».

بدت هي الأخرى لطيفة، ممتلئة بعض الشـيء، ذات شـعر بنّي معقود على شكل ذيل حصان.

«ما اسمك؟»

أجاب: «يوهان»، وسرعان ما ندم على ذلك.

لكـنّ هـذا ليـس خطيـراً. فكثيـرون يحملون هذا الاسـم، ولن يخبرهما المزيد عن نفسه. على أيّ حال، اكتفت باسمه الأوّل كأنّها فهمت رغبته بعدم قول المزيد.

«تفضّل أيّها الصغير، ارو لنا ما حدث معك».

صحيـح أنّـه لـم يكن الأطول قامـة في الصفّ، لكن أن يوصف بـ«الصغير»؟ عليهما أن تفهما أنّه لم يعد طفلاً في الحضانة.

«أنا لم يحدث معي شيء، لكنّني كنت شاهداً على رجل يسيء معاملة حيوان، وبشكل عنيف!»

هتفت موظّف الاستقبال الشقراء: «حقّاً!»

وسألته السمراء بنبرة جادّة: «هل رأيته يفعل؟»

«كلاّ، بل سمعته وحسب. كنت مع صديقي، ورأيناه يدخل إلى كوخ، ثمّ تفوّه بأطنان من الشتائم وهو يركل الحيوان».

نظرت المرأتان إلى بعضهما.

قالت السمراء: «ما هذه القصة الغريبة. أخبرنا كلّ شيء من البداية».

روى لها يوهان الأحداث بالتفصيل، من دون أن يحدّد كيف تواجد هو وإيفان على مقربة من ذلك الكوخ.

هتفت الشقراء: «لم يسبق لي أن سمعت بشيء غريب كهذا!»

وقالت الأخرى: «لا يجيد كثير من الناس التعامل مع حيواناتهم، لكنّ هذا الرجل تجاوز الحدود. وأنت يوهان، إنّك تتحلّى بشجاعة كبيرة لمجيئك وإبلاغ الشرطة!»

قبل أن يدرك، مالت نحوه وربّتت بلطف على شعره. كان يرغب حقاً في الخروج من هذا المكان، لو لم يكن مضطراً لتحمّل ذلك من أجل الحيوان المسكين. لكن ها هي المرأة الأخرى تمدّ يدها لتربت على خدّه. فتراجع خطوة إلى الخلف لتجنّبها.

سألته السمراء: «وهل تعرف كيف تجد ذلك المكان، أو تتذكّر العنوان؟»

أجاب يوهان: «البطّة القبيحة»، وفي الوقت نفسه تكلّمت الشقراء مع رجل أكبر سناً دخل للتوّ من الباب.

«أبي، تعال لتسمع! يريد هذا الصبي رفع شكوى. هلاّ ساعدته؟»

اقترب الرجل من مكتب الاستقبال، وخلال بضع ثوانٍ رهيبة، خشي يوهان أن يبدأ هو الآخر بالتربيت على رأسه. غير أنّ القادم الجديد أبقى يديه غارقتين في جيوب معطفه، واكتفى بالنظر إليه بعينين لطيفتين ومتعبتين.

«ما الأمر؟»

لم يكد يوهان يفتح فمه، حتّى تكفّلت الموظّفتان بالإجابة.

مع أنّ الرجل بدا شرطياً بوضوح، إلاّ أنّ القصّة التي روتها

telegram @ktabpdf

المرأتان في وقت واحد أتعبته أكثر. فانصرف حتّى قبل أن تفرغا منها. وإن كان قد فهم شيئاً من حديثهما، إلاّ أنّه لم يُظهر اهتماماً كبيراً. مع ذلك، أراد أن يبدي بعض اللطف تجاه الصبيّ، فقال: «أحسنت، بنيّ. لوتن، خذي منه كلّ المعلومات: اسمه، وعنوانه، ورقم الهاتف، وكلّ الباقي. سنهتمّ بالأمر ما إن يتسنّى لنا الوقت. عليّ الانصراف».

هذا منطقي. سيتعيّن على يوهان إعطاءهم رقم هاتف المنزل، وهكذا سيتّصلون بوالديه. وبالإضافة إلى التوبيخ، سيُحرم من بطاقة النقل العامّ ومن إذن العودة بمفرده من المدرسة. كلّا، هو ليس بحاجة إلى درس إضافي. هكذا، غادر قسم الشرطة بعجل.

«انتظر، يوهان! لا تذهب!»

كانت تلك هي الكلمات الأخيرة التي سمعها قبل أن يغلق الباب خلفه.

* * *

وصل شوبيرغ للتوّ إلى غرفته في الفندق في أربوغا. ألقى حقيبته على المقعد الصغير الموضوع في إحدى الزوايا وجلس على طرف السرير قبل أن يُخرج هاتفه المحمول. اتّصل بمكتب الاستعلامات، وطلب إيصاله بدائرة سجلاّت الرعية في البلدة.

«أنا أبحث عن شخصين ينبغي أن يكونا مذكورَين في سجلاّتكم. هل يمكنكم مساعدتي؟»

«أهو بحث خاصّ؟»

«أجل، فهو يتعلّق بجدّيّ لأبي، جون وسيني شوبيرغ. يجب أن يكون تاريخ ولادة جون شوبيرغ هو في 20 أبريل 1911. أمّا سيني، وشهرتها قبل الزواج غابريلسون، فقد ولدت في 11 يناير 1913. أريد أن أعرف متى توفّيا وأين كانا يقطنان».

«لحظة واحدة، سأرى ماذا يمكنني أن أجد».

«شكراً».

لم يكن شوبيرغ يتأمّل في الحصول على جواب سريع، لكنّ الموظّفة سرعان ما عادت إليه ومعها كلّ المعلومات.

قالت: «لقد وجدتهما»، فتسارع نبض شوبيرغ. «لنرى، لديّ هنا سجلاّت كُتبت على الطريقة القديمة... جون إيمانويل شوبيرغ، ولد في 20 يناير 1911، في مزرعة سولدا، الواقعة في بلدة بيورسكوغسنيس».

قال شوبيرغ في نفسه، مزرعة سولدا (الجندي) هذا اسم سيعجب الأولاد.

«تزوّج سيني يوليا ماريا غابريلسون في مايو 1932. وفي عام 1933، رزقا بطفل أسمياه كريستر غونار شوبيرغ، وهو والدك؟»

«بالضبط».

«عاش جون وسيني في مزرعة سولدا حتّى عام 1954، حيث انتقلا إلى وسط أربوغا».

سألها شوبيرغ: «هل استمرّ كريستر بالعيش في المزرعة؟»

«فلنر. عليّ تغيير السجلّ...»

سمعها تتصفّح الأوراق، وتخيّل مجلّدات ضخمة ومكسوّة بالغبار، ذات أغلفة صلبة.

«أجل، حتّى وفاته عام 1961. كنت أنت في الثالثة من عمرك، لا بدّ أنّ هذا كان قاسياً عليك».

تمتم شوبيرغ، الذي يذكر والده بالكاد: «أجل، في البداية. ومتى توفي جون وسيني؟»

«توفّي جون عام 1967...»

خيّم الصمت على الطرف الآخر.

telegram @ktabpdf

أخيراً سألها شوبيرغ: «وسيني؟»

«لا أجد شيئاً عنها».

«وما معنى ذلك؟»

«حسناً... إمّا أن يكون أحد الموظّفين قد أهمل عمله، أو أن يكون تاريخ وفاتها بعد 1 يوليو 1991، وهو التاريخ الذي تمّت فيه حوسبة سجلاّت النفوس. علينا التحقّق. ثمّة أيضاً احتمال أخير، وهو أن تكون ما زالت على قيد الحياة».

شكر شوبيرغ الموظّفة، وأغلق الخطّ. مزرعة سولدا... هل عاش فيها إذاً هو نفسه خلال السنوات الثلاث الأولى من حياته؟ من الغريب ألاّ يحتفظ بأيّ ذكرى عن تلك الحقبة، لكن لا بدّ من القول إنّ أمّه لم تفعل شيئاً لمساعدته على ذلك. وأكثر ما يدهشه، هو أنّها ترفض الاعتراف بأيّ علاقة تربطها بتلك المزرعة وإخباره بما عاشته هناك. ما السبب يا ترى؟ لماذا تركوا منزل الأسرة للانتقال إلى شقة في ستوكهولم؟ لا بدّ أنّ هذا حدث بعد مرض والده. فقد تطلّب وضعه الصحّي رعاية لا يمكن توفيرها إلاّ في العاصمة.

أدرك فجأة أنّ جدّه بقي على قيد الحياة حتّى عام 1967، أي أنه كان يبلغ التاسعة من عمره، وكان يجب أن يحتفظ بذكرى عنه. وكيف لا يتذكّر شيئاً عن جدّته؟ لم تخبره أمّه شيئاً عنهما، لا في طفولته ولا عندما أصبح شابّاً وأراد أن يعرف المزيد عن تاريخه. لطالما تساءل ماذا يوجد خلف كلّ هذا. لا بدّ أنّ حادثاً وقع، وخلّف قطيعة بين أمّه وجدّيه. إلى جانب من وقف والده يا ترى؟ ربّما حدثت القطيعة بعد وفاته، أو نتيجة لها.

ألقى شوبيرغ نظرة على ساعته. كانت قد بلغت الخامسة وخمس دقائق. ليس لديه الوقت ليضيعه، عليه الاتّصال بدائرة الأحوال

الشخصية قبل أن تغلق مكاتبها. يجدر به جمع أكبر عدد ممكن من العناصر قبل مواجهة أمّه في موضوع كهذا. اتّصل مجدّداً بمكتب الاستعلامات وطلب إيصاله بالدائرة المناسبة.

«مساء الخير، أدعى كوني شوبيرغ. أودّ الحصول على بعض المعلومات عن جدّتي لأبي. تدعى سيني يوليا ماريا شوبيرغ، شهرتها قبل الزواج غابريلسون، ولدت في 11 يناير 1913».

«نعم، ماذا تودّ أن تعرف؟»

بدا صوت الموظّفة بارداً ومتكبّراً بعض الشيء.

«أريد تاريخ وفاتها».

«جدّتك، ولا تعرف متى ماتت؟»

«كلاّ، بما أنّني أسألك».

«مع الأسف، لا يمكننا إعطاء هذه المعلومات عبر الهاتف».

أحسّ شوبيرغ بشيء من الرضى في صوتها. عندئذٍ، تحدّث بنبرة متعالية وخاض محاولة جديدة.

«أنا كبير المفتّشين في قسم الجنايات في شرطة هاماربي، في ستوكهولم. أذكّرك باسمي: كوني شوبيرغ. هلاّ أعدتِ الاتّصال بي في أسرع وقت ممكن، فالمسألة ملحّة».

تغيّر سلوك الموظّفة على الفور.

«كوني شوبيرغ من شرطة هاماربي؟ سأعيد الاتّصال بحضرتك بأسرع وقت ممكن».

ابتسم كوني. في الواقع، لا يحقّ له فعل ذلك، فالمسألة شخصية تماماً، ولا يجدر به استغلال مركزه كشرطي لمجرّد الضغط على موظّفة صغيرة. لكن من يلومه؟ ليس هي على أيّ حال. بدأ المحمول يرجّ بيده، قبل أن ينطلق في رنة مدوية.

telegram @ktabpdf

أعلن بنبرة جافة: «كوني شوبيرغ».

«مرحباً، كوني. معك جيني».

«أهـلاً، جينـي! اسـمعي، أنـا انتظـر اتّصـالاً ملحّـاً ولا أسـتطيع التحدّث معك. هل يمكننا الحديث لاحقاً؟ سأتّصل بك في المساء».

«حسناً، إلى اللقاء».

«إلى اللقاء».

أنهى المكالمة، وبعد دقيقة أو دقيقتين اتّصلت به موظّفة الأحوال الشخصية. بما أنّ الساعة تجاوزت الخامسة، خشي أن تؤجّل اتّصالها لليوم التالي لمعاقبته على أسلوبه. لكنّ احترامها للبدلة الرسمية كان أقوى، وها قد عادت تكلّمه بنبرة ودودة تقريباً.

«هلاّ أخبرتني مجدّداً بماذا يمكنني مساعدتك؟»

أجابها بصوت ودود جدّاً. وعندما سمع نفسه وهو يكرّر الطلب، شعر أنّه يشبه أحد الوجهاء المسنّين.

«هل تعرف رقم هويتها؟»

نظر إلى الأعلى بسأم.

«كلاّ، لا أعرفـه. أعتقـد أنّهـا ماتت منذ سـنوات عديدة. إن كان باستطاعتك إجراء بحث إلكتروني من خلال اسمها وتاريخ ولادتها، قـد تسـتطيعين تأكيـد ذلك. هل أنت قادرة علـى الوصول إلى محرّك بحث؟»

كما توقّع شوبيرغ، لم تتأثّر بسخريته، بل اكتفت بتنفيذ طلبه.

«ها هي».

عبس شوبيرغ. فما قالته بعد ذلك لا يتطابق مع توقّعاته.

«سيني يوليا ماريا شوبيرغ، شهرتها قبل الزواج غابريلسون. رقم هويتها 1841-130111. عنوانها 6 بريجيتاغاتان في أربوغا».

«وهي مسجّلة على هذا العنوان إلى أيّ تاريخ؟»

«ما زالت هناك، فهي على قيد الحياة».

عجز شوبيرغ عن قول أيّ شيء. ظلّ جالساً على طرف السرير، بمعطفه وحذائه، وعلامات الصدمة تطغى على وجهه. شعر أنّه أحمق تماماً.

هتفت الموظّفة: «تهانينا، لقد عثرت على جدّتك».

* * *

تجوّل جمال في كافة أرجاء المدينة لعدّة ساعات بمبادرة خاصّة منه. ذهب أوّلاً إلى مكان عمل فيدا وغوران يوهانسن ليعرض عليهما صورة لإينار، لكنّهما لم يتعرّفا عليه، لأنّهما ببساطة لم يلتقيا به أبداً. لكن عندما عاد إلى ترولغراند، إلى حيث كانت تقطن كاثرين لارسن، لاحظ أنّ الجيران تعرّفوا على إريكسون على أنّه الرجل الذي يلتقون به من وقت إلى آخر على السلّم، إمّا بمفرده أو مع الطفلين. لكنّ أحداً منهم لم يكن قد رآه خلال الأيّام التي سبقت الجريمة ولا في ذلك المساء المشؤوم.

كان جمال على وشك مقابلة كريستر لارسن للمرة الأولى. ذهب إليه برفقة بترا، بوجهها المتجهّم، بعدما تركت ساندين يُنجز بمفرده مهمّتهما الأخيرة لذلك اليوم، ألا وهي فحص سيّارة إينار. سلّما على بعضهما أمام باب لارسن، من دون أن تُظهر بترا أيّ عاطفة، فقرّر جمال أن يضع علاقتهما الشخصية جانباً بشكل مؤقّت وأن يركّز على المهمّة. بالنسبة إلى بترا أيضاً، كان هذا هو لقاؤها الأوّل بزوج كاثرين لارسن السابق، ووالد الطفلين المقتولَين. استقبلهما ودخلا بمشاعر من التوتّر والأمل على السواء.

قالت بترا محاولة فتح حديث: «منزلك جميل».

telegram @ktabpdf

أجابها لارسون متمتماً بكلمات غير مفهومة، من دون أن ينظر إلى عينيها. جلس على مقعده، ونظر إلى السجّادة شابكاً يديه بين ركبتيه. كانتا ضخمتين، لكنّ أظافره مقلّمة بعناية. شعره الأشيب كان نظيفاً ومقصوصاً حديثاً، مع أنّ لحيته كانت أطول منذ بضعة أيّام. على الرغم من مساحة الشقّة الصغيرة، إلاّ أنّها كانت مرتّبة ونظيفة، في حين زيّنت نباتات خضراء نافذة غرفة الجلوس.

سأله جمال عندما رأى صورة معلّقة على الحائط: «هل تمارس الإبحار؟» كانت الصورة لمركب شراعي لم يستطع تحديد نوعه، يشقّ طريقه في بحر لازوردي تتخلّله الأمواج، بينما نفخ الهواء شراعه تحت أشعّة شمس ساطعة.

«أجل، كنت أفعل في الماضي». أتى جواب لارسن بصوت منخفض من دون أن يرفع نظره عن الأرض.

كان حديثه بطيئاً جدّاً، ولاحظ الشرطيان ذلك بنظرة تبادلاها. استأنف جمال الحديث.

«يؤسفنا حقّاً ما حدث. لا بدّ أنّه صعب جدّاً بالنسبة إليك».

اكتفى الرجل بهزّ كتفيه.

قالت بترا لتحثّه على الكلام: «أهو صعب عليك في هذه اللحظة؟»

«المرء يزرع ما يحصد».

كان نظره لا يزال مثبتاً على السجّادة وهو يلوي أصابعه لطقطقتها قليلاً.

سأله جمال: «ماذا تعني بذلك؟»

رغب تلقائيّاً بتوسيع سؤاله، لكنّه سيطر على نفسه وحاول أن يتحلّى بالصبر. بعد شيء من الصمت، أجاب لارسن: «أنا لست سوى

بائس عجوز. كانوا أفضل حالاً من دوني».
«وأنت؟ ألم تفتقد إليهم؟»
«حسناً...»
صمت مجدّداً.
«ليس بما فيه الكفاية».
سألته بترا: «هل تشعر بعذاب الضمير لأنّك لم تهتمّ بأسرتك كما ينبغي؟»
فجأة، رفع كريستر لارسن رأسه ونظر إلى عينيها. أجابها بصوت بطيء لكنّه حادّ كنصل السكّين: «عذاب الضمير هو أشبه بكرة من حديد معلّقة بالقدم نجرّها معنا أينما ذهبنا، بحيث تصبح جزءاً من جسدنا. وبعد مدّة، نتوقّف حتّى عن ملاحظتها».
«ماذا تقصد بذلك؟»
«لا شيء أكثر ممّا قلته».
حاول جمال ترجمة كلامه: «هل تشعر بالذنب لأنّك كنت أباً سيّئاً؟»
«لقد كنت أباً سيّئاً جدّاً».
شعر جمال أنّ لارسن سيتابع كلامه، لكنّه توقّف. كان المفتّش يحاول التكيّف مع وتيرة الحديث البطيئة بصعوبة وتمنّى لو يُسرع قليلاً.
«سيّئ لدرجة قيامك بسلب طفليك حياتهما؟»
«ليس بالمعنى القانوني للكلمة».
سأله جمال بنبرة حاسمة: «هل قمت بقتل زوجتك وولديك، نعم أم لا؟»
أجاب كريستر لارسن: «أنا لم أقتل أحداً».

غيّرت بترا الحديث.

«ثبت لدينا أنّه كان في حياة كاثرين رجل آخر. بماله، تمكّنت من شراء الشقّة التي تسكن فيها هي والطفلان».

لم يبدُ على لارسن أيّ ردّ فعل، بل بقي نظره الحزين مركّزاً على مكانٍ ما وراء النافذة.

«اسمه إريك. هل يعني لك هذا الاسم شيئاً؟»

هزّ لارسن رأسه نافياً.

حاولت مجدّداً: «هل سمعت كاثرين تذكر يوماً شخصاً يدعى إريك؟»

«كلاّ».

تولّى جمال المتابعة: «في الواقع، لم يكن يدعى إريك، بل إريكسون. وتحديداً، إينار إريكسون».

التفت كريستر لارسن ببطء إليه، وبدا في نظرته شيء جديد لم يستطع الشرطيان تفسيره حقّاً. اعتقد جمال أنّه لمح شيئاً من الدهشة، أو ربّما القلق. أمّا بترا، فستشرح لاحقاً أنّها رأت شيئاً يشبه الشرارة. اختفت النظرة بالسرعة التي ظهرت بها، وامتلأت عيناه البنّيتان مجدّداً بالحزن والإحباط. لكن خلال تلك اللحظة، شعر جمال أنّه رأى ولادة صورة أخرى لكريستر لارسن. بقي هو نفسه الرجل الضخم، بجسمه العضلي ويديه الضخمتين، لكن أضيفت إليه تلك الشعلة التي تتوهّج في الداخل، مدفونة تحت مظهر من عدم الاكتراث. وبرأي جمال، من شأن هذا المزيج من العناصر أن يكون قاتلاً، إن توافرت الظروف.

قالت بترا: «لديّ صورة له أودّ أن تراها، ربّما التقيت به في السابق».

نهضت عن الأريكة التي تتقاسمها مع جمال، واقتربت من

مقعده.

سألها كريستر لارسن: «هل تشتبهون به؟»

أجابت بترا: «نحن لا نستبعد أحداً».

اعتدل لارسن في جلسته، ومال للنظر إلى الصورة. شاهده جمال وهو يشدّ على عينيه ويبتعد قليلاً بسبب قصر النظر. خلال بضع ثوانٍ، خيّم صمت تامّ. فجأة، حدث أمر غير متوقّع. فقد نهض كريستر لارسن بعنف من مقعده. ابتعدت بترا مذهولة، والصورة في يدها، وقد أدهشتها رؤية هذا الرجل البارد يغضب فجأة.

«أيّها الوغد! عدت ترتدي هذا، أيّها المنحرف الحقير! كأنّ ما فعلتَه لم يكن كافياً! تباً، ماذا يدور في رأسك المريض لكي...؟»

فجأة، حلّت الآهات والصرخات الحزينة محلّ الكلمات. فاندفع نحو الحائط، وراح يضرب رأسه بكلّ قواه. سقطت صورة المركب الشراعي على الأرض، وتحطّم كأس الشراب. لكنّ كريستر لارسن لم يكن يعي ما يحدث. راح يدوس على قطع الزجاج، ويندفع إلى الجهة الأخرى من الغرفة ليضرب بقبضتيه الحائط المقابل.

قفز جمال من مكانه وتقدّم بتصميم من هذا الرجل الذي يقف على شفير الجنون. أخذ يحدّثه بصوت عالٍ، وحاول أن يطلب منه الهدوء، لكن بلا جدوى. عادت بترا إلى رشدها، وهبّت لنجدته. حاولت أن تمسك بكريستر لارسن من خصره، لكنّه تحرّر منها من دون أن تدرك، قبل أن يدور حول نفسه في وسط القاعة، عاجزاً عن التخلّص من الأفكار الهائجة التي تنهش رأسه. فجأة، سقط على جنبه، وارتطم رأسه بالأرض، وذلك من دون أن يُقدم على أيّ محاولة للتخفيف من قوّة السقوط. أحدث اصطدام رأسه بالأرض صوتاً مخيفاً. في اللحظة نفسها، ارتخت أطرافه ونفذت الطاقة من جسده.

telegram @ktabpdf

بقي ممدّداً على جنبه من دون أن يصدر عنه أيّ صوت. كانت إحدى ذراعيه مثنية بزاوية غير اعتيادية بحيث بدت مكسورة. أمّا عيناه فكانتا مفتوحتين، وتنفّسه ما زال سريعاً. على الرغم من رعبه، اقترب منه جمال ووضع يده على جبينه.

قال لبترا: «عليها أن نقلبه. أمسكيه بقدميه».

أحاط جمال بصدر كريستر لارسن، بينما أمسكت بترا بكاحليه. على الرغم من قامته الضخمة، تمكّنا من تمديده على ظهره من دون أن تتأذّى ذراعه المكسورة أكثر.

سأله جمال واضعاً يده على الجهة التي تلقّت الصدمة من وجهه: «كيف تشعر؟»

مع أنّ عينيه ما زالتا مفتوحتين، وما زال يتنفّس، إلاّ أنّه لم يحرّك ساكناً.

وعندما رفع جمال بحذر الطرف المكسور، لم يتحرّك أيضاً.

قالت بترا: «علينا أن نفعل شيئاً. ضع له وسادة تحت رأسه، وأحضِر فوطة مبلّلة بالماء، وأنا سأتّصل بالإسعاف».

* * *

عندما وصلت النجدة بعد دقائق، لم يكن كريستر لارسن قد استعاد وعيه. كان ممدّداً على أرض غرفة الجلوس، بملامح هادئة تقريباً.

* * *

شعر جمال بالضيق إثر انهيار كريستر لارسن. فصعد في سيّارة الإسعاف ليخبر الممرّضين بما جرى. عندما عاد إلى قسم الشرطة، شعر بالحاجة إلى تصفية ذهنه، فقرّر الذهاب لممارسة الرياضة. بعد جلسة مجهدة على الآلات، ذهب إلى قاعة الملاكمة المجاورة لكي

يمـارس بعـض تمارين شـدّ العضلات على السـجّادة. على غرار كلّ القاعـات الرياضيـة فـي مركز الشـرطة، وكما هي العـادة اليوم، كانت الجدران زجاجية. كان يفضّل ممارسة الرياضة بسلام، بعيداً عن الأعين الفضولية للمارّة من هناك. لكن كما يبدو، أصبح من المسـتحبّ أن يعرض المرء نفسه للعيان وهو يضني جسده المسكين.

عندمـا قـرّر العـودة، رأى بترا على الجانـب الآخر من الزجاج. كان جسـدها يلمـع بفعـل العـرق بينمـا تسـلّحت بقفّـازات الملاكمة وراحـت تضـرب بكلّ قواها كيسـاً من الرمـل. وضع جمال يده على مقبض الباب، ووقف متردّداً. غير أنّه أقنع نفسه بعدم السماح لجنون شـخص آخر بإفسـاد حياته. وربّما كانت هذه هي الفرصة المناسـبة لمحاولة القيام بتقارب استراتيجي. هكذا، عدّل مشروع التمارين، ثمّ فتح الباب ودخل.

«مرحباً». ألقى التحية من دون أن يتوقّع جواباً أو يتلقّاه.

ألقـى زجاجـة المياه ومنشـفته في إحـدى الزوايا، في حين بدت بتـرا أنّهـا استمدّت طاقـة جديـدة وانهالـت تصبّ جـام غضبها على كيس الرمل المسكين. ذهب جمال إلى خزانة اللوازم ودسّ يديه في القفّازات الواقية. بعد ذلك، أخذ نفساً عميقاً، واستجمع شجاعته، ثمّ توجّه نحوها.

«هيّا، توقّفي قليلاً. اتركي الكيس واضربيني أنا».

قبلـت عرضـه بسـرور. بالـكاد وجـد الوقت ليرفـع يديه قبل أن تفاجئـه بوابـل مـن اللكمـات. لا بـدّ له من تحريك قدميـه بأكبر قدر مـن المرونـة ليتمكّـن مـن مواجهتهـا. كان علـى وشـك التراجع إلى الخلف ليطلب منها أن تهدأ، لكنّه بالكاد اسـتطاع أن يسـتعيد توازنه لكي يتكلّم. راحت تتصبّب عرقاً كلّما أفرغت مزيداً من غضبها عليه.

telegram @ktabpdf

تجنّبته بنظراتها السوداء، وانهالت ضرباتها يميناً وشمالاً، ومن الأعلى والأسفل، في محاولة لإيجاد ثغرة في دفاعه.

لم يسبق له أن رآها تضجّ بالطاقة بهذا الشكل، أو تفيض بالكراهية... نعم، إنّها الكراهية التي تُظلم عينيها. ما تفعله لم يكن يمتّ إلى الرياضة بصلة، بل كانت تضربه لتؤذيه. ما إن أدرك جمال ذلك، حتّى أراد التوقّف. لا شكّ أنّ لديه فرصة ليهزمها، حتّى لو كانت ترتدي قفّازات قتال حقيقية، في حين أنّه لا يضع سوى قفّازات بسيطة. فقد كان أطول قامة منها ولا شكّ أنّه الأقوى. غير أنّه لم يكن يملك لا الطاقة ولا الرغبة في قلب موازين تلك المواجهة. صحيح أنّها بدت مستعدّة لقتله، غير أنّه من جانبه، لم يكن مستعدّاً للاستغناء عن حياته، ولا للردّ على الضربات. عليه إيقاف هذا الوحش الذي انقضّ عليه بأيّ ثمن، ووضع حدّ لسيل الضربات المحمومة المنهالة عليه.

«ما بالك، بترا؟ هلاّ هدأتِ قليلاً؟»

«ما بالي؟ اللعنة عليك، أنت شخص مريض».

عندما سمع ذلك، فقد تركيزه للحظة وجيزة، ليتلقّى ضربتين قويّتين، واحدة على خدّه، والأخرى في بطنه.

«توقّفي، ألا يمكننا التحدّث؟» قال ذلك وهو يتقوقع على نفسه، ويرفع يديه فوق رأسه طلباً للحماية.

غير أنّها واصلت لكمه بتصميم غريب: ضربتان سريعتان على أضلعه، تبعتهما لكمة على ذقنه.

قال وهو يئنّ: «أنا أعرف ماذا تظنّين، لكنّك مخطئة».

أجابته بسيل آخر من الضربات على رأسه. وسط الأنفاس، والضربات، والخطوات الخفيفة فوق السجّادة، سمع جمال فجأة

صوت باب يُفتح ولحناً من مقطوعة لباخ يتصاعد من هاتف محمول. توقّع في تلك اللحظة أن ينتهي عذابه، لكنّ الحال لم يكن كذلك. فقد استمرّت بترا في صبّ جام غضبها عليه من دون توقّف. عندما فهم منقذه ما يجري، اقترب منهما، وأمسك بذراعي بترا المتعرّقتين من الخلف ليبعدها عن جمال، قبل أن يسقط هذا الأخير على الأرض في وضعيّة الجنين.

عندما استعاد جمال رشده، رأى هولغرسن منحنياً فوقه، بملامحه التي يطغى عليها الغرور، يمسح وجهه بمنشفة مبلّلة. نظر جمال بعينين دامعتين إلى الباب، ليجد كبير المفوّضين رولاند برانت واقفاً هناك. كان ينظر إليه بأسف، حاملاً هاتفه. أخيراً، لاحظ وجود بترا في آخر القاعة. سيتذكّر طويلاً هذا المشهد.

كانت مستندة إلى الخلف، كأنّها تقف في زاوية حلبة، وقد ارتسمت على وجهها ابتسامة فيها شيء من الوقاحة، من دون أن تخلع قفّازات الملاكمة. وقف غونار مالمبيرغ، نائب رئيس المفوضين، أمامها، مسنداً يديه على الجدار من جانبي وجهها، يتحدّث إليها بصوت منخفض. من الواضح أنّه هو من حرّر جمال من براثن تلك المقاتلة الشرسة، وها هو الآن يحاول معرفة ما حدث، ويجبرها على الإصغاء إلى صوت العقل.

لم يعرف جمال كم بقي ممدّداً هناك، والأفكار تعصف في رأسه. انتهى ذلك الوضع الغريب عندما بدأ هاتف مالمبيرغ يرنّ. تصاعدت منه أولى ألحان أغنية يعرفها جمال جيّداً، لكنّه لم يتمكّن من تذكّر عنوانها وهو بحالته تلك. صدحت الرنّة في الغرفة، واستعاد صفاء ذهنه. مدّ له هولغرسن يده وساعده على الوقوف على قدميه. أمّا برانت فهزّ رأسه بانزعاج، ثمّ ضغط على لوحة مفاتيح الهاتف، قبل أن

telegram @ktabpdf

يرفعه إلى أذنه ويغادر القاعة. في الجهة المقابلة، خطا مالمبيرغ جانباً ليفسح الطريق أمام بترا التي لم تفارق الابتسامة شفتيها وهي تخرج، موجّهة نظرة باردة نحو جمال. عندئذٍ، ربّت هولغرسن على ظهره قبل أن يلحق بها. قام جمال ببضع خطوات وهو يترنّح، ثمّ انحنى لالتقاط منشفته وزجاجة الماء، بينما تابع مالمبيرغ حديثه على الهاتف.

«حقّاً؟ أجل. كلاّ، لا أدري».

عندما أوشك جمال على الخروج، استدار والتقت نظراتها بنظرات مالمبيرغ الذي كان مستغرقاً في أفكاره، وتابع الحديث قائلاً: « تحدّث مع لو.... الفتاة الجديدة. جيني. أجل. لا مشكلة في ذلك».

حاول جمال أن يبدي له شيئاً من الامتنان، قبل أن يحييه بهزّة من رأسه، ويتوجّه إلى غرفة خلع الملابس.

* * *

أمضى ربع ساعة في السونا، ليريح جسده المتصلّب والمؤلم. وبعد حمّام أخير، شعر أنّه أصبح أفضل حالاً، وعاد إلى مكتبه ليعمل قليلاً. يبدو أنّه خرج من تلك المواجهة من دون إصابات في الدماغ. أمّا بالنسبة إلى الكدمات المتفرّقة، فيمكنه تدبّر أمرها. غير أنّ وضعه النفسي مسألة أخرى. تكفيه الإهانة التي تعرّض لها أمام كبير المفوّضين وبقيّة الفريق. لكنّ أكثر ما يؤلمه هو عدم معرفته كيف يصلح علاقته ببترا. هل سيتمكّنان من مواصلة العمل معاً بعدما اكتشف أنّها مستعدّة لقتله ما إن تسنح لها الفرصة؟

لا يتوقّع سماع اعتذارات، فهو لا يجد لها ضرورة. ما يحتاج إليه الآن هو فرصة حقيقية للتحدّث معها، ولإقناعها بالوثوق به مجدّداً. عليه أن يتوصّل إلى ذلك في أسرع وقت ممكن. ففي النهاية، هما في خضم تحقيق معقّد جدّاً، والعمل يتطلّب من كلّ واحد منهم

أن يبذل قصارى جهده وأن يصبّوا تركيزهم في اتجاه واحد. ماذا لو يطلب من شوبيرغ أن يلعب دور الوسيط؟ كلاّ، يكفيه ما لديه من هموم. فأحد مرؤوسيه مشتبه به بارتكاب ثلاث جرائم قتل، وصديقه الوفي ساندين لا يعمل سوى نصف دوام. وهو وبترا راشدان بما فيه الكفاية ليحلاّ أمورهما بنفسيهما، بطريقة ناضجة وعقلانية. علماً أنّ بترا لم تتحلَّ بهاتين الصفتين حتّى الآن، بل تعاملت معه كأنّه كيس ملاكمة وبدأت تثير غضبه فعلاً.

هكذا مرّ من أمام مكتب الاستقبال وهو حانق.

«جمال! ألم تسمع آخر الأخبار؟»

ما إن خطا خطوة على الدرج الرخامي، حتّى تردّد صوت لوتن في البهو. عادة، كانت الثرثرة تحسّن من مزاجه، لكنّه غير مستعدّ لذلك الآن. كان يرغب في الوصول إلى مكتبه والاهتمام بالقضايا الأكثر إلحاحاً.

«عذراً، لكن لا وقت لديّ. هل يمكننا تأجيل الحديث إلى الغد؟»

«لكنّ المسألة هامّة! فقد أتى صبيّ صغير إلى هنا لإبلاغنا بإساءة معاملة حيوان. كان هذا مروّعاً!»

«اكتبي تقريراً واعهدي به إلى شخص أقلّ منّي انشغالاً. أنا لا أستطيع».

أضافت لوتن: «عند البطّة القبيحة. يبدو أنّه اسم مقهى أو شيء من هذا القبيل. هل سبق أن سمعت به؟»

هزّ جمال رأسه نافياً، وحثّ خطاه.

واصلت لوتن محاولاتها لاستعطافه: «إنّه حيوان مسكين. ثمّة وحش يتلذّذ بركل حيوان حتّى الموت. لا يمكننا التغاضي عن ذلك، فهو حيوان ثديي، اللعنة!»

غير أنّ لوتن غيّرت نبرتها فجأة، لتتّخذ موقف أمّ تنهر ابنها.

«لكن ما الذي حلّ بك يا صغيري! لمَ وجهك أحمر هكذا؟»

لم يدرك جمال أنّه يحمل آثار المعركة. فقد اكتفى بتسريح شعره بيده، من دون حتّى أن ينظر إلى المرآة.

تمتم من دون أن تسمعه لوتن: «هذا بالضبط ما أشعر به، مثل حيوان أُشبع ضرباً».

ألحّت عليه قائلة: «إذاً؟ ماذا جرى؟»

أجابها قبل أن يندفع لصعود الدرج: «كنتُ في السونا وحسب».

* * *

ما إن وصل إلى مكتبه، حتّى قرع مالمبيرغ الباب. لا شكّ أنّ هذه القصّة أحدثت ضجّة كبيرة.

قال متنهّداً: «ادخل»، ودعاه للجلوس أمامه.

أغلق مالمبيرغ الباب خلفه – وهي إشارة سيّئة – ثمّ تناول جرعة من المياه المعدنية قبل أن يجلس.

«إذاً، أمضيتَ وقتاً عصيباً منذ قليل». قال ذلك وهو ينظر إلى جمال منتظراً منه ردّ فعل فوري.

لا شكّ أنّه يتمنّى سماع تفسير، غير أنّ جمال لا ينوي إعطاءه. على الأقلّ، لن يعطيه الأسباب الصحيحة. شعر للحظة أنّه عارٍ تماماً، كأنّه مبتدئ يجلس أمام نظرات رئيسه الفاحصة.

أجاب مبتسماً: «هذا رأيي أنا أيضاً».

قال في نفسه، لا تخبره سوى أقلّ ما يمكن. احمِ ظهرك. أفرغ مالمبيرغ زجاجة المياه المعدنية، ثمّ وضعها على المكتب.

«تبدو لي في حالة سيّئة، هل أنت واثق أنّك بخير؟»

تلقائياً، وضع جمال يده على خدّه، آملاً ألاّ يكون القتال قد

خلّف أكثر من احمرار بسيط.

«لا تقلق، هذا بسبب السونا».

«لكن ماذا جرى حقاً؟»

«كنّا نتدرّب. لكنّ بترا أخذت المنافسة على محمل الجدّ، وبالغت بعض الشيء. هكذا خرجت الأمور عن السيطرة قليلاً».

حاول أن يبتسم مجدّداً.

قال مالمبيرغ: «هذا واضح».

ودّ جمال لو يُضحكه، لكنّ الرجل حافظ على جدّيته.

«وماذا عنك أنت، ألا تحبّ المنافسة؟»

كذب جمال مجيباً: «كلاّ».

«وما الذي تنوي فعله حيال هذه التجاوزات؟ لأنّها كذلك في النهاية».

أهذا هو الموضوع الذي يريد مالمبيرغ الوصول إليه، أم أنّه يحاول أن يختبر ولاءه؟ بغضّ النظر عن نواياه، فجوابه حاضر. حان دور جمال ليستخدم نبرة جدّية.

«لا شيء من هذا القبيل، كما سبق وقلت، كان مجرّد تدريب على الملاكمة خرج قليلاً عن السيطرة. حتّى إنّني نسيت الحادثة منذ الآن.

«ألن ترفع أيّ شكوى؟»

«أنت تمزح أم ماذا؟»

«وهل يبدو عليّ أنّني أمزح؟»

«لن أقوم أبداً بالادّعاء على أحد زملائي».

كان جمال يكذب هذه المرّة أيضاً. فهو لن يتردّد بالطبع في الإبلاغ عن شرطي فاسد أساء استخدام منصبه. لكنّ هذه المسألة مختلفة.

«حتّى لو كان واضحاً أنّك تعرّضت لاعتداء؟»

أجاب جمال من دون أيّ أثر للابتسام: «باللغة الرسمية، أعتبر ما جرى حادث عمل».

«وماذا عن تعاونكما في المستقبل؟»

أجاب جمال من دون تردّد: «سيكون ممتازاً، كما هو الحال دائماً. فالعمل يأتي أوّلاً». أضاف تلك الجملة الأخيرة كما لو أنّه يعطي رأيه في العمل الجماعي.

هل يفعل ذلك في المقام الأوّل من أجل بترا؟ لماذا يولي أهمّية كبيرة للتأكيد على احترافها في العمل؟ فجأة فهم السبب، لأنّها امرأة. لهذا السبب يتمّ التمحيص في كلّ أفعالها... تماماً مثلما يميل هو نفسه لأن يفعل، ويَكره نفسه لذلك.

أكّد قائلاً: «بترا مثال يحتذى. فهي ماهرة، وتصبّ كلّ تركيزها على العمل».

أدرك أنّه يدير هذا الاستجواب ببراعة، فهو يتفادى الألغام بمهارة مثيرة للدهشة.

«إذاً، ماذا سنفعل؟»

لم يحبّ جمال استخدامه لصيغة الجمع. لذلك عليه أن يصرف انتباه مالمبيرغ والباقين عن المسألة بأسرع وقت ممكن لكي يتمكّن هو وبترا من حلّها بالحسنى.

«سأتحدّث معها. وفي المرّة القادمة التي سنجتمع فيها، ستكون المسألة قد سوّيت، أعدك بذلك».

أجاب مالمبيرغ بنبرة جافّة: «هذا ما آمله. غير أنّني أتوقّع دائماً تفسيراً من جانبك».

قال جمال في نفسه، يا لك من عنيد، وتردّد قليلاً قبل الإجابة.

أخيراً ابتسم ابتسامة عريضة، وبسط يديه كأنّه يُظهر شيئاً من الاستسلام.

«ماذا تريدني أن أقول؟ أنت تعرف النساء وهمومهنّ الصغيرة مرّة كلّ شهر...»

لقد أصاب الهدف! فقد ذابت تعابير مالمبيرغ الجامدة في ابتسامة عريضة. هذا ما يسمّى بلحظة التواطؤ المشترك بين الرجال. هكذا تمكّن جمال من مناقشة المسألة بشكل ودّي وغير رسمي مع نائب رئيس المفوّضين. وأصبح بإمكانه أن يأمل اعتبار هذه المسألة حادثة سخيفة. غادر مالمبيرغ الغرفة بضحكة مكتومة رافقته على طول الرواق.

اقترب جمال من النافذة يتأمّل قنال هاماربي تحت شمس المغيب، وغلب عليه إحساس بالغثيان.

telegram @ktabpdf

مساء الخميس

قالت بترا: «بحسب الأطبّاء، حالته ما زالت حرجة لكنّها مستقرّة. فهو يتنفّس من دون مساعدة، لكنّ ضغطه عالٍ جدّاً. اعتقدت في البداية أنّه مات. فقد كان يحدّق أمامه وهو جامد تماماً، لكنّني لاحظت بعد ذلك أنّ جفنيه يتحرّكان. ومع أنّ أخمص قدميه كان دامياً بسبب كِسَر الزجاج، وعلى الرغم من التلف الذي أصاب مرفقه وهو يضرب الجدار، والكسر الذي أصاب ذراعه عندما سقط، إلاّ أنّه لم يُظهر أدنى إحساس بالألم. وهذا ما أثبت للفريق الطبّي أنّه يعاني من الشلل».

سأله شوبيرغ: «الشلل العابر؟»

«هذا يعتمد على الحالة. في حالته، إمّا أنّه يعاني من تلف في الدماغ سبّبه السقوط أو إصابة في الرأس، أو أنّها صدمة نتجت عن رؤيته للصورة. تحدّثوا أيضاً عن نوبة صرع محتملة. لا يمكنني الجزم ما إذا كان السبب نفسياً أم جسدياً. في كلّ الأحوال، سيتمّ علاجه بالصدمة الكهربائية وإعطائه مصلاً، على أمل أن تتحسّن حالته».

«أخبريني بما حدث».

«لكنّني أخبرتك للتوّ».

«إذاً أخبريني مجدّداً من زاوية نفسية».

تنحنحت بترا قبل أن تعيد الكرّة.

«كان تماماً مثلما وصفتَه: قليل الكلام. وفسّرتُ ذلك على أنّه

حـزن. تحـدّث بنبـرة بطيئة جدّاً، وأنا واثقة أنّ ينس وجدَه لا يُحتمل. لـم يعلّـق علـى وفاة زوجته وولديه، كأنّه غير معنيّ مباشـرة بالحادثة، أو يعتبر نفسه غير معنيّ، إن كنتَ تفهم ما أعنيه».

«أو يعتبر أنّه محروم من حقّ البكاء عليهم؟»

«بالضبـط. بعـد ذلـك، وعلى نحو غير متوقّع تماماً، بدأ يتحدّث عن تأنيب الضمير».

«بأيّ معنى؟»

«قـال شـيئاً مـن قبيـل: عـذاب الضمير هو بمثابة كـرة من حديد نجرّها خلفنا ونعتاد عليها».

«في أيّ سياق قال ذلك؟»

«عندما سـأله جمال عمّا إذا كان يشـعر بالذنب لأنّه لم يتحمّل مسؤولياته إزاء الطفلين. فقال إنّه يعتبر نفسه أباً سيئاً. وأضاف جملة مثيرة للدهشة، إذ قال إنّه لم يقتل طفليه بالمعنى القانوني للكلمة».

«هذا يعني أنّه يعتبر أنّ له يداً بموت الطفلين برغم ذلك؟ ربّما يشعر بالمسؤولية الأخلاقية؟»

«هذا ما فهمته».

تابع شـوبيرغ مفكّراً: «يمكننا الاسـتنتاج إذاً أنّه يعرف شـيئاً عن هذه الجرائم، من دون أن يكون قد ارتكبها بنفسه».

«لكنّه نفى قتلهم. فقد أجاب عن هذا السؤال بنفي قاطع».

«بعد ذلك، أريتماه الصورة؟»

«سألناه أوّلاً ما إذا كان يعرف بوجود رجل آخر في حياة كاثرين يدعى إريك، فنفى ذلك. ثمّ أخبرناه أنّ الرجل المعنيّ يدعي في الواقع إينار إريكسـون، وهنا اشـتعلت عيناه فجأة. أحسست أنّه بمجرّد ذكرنا لهذا الاسم، ضربنا على وتر حسّاس. لكنّ ردّ فعله سرعان ما انطفأ».

telegram @ktabpdf

قال شوبيرغ: «ربّما هدّأ أعصابه ببساطة قائلاً إنّ الاسم شائع».

«هذا ممكن. أيضاً قبل أن يريه جمال الصورة، سألَنا ما إذا كنّا نشتبه في كون إينار هو القاتل. فتملّص جمال من الإجابة قائلاً إنّنا لا نستبعد أيّ فرضية. أنت تعرف هذه اللازمة».

«وعندما وقع نظره على الصورة...»

«... فُتحت أبواب الجحيم. وبتّ تعرف الباقي».

«وأنتِ بترا، ماذا تظنّين؟ هل كريستر لارسن هو الرجل الذي نبحث عنه برأيك؟»

«قطعاً لا، من نبحث عنه هو إينار إريكسون. إن استعاد لارسن رشده، سيتمكّن من شرح السبب. ويكون مستعدّاً للقتل حسب ظنّي».

«تقصدين قتل إينار؟»

«نعم».

«ربّما فعل أساساً».

«لكن كوني، كيف تفسّر ردّ فعله على الصورة؟»

«قد يكون كريستر لارسن ممثّلاً بارعاً».

أجابت بترا: «أنت نفسك لا تصدّق ذلك».

عليه الاعتراف أنّها محقّة في هذه النقطة.

بعد ذلك، روى لها شوبيرغ لقاءه بإنغيغيرد ريدن، وسولفاي إريكسون، وآن بريت بيرغ. ثمّ أخبرته بترا أنّ زيارتها لشقّة إينار إريكسون بهدف محاولة اكتشاف سبب الاختفاء لم تثمر عن شيء. وكذلك الأمر بالنسبة إلى استجواب الجيران في المبنى.

عندئذٍ ختم شوبيرغ الحديث قائلاً: «حسناً، سأطلب الآن شريحة من اللحم مع صلصة البيرنيز وزجاجة من الشراب».

لكن ليس هذا ما حدث فعلاً، لأنّه ما إن أغلق الخطّ، حتّى تمدّد

في السرير شابكاً يديه خلف عنقه، وعاد يفكّر بما جرى مع كريستر لارسن. شعر بالأسف لأنّه لم يشهد ذلك شخصياً. بالطبع، روت له بترا الأحداث بالتفصيل كأنّه يراها أمامه، لكن كان يتمنّى لو شاهد ردّ فعل لارسن بأمّ عينيه.

على أيّ حال، فتحت آفاق جديدة للتحقيق. فمن الواضح أنّه ثمّة ماضٍ مشترك جمع بين كريستر لارسن وإينار إريكسون. وهو نفسه موجود الآن في أربوغا، في المدينة التي بدأ فيها إينار إريكسون خدمته، عندما تولّى منصبه في الشرطة. وهي المدينة التي عاش فيها كريستر لارسن وإنغيغرد ريدن معاً، في الحقبة نفسها. أصبح شوبيرغ على قناعة متزايدة بوجود قصّة قديمة جدّاً خلف مقتل كاثرين لارسن والطفلَين. لكن مع الأسف، تأخّر الوقت الليلة لمزيد من البحث. غداً، سيبدأ بالحفر في ماضي إينار إريكسون على المستوى المحلّي.

اتّصلت به أوسا، وقطعت عليه حبل أفكاره.

قال شوبيرغ: «ذهبت لرؤية قطعة الأرض».

«أيّ قطعة أرض؟»

«ألا تذكرين أنّني عثرت على صكّ ملكية لقطعة أرض عند أمّي؟ وعندما سألت عن المكان الذي تقع فيه، اكتشفت أنّها موجودة على مقربة من أربوغا. وبما أنّني هنا، انتهزت الفرصة وذهبت لرؤيتها».

«ما هذه القصّة؟ ومن أين حصلت أمّك على هذه الوثيقة؟»

«انتظري لتسمعي الباقي»، وراح يصف لها المكان بالتفصيل والمشاريع الكبيرة التي رسمها له.

«لكن كوني، هذه ليست أرضنا».

«لكنّها ستصبح كذلك. فهي تنتمي إلى أمّي، ومن الواضح أنّها لا تكترث لأمرها. المكان جميل جدّاً، ستعشقينه. واسمه مزرعة

telegram @ktabpdf

الجنديّ، أليس اسماً لطيفاً؟»

«لكن لماذا لم تذكرها من قبل؟»

«في الواقع، قمت ببعض الأبحاث ولن تصدّقي ماذا اكتشفت. أوّلاً، كنت أعيش هنا في السنوات الأولى من حياتي».

«اعتقدت أنّك ولدت في ستوكهولم».

«نعم، هذا صحيح، لكن لا بدّ من وجود سبب لكلّ هذا. لا أعرف بالضبط، ربّما كان حمل أمّي خطراً، أو ولادتها صعبة، أو أنّها كانت ببساطة موجودة في ستوكهولم في اليوم الذي ولدتُ فيه. على أيّ حال، عاش جدّاي لأبي في هذا المكان إلى أن تزوّج أبي وأمي وأتيا للعيش هنا. فبقينا فيها طوال الفترة التي سبقت مرض أبي وانتقالنا إلى ستوكهولم. هذا يعني أنّه منزل طفولتي. وبالتأكيد، سنقوم بإصلاحه!»

«يا لها من قصّة لا تصدّق! لكن لماذا لم تذكر أمّك شيئاً عن هذا الموضوع؟»

«أعتقد أنّه ثمّة حكاية وراء كلّ ذلك. فبالنسبة إلى أمّي، يبدو أنّ هذا المكان لا يذكّرها بشيء إيجابي. فقد تبيّن أنّ جدّي توفي عام 1967، عندما كنت في التاسعة من عمري. ولا أذكر أنّني التقيت به، أو أنّ اسم جدّتي ذُكر في بيتنا. ألا يعني ذلك أنّ والدتي لم تكن تتّفق معهما؟»

«لا بدّ أنّهم كانوا على اتّفاق في حياة أبيك، لأنّ والديك كانا يعيشان في المزرعة».

«نعم، لكن على مرّ السنين، يبدو أنّهم اختلفوا».

«وماذا عن جدّتك، هل كانت ميتة عند ولادتك؟»

«ما زالت على قيد الحياة».

«هل تمزح؟»

«كلاّ، أنا جاد. تبلغ من العمر 95 عاماً، وما زالت حية».

«هذا لا يصدّق! ولم ترها أبداً؟»

«ليس منذ طفولتي. كنت أعتقد أنّها ماتت منذ نصف قرن».

«لكن يجب أن تذهب لرؤيتها!»

«سـأذهب غـداً، فقـد تمكّنـت من إيجاد عنوانها، وسـأذهب في الصباح الباكر».

«يا لها من قصّة! هل تحدّثت مع إيفور؟»

«اتّصلت بها في الصباح من المزرعة، وأخبرتها أين أنا، لكنّها لم تعلّق. كان هذا قبل أن أكتشـف أنّ جدّتي ما زالت على قيد الحياة. سـأذهب لرؤية أمّي في آخر الأسـبوع، وأنوي مواجهتها بالحقائق. لا بدّ لنا من التحدّث!»

«حاوِل...»

قال شوبيرغ: «قبّلي الأطفال عنّي. سأعود مساء غد. أحبّك».

«أنا أيضاً، قبلاتي».

* * *

كان شـوبيرغ قـد أنهـى للتـوّ شـريحة اللحم المطهـوّة جيّداً مع الصلصة، وبدأ بكوب الشـراب الثاني لذلك المسـاء، والأخير مبدئياً، نظراً للبرنامج الذي وضعه لليوم التالي. أمسك بهاتفه واتّصل بساندين.

«حسبما أسمع، حياة الليل في أربوغا على أشدّها. هل أنت في مقهى ليلي أم ماذا؟»

أجـاب شـوبيرغ: «ليس حقّـاً، لكـن ثمّـة ضجيج قـويّ في هذا المكان. لقد أنهيت للتوّ ما يسمّونه عشاءً».

«مـع الأسـف، حيـاة المفتّش الجنائي قاسـية. احزر، لقد عثرت

على جواز سفر إينار. كان في حجرة القفّازات في سيّارته».

«هذا جيّد، لكن بالنسبة إليّ لا يغيّر شيئاً. فأنا لم أشكّ أبداً أنّه ما زال في البلاد».

«أبلغتُ أيضاً بيلاّ لكي تقوم بتمشيط سيّارة إريكسون».

«وهل عثرت على شيء مثير للاهتمام؟»

«وجدت أدلّة تثبت أنّ شخصاً ما جلس على المقعد المجاور للسائق. ففكّرت أنّه من الجيد أن نعرف هويّته».

«آثار حذاء؟»

«في أفضل الحالات، أجل. فقد عثرنا على بعض التراب وأشياء أخرى على قطعة السجّاد التي تغطّي أرض السيّارة».

فجأة، فكّر شوبيرغ أنّه كان ينبغي عليه أن يسأل آن بريت بيرغ ما إذا كانت تذكر الحذاء الذي كان يرتديه إينار خلال زيارته إلى سولبيرغا يوم السبت الماضي. بالطبع، من غير المرجّح أن تكون قد لاحظت هذا التفصيل، لكن مع ذلك، قام بتدوين هذا السؤال في دفتر ملاحظاته وهو يتابع الحديث.

قال شوبيرغ: «قد يكون إينار هو الذي أُجلس على المقعد المجاور للسائق».

قال ساندين وهو يضحك: «ما زلتَ متمسّكاً بنظرية المؤامرة. هل تعني أنّه نُقل بسيّارته؟»

أجاب شوبيرغ بجدّية: «ولمَ لا؟ وفي هذه الحالة، أفضّل عدم التفكير في ما يعيشه في هذه اللحظة».

«لكن على يد من، كوني؟»

«على يد كريستر لارسن، ربّما. فعلى ما يبدو، ثمّة خلاف بينهما».

«أنا أوافقك، تبدو القصّة غريبة. لكنّ لارسن هذا لا يبدو حقّاً أنّه في حالة...»

قاطعه شوبيرغ قائلاً: «نحن لا نعرف شيئاً. مع ذلك، يبدو أنّه يكبت في نفسه جرعة كبيرة من الغضب تجاهه».

«إن كان يظنّ أنّ إريكسون قتل زوجته وطفليه، من الطبيعي جدّاً أن يجنّ جنونه».

قال شوبيرغ متنهّداً وهو يتناول رشفة من الشراب: «كنت أودّ حقّاً لو رأيت ذلك. لا يمكنني الاكتفاء بسماع ما جرى لأكوّن رأياً».

قال ساندين بنبرة شاعرية مزيّفة: «لنرَ ماذا يخبّئ لنا الغد».

«ليس جولة من التنس، على أيّ حال»، قال شوبيرغ ذلك في إشارة إلى جولات التنس التي تجمعهما هو وساندين صباح كلّ جمعة عند الساعة السابعة».

«هذا ما كنت أظنّه، لا سيّما عندما تمضي الليلة السابقة للمباراة في مقهى ليلي عوضاً عن الاستعداد، لا شكّ أنّني أنا من يفوز في هذه الحالة».

«لا أوافقك».

«بلى، فالهزيمة هي جزاء اللاعب الذي يقدّم أعذاراً واهية ليتهرّب من المباراة. ماذا ستفعل غداً؟»

«أوّلاً، سأذهب لإلقاء التحية على جدّتي لأبي».

قال ساندين بصوت مبتهج: «أرأيت! هذا هو نوع الأعذار غير المقبولة التي تُستخدم للتهرّب من مباراة تنس. بالمناسبة، لم أكن أعرف أنّ جدّتك لأبيك ما زالت حية».

«في الحقيقة، ولا أنا».

«ماذا تقصد؟»

telegram @ktabpdf

«عرفت بالأمر منذ ساعتين بالكاد. وبما أنّها تقطن في أربوغا، قرّرت أن استغلال فرصة وجودي هنا لزيارتها».

«وهل حصلتَ على هذه المعلومات بالصدفة، وأنت تلاحق آثار إينار إريكسون؟»

«شيء من هذا القبيل. سأروي لك ما جرى بالتفصيل عندما أراك. أنوي أيضاً الذهاب إلى مركز الشرطة هنا للسؤال عن إينار، فقد عمل فيه منذ ثلاثين عاماً».

قال ساندين ساخراً كالمعتاد: «لا بدّ أنّ ذلك سيفيدنا».

«سنرى، إلى اللقاء».

«بلّغ سلامي للجدّة».

ليل الخميس الجمعة

كان العشب بارداً ورطباً بالندى تحت قدميه الحافيتين. لم يشأ، أو بالأحرى لم يجرؤ أن يرفع رأسه لينظر إلى المنزل. فقد أحسّ أنّ رأسه ثقيل جدّاً بحيث يصعب عليه تقريباً إبقاءه مرفوعاً. بعد جهد جهيد، تمكّن أخيراً من الالتفات نحو الضوء، نحو المبنى. وعلى الرغم من برودة الليل، توهّج خدّاه. مال رأسه إلى الخلف، وتقلّص كتفاه. عليه الآن أن يجد الشجاعة ليفتح عينيه، لكنّ شيئاً ما يمنعه من تأمّلها. كان واقفاً في الظلام يترنّح إلى الأمام والخلف، على وشك أن يفقد توازنه، بينما فتح عينيه على نحو لا إرادي. فجأة، ظهرت في إطار النافذة المفتوحة في الطابق العلوي. مارغيت، تلك المرأة المغرية ببشرتها الوردية، ذات الشعر الأحمر الذي يحيط بوجهها الجميل مثل هالة نارية. راحت ترقص له. خطت بضع خطوات قبل أن تدعوه بنظراتها ليلحق بها. مدّ يديه نحوها، لكنّ ثقل رأسه غير الطبيعي شدّه إلى الخلف. أظلمت عيناه، وسقط بكلّ ثقله، ليختفي في ظلام تلك الليلة من شهر أغسطس.

* * *

جلس في سريره وهو يكتم صرخة. عاش هذا الحلم مرّات عديدة بحيث أصبح عاجزاً عن الاحتمال. كان السرير مبلّلاً بالعرق، بينما مرّر ظاهر يده على جبينه قبل أن يجفّفها باللحاف. شعر فجأة بالبرد. فجلس متوتّراً وهو يرتعش. مرّر ذراعيه على صدره العاري،

telegram @ktabpdf

من دون أن يتمكّن من السيطرة على تأوّه طويل. مرّ عليه أسبوع لم يرَ فيه هذا الحلم، لكنّه لم يشعر أنّه حقيقي إلى هذا الحدّ منذ وقت طويل. واحتاج إلى بضع دقائق قبل أن يكفّ عن سماع الدم وهو يُضخّ في صدغيه. أخيراً، أضاء مصباح السرير، وتناول هاتفه، ثمّ طلب رقم مارغيت أولوفسن.

«كوني، لمَ أنت مستيقظ حتّى هذه الساعة؟»

«كم الساعة؟»

«تجاوزت الثالثة. ماذا حدث لك؟ تبدو مقطوع الأنفاس».

« شعرت فجأة بالذعر».

«هل للأمر علاقة بي؟»

«هل أنت في العمل؟»

«نعم، وإلاّ لما أجبت على الهاتف. ماذا عنك، أين أنت؟»

«أنا... خارج البيت بسبب العمل. أعتذر على الاتّصال في هذا الوقت».

«يمكنك الاتّصال بي وقتما تشاء. لقد اشتقت إليك».

«وأنا أيضاً. كنت قلقاً...»

«أنا في العمل، كوني. ما من سبب يدعو للقلق».

«حسناً، المعذرة... سأتّصل بك في وقت لاحق».

أغلق الخطّ، وتقوقع تحت اللحاف، والهاتف ما زال في يده. لا يعرف لماذا اتّصل بها. كانت فكرة مفاجئة، رغبة لم يستطع مقاومتها... لكن رغبة في ماذا؟ أغمض عينيه، وحاول التخلّص من الإحساس الفظيع الذي خلّفه هذا الحلم، ومن وزن كلّ تلك الأسئلة التي لا يملك لها جواباً.

كم يتمنّى لو يعود كلّ شيء كما كان، كم يتمنّى لو أنّه لم يلتقِ

أبداً بمارغيت. عليه أن يكون صادقاً بما فيه الكفاية ليضع حدّاً لهذه العلاقة. فزوجته أوسا هي التي يحبّها، وليس مارغيت. حتّى لو كانت هذه الأخيرة تملك شيئاً يحتاج إليه، من دون أن يدرك ماهيّته. ومع أنّه يعرف أنّ عليه إنهاء هذه القصّة، لكنّه يستمرّ بالتحرّك في الاتجاه الخاطئ. حتّى إنّه لا يجرؤ على التفكير بردّ فعل زوجته إن علمت بمغامراته المتكرّرة. فمنذ سبتمبر الماضي، التقى بمارغيت أربع مرّات فقط. لكن أربع مرّات لم تعد مجرّد مزحة، بل هي علاقة. علاقة دنيئة، ومدمّرة، لا يمكن سوى أن تؤدّي إلى كارثة.

ليكون صادقاً، لم يلتقيا إلاّ بمبادرة منه. فهي لم تتصل به أبداً، ولم تسعَ إلى رؤيته يوماً. هو من أراد إقامة علاقة، في حين أنّها تقرأ أفكاره ولا تحاول أبداً إثارة الموضوع. وهذه الناحية سبّبت له الإحراج في نهاية المطاف. فهو يستخدم مارغيت لكي يرضي رغباته، من دون أن يعرف تماماً حقيقتها. مع ذلك، لا يحبّ أن يكون شخصاً يستغلّ النساء أو الناس عموماً. فهو ليس كذلك، ولم يكن يوماً. لقد كشف له هذا الحلم اللعين جزءاً من نفسه لم يكن يعيه من قبل، جزء فاسد. إذ يشعر أنّه ينفصل عن طبيعته الحقيقية، ليصبح أكثر برودة، وأقلّ تعاطفاً.

استعاد وعيه مجفلاً، من دون أن يعرف ما إذا كان نائماً أم شارداً. إذ رنّ هاتفه وهو ما زال يحمله بيديه تحت اللحاف. ألقى نظرة على الساعة الموضوعة على المنضدة تحت ضوء المصباح، ليدرك أنّها الثالثة والنصف صباحاً.

«مرحباً كوني، معك جيني».

تذكّر فجأة أنّها اتّصلت به منذ بضع ساعات ووعدها بالاتّصال بها مجدّداً. لكن بما أنّه نسي تماماً، نال عقوبته في هذه الساعة. كان

telegram @ktabpdf

شوبيرغ يعرف بناتساندين منذ ولادتهنّ. صحيح أنّه لا يعتبر نفسه الأب الثاني لجيني، لا سيّما وأنها ليست بحاجة إلى أب آخر، لكنّه يجسّـد بكلّ تأكيد أقرب صديق راشـد لها. مع ذلك، لم يتصوّر ماذا يمكن أن يدور في رأسها في منتصف الليل، إذ لـم يسبق أن اتّصلت في هذه الساعة.

«ما الذي أيقظك في هذه الساعة يا حبيبتي؟»

«لـم أستطع النوم».

«ألـم تنامي على الإطلاق؟»

«ربّما قليلاً، لكن لا أظنّ».

«ما الذي يزعجك؟ هل حدث شيء؟»

«هل نحن متّفقان على أنّ إساءة معاملة الحيوانات هي جريمة؟»

عندما أدرك شوبيرغ ماهية الموضوع، بدأ يبتسم. فمايك ولوتن، لا سيّما هذه الأخيرة، أثّرا كثيراً على تفكيرها. ومنذ أن امتلكت جيني كلبـاً صغيراً أسـمته موديسـتي، أصبحت هي أيضـاً مجنونة بالكلاب. كانت كالإسفنجة، تمتصّ كلّ ما يهواه مايك ولوتن.

أجـاب بموضوعيـة: «نعـم، يمكن إدانة تصرّف كهذا. لكنّ الأمر يعتمد بالطبع على نوع الحيوان وما يحدث له».

«يوم أمس، جاء طفل إلى قسم الشرطة وأخبرنا بقصّة مروّعة».

«ربّاه، هل أخبرتِ أبيك؟»

«أجل، لكنّه لم يكترث، وربّما لـم يجد الوقت. أخبرنا الصبيّ أنّ رجلاً يحبس حيواناً ويجبره على التخبّط في قذارته».

«هذا ما تفعله الحيوانات».

«لكنّه يصيح به ويضربه بكلّ قواه».

«وهل رآه الصبي وهو يفعل ذلك؟»

«كلاّ، لكنّه اختبأ هو وصديقه في مكان قريب وسمعا كلّ شيء. ألا تجد أنّه من الغريب وجود حيوان قذر في المدينة؟»

«أقرّ أنّ هذا ليس شائعاً جدّاً، لكن لا أعتقد أنّ القانون يحظر ذلك. إلى جانب ذلك، قد لا يكون حيواناً عادياً، وإنّما أحد تلك الحيوانات الفيتنامية القزم. فهي رائجة جدّاً هذه الأيّام».

«على أيّ حال، يقوم الرجل بضربه تكراراً وبكل قواه. ويرفض إعطاءه طعاماً، مثل البطاطس أو شيء من هذا القبيل».

«ما الذي يدفعك إلى قول ذلك؟»

«لقد سخر الرجل من الحيوان لأنّه تقيّأ طعامه».

أجابها شوبيرغ بدهشة: «نعم، لكن من أين أتت قصّة البطاطس؟»

«وما أدراني أنا، هذا ما قاله الصبيّ».

مكتبة الرمحي أحمد

لم يستطع شوبيرغ مقاومة الابتسام.

«يجدر به البقاء على مسافة من هذا الرجل، فهو يبدو سيّئاً».

«كوني، يجب إنقاذ الحيوان! إن كانت القسوة تجاه الحيوانات جريمة، وأنت شرطي، عليك أن تفعل شيئاً».

سألها شوبيرغ ممازحاً: «حقّاً، لأنّنا سنقوم برفع شكوى؟»

«أجل، ولأنّ لا أبي ولا جمال يرغبان في المساعدة».

«هذا لأنّهما مشغولان كثيراً هذه الأيّام».

«لكنّ المسألة هامة! وهذا أيضاً رأي لوتن!»

«نعم، لا شكّ في ذلك. اسمعي جيني، عند عودتي، سنرفع شكوى. لكن الآن علينا أن ننام، أنا وأنت. اتفقنا؟»

«حسناً»، سمعها وهي تتثاءب، «تصبح على خير إذاً».

«تصبحين على خير يا صغيرتي. نامي جيّداً».

صباح الجمعة

كان كوني شوبيرغ على أبواب الخمسين، وهو يقف للمرّة الأولى أمام جدّته لأبيه. رأى على الفور شبهها بصورته المنعكسة على المرآة: عظام الخدّ البارزة والأنف الطويل. وقفت سيني شوبيرغ مرفوعة الرأس في إطار باب منزلها، مستقيمة الظهر، ترتدي ثوباً بسيطاً وأنيقاً في آن، وتنتعل حذاءً بكعب عالٍ يتناسب مع قدميها. حدّقت إليه بنظرة مرتابة، بعينيها الزرقاوين، من خلف نظّارة ذات إطار معدني.

سألته بينما كان لا يزال مشغولاً في تأمّل ملامحها: «ماذا يمكنني أن أفعل من أجلك؟»

«أنا أدعى كوني شوبيرغ وأظنّ أنّ حضرتك...» ثمّ صحّح ما إن اقتنع بصلة القرابة التي تربطهما: «أنّك جدّتي».

حدّقت إليه بوجه خالٍ من التعابير.

«هل يمكنني الدخول لكي نتكلّم؟»

تأمّلته من رأسه إلى أخمص قدميه. وبعدما لاحظت على ما يبدو الشبه الجسدي بينهما، تراجعت قليلاً لتسمح له بدخول الشقّة. شعر بالحرج وهو يقف في المدخل الصغير، شابكاً يديه مثل تلميذ خجول. أمّا هي، فأغلقت الباب، ثمّ استدارت إليه قبل أن تتوجّه إلى غرفة المعيشة بخطىً سريعة بالنسبة إلى امرأة في الخامسة والتسعين من عمرها.

أحمد

جلست على المقعد الوحيد غير الموضوع تحت الطاولة. ولاحظ المفتّش وجود مجلّة مفتوحة، فضلاً عن قلم وممحاة بجانبها. فاستنتج أنّه هبط عليها بينما كانت تحلّ الكلمات المتقاطعة. وهو أمر وجده مثلها مزعجاً للغاية. هل يمكن إيجاد سمة موروثة في ذلك؟ سحب كرسياً وجلس بدوره.

تأمّلت كلّ حركة من حركاته بارتياب. لم يكن الجوّ الذي يسود الشقّة الصغيرة ودوداً، وهو مصمّم على معرفة السبب.

بادرها بالسؤال مبتسماً: «هل أنت جدّتي حقّاً؟»

تأخّرت قليلاً في الإجابة، لكن عندما أتى جوابها الموجز، كانت نبرتها أكثر حدّة ممّا توقّع.

«هذا ليس بالأمر الغريب».

«عذراً على قول ذلك، لكن لا يبدو عليك أنّك مسرورة برؤيتي».

«ولماذا أكون؟»

ضحك وفهم أنّه يُجَرّ إلى صراع نفسي لا يفهم سببه. فاختار أن يبذل قصارى جهده لتجنّب أيّ مواجهة محتملة، وكشف كلّ أوراقه.

«كبرتُ وأنا أعتقد أن جدّيّ توفيا قبل ولادتي. لكنّني اكتشفت البارحة أنّ جدّي غادر هذا العالم عندما كنت في التاسعة من عمري وأنّك ما زلت على قيد الحياة. وكما تتوقّعين، دُهشتُ كثيراً. سررتُ جدّاً لأنّني عثرت عليك فجأة، لكن لا يبدو أنّك تبادلينني هذا الشعور».

لم تجبه، بل اكتفت بالتحديق إليه بنظرة باردة. بعد انطباعه الأوّلي الإيجابي الذي جعله يستغرب حيوية هذه المرأة بنظرتها الشفّافة كالزجاج، بدأ يغيّر رأيه الآن.

تابع يسأل: «هلاّ شرحت لي السبب؟»

«بإمكان أمّك أن تفعل».

قال في نفسه، هذا هو الأمر إذاً، ثمّة عداوة بيننا. كيف يمكنه أن يواصل الحديث عن أمّه من دون إيذائها؟

«أمّي ليست كثيرة الكلام. ثقي بي، حاولت كثيراً أن أطرح عليها الأسئلة، لكنّها تتجنّب الحديث عن الماضي. في المقابل، لم تتفوّه بكلمة سيّئة عنك أو عن جدّي».

«ليس لديها سبب لذلك. فنحن لم نخطئ يوماً في حقّها».

نظرت بعناد إلى عيني كوني وتمسّكت بما قالته للتوّ. ولم يكن من السهل عليه ألاّ يخفض نظره.

«لكنّك تعتقدين أنّها أخطأت في حقّك؟ أو حقّكما؟ أحبّ أن أعرف ما الذي حدث».

أجابت سيني شوبيرغ: «لقد سلبت ابني حياته».

تجمّد كوني. ما الذي يفترض أن يعنيه ذلك؟ غير أنّه حافظ على نبرة موضوعية، وواصل الحديث مع جدّته بلطف، ليضع يده على القطع المفقودة من أحجية تاريخه.

«هلاّ كنت أكثر وضوحاً من فضلك؟ أنا لا أفهم إطلاقاً ما تحاولين قوله».

«أنا لا أحاول شيئاً، أنت من يجبرني على الكلام عن أمور طواها النسيان».

«طواها النسيان؟ جدّتي، أنا أشعر أنّك أنت من ترفضين نسيان كلّ ذلك».

ارتجفت، وبدا واضحاً أنّها لم تستسغ عبارته الأخيرة.

تابع يقول: «كنت أعتقد أنّ أبي مرض. فأنا أذكر أنّه مكث لبعض الوقت في المستشفى قبل أن يموت. وبما أنّه لم يُسمح لي أبداً

بزيارته، لم أفهم ما هو المرض الذي أصابه».

أجابته غاضبة: «مرض؟ لم يكن مريضاً. قبل أن يفارق الحياة، أمضى أشهراً في العناية المركّزة بسبب الحروق».

سألها كوني وهو يرتجف: «لكن أيّ حروق؟ أرجوك، أخبريني بما جرى».

«كان ينبغي لأمّك أن تفعل. فلماذا أُضطرّ أنا إلى استرجاع الماضي؟»

«لأنّني أتوسّل إليك أن تفعلي». أجابها كوني بذلك وهو يفتح يده أمامها للدلالة على أنّه لا يملك نوايا خفية. «لأنّ ابنك كان أبي، ولأنّني أملك الحقّ في المعرفة».

«إنّه خطأكما، أنت وأمّك فقدتما حقوقكما. لم أعد مَدينة لكما بشيء».

لم ترفع بصرها عنه لثانية واحدة. سيني شوبيرغ هي امرأة قوية، من الأفضل أن تكون إلى جانبك على أن تكون ضدّك. لكنّ كوني يفضّل مواجهة هذا النوع من الناس عوضاً عن التحفّظ والهرب مثل أمّه. فاختار مناشدة منطق جدّته وحماية نفسه من هذه النظرة الباردة والفضولية في آن.

«لقد كنت في الثالثة من عمري. كما أفهم، تعتبرينني طرفاً في فعل أضرّ بأبي، لكنّني لا أذكر على الإطلاق تلك الفترة من حياتي. بالتالي، لا يمكن أن أتحمّل أيّ ذنب. مع ذلك، لديّ انطباع أنّ هذه المسألة مهمّة جدّاً بالنسبة إليك، ولذلك سأطلب منك مجدّداً أن تروي لي ما حدث».

لم تكشف عيناها شيئاً ممّا يدور في خلدها. لاحظ كوني توتّراً في شفتيها. فانتظر بصمت إلى أن بدأت تحكي.

telegram @ktabpdf

«اندلع حريق في المنزل. كنتم نائمين أنتم الثلاثة في غرفة واحدة. فاستيقظَت، وحملتك معها إلى الأسفل. أنت وحدك، وتركَت كريستيان وسط اللهب. وعندما تمكّن الرجال من سحبه من هناك، كان الأوان قد فات. عاش بضعة أشهر، لكن أيّ حياة تلك؟»

لم تذرف دموعاً. بقي صوتها ونظرتها قاسيَين، في الوقت الذي اجتاحت فيه نار الحقد الغرفة. كانت تلك المرارة موجّهة ضدّ والدته، وضدّه هو أيضاً كما يبدو. والسبب، هو أنّه حظي بفرصة النجاة من حريق عندما كان في الثالثة من عمره، ولأنّ والدته حرصت أوّلاً على إخراج ابنها من بين النيران، وليس زوجها. شعر كوني بالاختناق. ذاك إذاً هو مصير أمّه. فبعدما خسرت زوجها وبيتها، اضطرّت إلى مواجهة الإحساس بالذنب على تلك الخسارة التي لا يمكن تعويضها، إلى حدّ تبرّؤ حمويها منها.

أحسّ كوني بحاجة ملحّة إلى مغادرة الشقّة. فهو لم يعد قادراً على البقاء بجوار جدّة مجرّدة من الإنسانية، أقرب إلى تمثال من صخر منها إلى بشر، ليكون هدفاً لاتّهاماتها غير المنطقية. مع ذلك، نهض عن كرسيّه بهدوء وودّ مزيّفَين.

قال: «أنا آسف على ما جرى. أفترض أنّنا لن نلتقي مرّة أخرى. اعتني بنفسك، جدّتي».

وجّهت إليه نظرة لم يستطع فهمها. فوقف بضع لحظات يتأمّلها، قبل أن يستدير على عقبيه، ويغادر المكان.

* * *

حوالى الساعة التاسعة، كانت بترا جالسة أساساً إلى مكتبها عندما مرّ جمال في الجوار. بين الليلة الماضية وصباح اليوم، شعر أنّه واثق من نفسه بما فيه الكفاية لمواجهتها والتعبير عمّا يجول في

خاطره. لام نفسه لأنّه لم يفعل ذلك من قبل. لكن بما أنّه لم يكن يملك أدنى فكرة عن طبيعة المشكلة، لم يتسنّ له ذلك.

غير أنّ إيضاح الأمور لن يضرّه أبداً. خلع سترته بسرعة، ورماها على طاولة العمل. بعد ذلك، عاد بخطى واثقة إلى مكتب بترا، ودخل من دون أن يقرع الباب. نظرت إليه وهي جالسة، لكنّ نظرتها لم تعبّر عن شيء. فأغلق الباب خلفه وجلس على مقعد الزائر من دون استئذان. استند إلى الخلف، ووضع يديه على ذراعي الكرسي، ثمّ كتف ساقيه. غير أنّ بترا واصلت معاملته بلا مبالاة.

قال: «علينا أن نتحدّث».

«حقّاً».

تعامله بازدراء.

«أكرّر لك ما قلته. أعرف ما تظنّينه بي، لكنّك مخطئة. لصالحي، ولصالحك، ولصالح الفريق، علينا أن نوضح هذه المسألة».

«ماذا تقصد بصالح الفريق؟»

«يهدّد أعضاءُ الإدارة بتفكيك مجموعتنا إن لم يعد بإمكاننا التعاون».

«آه، هذا مخيف! سأكون بالتأكيد أوّل من يغادر».

وهنا المفارقة. لكن ما الذي يجعلها أكيدة إلى هذا الحدّ أنّها أوّل المستهدفين؟

«أنت لا تملك أيّ فكرة عمّا أفكّر فيه».

استجمع قواه، وحاول أن يكون واثقاً من نفسه على الرغم من يديه اللتين ترتعشان، وخاطر بإفلات ذراعي الكرسي.

«بالطبع أعرف. أنت تعتقدين أنّني أمضي الليالي في تخدير الفتيات والاعتداء عليهنّ. وأنّني بالإضافة إلى ذلك، أصوّر كلّ هذا القرف».

أراد أن يبدو بارداً. مع ذلك، أحسّ أنّ وجهه يلتهب من شدّة الغضب والإحراج، وليس من المستغرب أن يكون صوته قد ارتجف قليلاً. خشي أن تنفجر مرّة أخرى، وتوسعه ضرباً، لكنّها بقيت جالسة، واكتفت برفع حاجبها، وإطلاق ضحكة خافتة.

«هذا ما أظنّه؟ أنا أظنّ أيضاً أنّ كلامك أتى ليثبت الحقيقة. وبرأيي هذا اعتراف».

«أنت مخطئة. يمكنني إثبات براءتي».

«نعم بالطبع. فأنا أصدّق تماماً أنّك تعرف الكثير عن كلّ ذلك من دون أن يكون لك أيّ يد فيه. كما أفهم، كانت مجرّد شائعة وانتشرت في كلّ أنحاء القسم».

ها هي تسخر مجدّداً.

«في ذلك المساء من شهر نوفمبر، عندما تركتك في مقهى كلاريون، عدت إلى المنزل وانفصلت عن لينا. أمضينا تقريباً طوال الليل ونحن نتحدّث. في اليوم التالي، تقاسمنا أملاكنا، واصطحبتها إلى والديها. يمكنك الاتّصال بها والتحقّق من ذلك».

كانت بترا تصغي إليه. ومع أنّها لم تبدِ أدنى اهتمام في ما يقول، إلاّ أنّها لم تقاطعه.

«وبعد دورة لغة الجسد، أثناء خروجنا من مقهى بيليكان، كانت بيلا في الجوار، أتت لتصطحبني بالسيّارة. ذهبنا إلى منزلها، وأمضينا الليلة سوية. كنّا على علاقة لبعض الوقت، وهي مسألة لا تخصّ أحداً. غير أنّني أتكلّم الآن عن ذلك لأنّني مجبر. اسأليها وتأكّدي».

لاحظ وجود عنصر جديد في نظرة بترا. ما زالت صامتة، لكنّها تفكّر، ويظنّ جمال أنّه يعرف ما تفكّر فيه: إن كان بريئاً، كيف علم التواريخ الدقيقة لتلك الحادثة.

شـرح لها قائلاً: «اكتشـفتُ ما حدث من خلال جهاز الكمبيوتر الخاصّ بي».

فكّر أنّه ليس من الضروري أن تعرف أنّه ليس الشخص الوحيد الذي رأى تلك الصور المزعجة والمهينة.

تابع يقول: «حدث ذلك أوّل أمس. أنا لم أشـاهد بالتفصيل... لكنّنـي رأيـت مـا فيـه الكفايـة لأفهـم ما حـدث. والتاريـخ ظاهر في الزاوية».

راحت بترا تدلّك جبينها بارتياب.

«وماذا عن التاريخ الآخر، إلام تستند؟»

ها هي تسأل. لن يستطيع أن يخفي عنها طويلاً أنّ الفيلم شوهد من قبل آخرين. لكن لديه أمل، فقد نجح في إثارة اهتمامها.

«ثمّة من أرسل هذه الصور من بريدي الإلكتروني».

«أيّ صور؟»

«صور الفيلم».

«أنت تتكلّم عن فيلم وليس عن صورة عادية؟»

«كلاّ، كان مقطعاً من فيلم. لكنّني لم أشاهده بالتفصيل».

قالت بترا: «أنت تكذب. إنّها صورة وجدتُها في جهاز الكمبيوتر الخاصّ بك، وليسـت فيلماً. وقد حذفتُها. كانت الصورة مرسَلة من بريدي الإلكتروني».

«هذا يعني أنّك دخلتِ إلى جهاز الكمبيوتر الخاصّ بي؟»

«كنت بحاجة إلى التأكّد أنّك أنت الجاني».

فجأة، بدآ يتحدّثان ويعرضان حججهما بطريقة موضوعية. كانت بداية جيّدة.

أجاب جمال: «هذا غير صحيح».

telegram @ktabpdf

«على كلّ حال، ما تقوله ليس مطابقاً للوقائع».

«اسمعي بترا، ثمّة من أرسل صورة من بريدك الإلكتروني وفيلماً من بريدي أنا. في الحقيقة، بالنسبة إلى الفيلم، رأيته على جهاز المستلم، ومنه عرفت أنّه أرسله من عنواني. لم أكن أرغب في إخبارك بذلك، اعتقدت أنه من الأفضل ألاّ تعرفي».

«ألاّ أعرف ماذا؟»

«أن أشخاصاً آخرين شاهدوا الفيلم».

سألته: «ومن هم هؤلاء الأشخاص؟»

بدت حزينة أكثر منها غاضبة. فأحسّ جمال أنّ الهدف أصبح قريباً وأنّ التوتّر ينخفض. ارتخى فكّه، وبدأ الضغط الذي يعتصر رأسه منذ ستّة أشهر يتلاشى. أكثر ما رغب فيه هو احتضانها بقوّة بين ذراعيه، فقد بدت بحاجة إلى ذلك.

«لا أنوي إخبارك. لكن اطمأني، لم يعد يملك الفيلم. ثقي بك، هل يمكنك ذلك؟»

راقبته بترا لبضع ثوانٍ وهي تجترّ أفكارها. كانت منهارة تماماً في مقعدها.

«كيف وضعتَ يدك على الشخص الذي يملك الفيلم؟ وكيف عرفت أنّه أُرسل إليه من عنوانك؟»

أجابها جمال مبتسماً: «أنا شرطي كما تعلمين».

«هل عن طريق كوني؟»

فوجئ، وهزّ رأسه نافياً.

«هادار؟»

ازداد استغرابه. أهو الشخص الوحيد في الفريق الذي لم يكن على علم بهذه الحادثة؟

لكنّه لم يعد يستطيع منع نفسه. لقد انتظر هذه اللحظة لأشهر، حتّى لو لم تكن الرغبة واضحة كما هي الآن. نهض، ودار حول المكتب، ثمّ ساعدها على النهوض بحذر من مقعدها واحتضنها.

قال: «أردت أن أفعل ذلك منذ وقت طويل. والآن، أخبريني بما جرى».

شعر بها تسترخي وتلقي رأسها على كتفه.

همست قائلة: «أنا أثق بك».

ثمّ بدأت قصّتها.

* * *

عندما تركها بعد بضع ساعات، كانت تتنازعه عدّة مشاعر. فقد شعر بارتياح كبير بعد زوال سوء التفاهم بينهما. وكان مصمّماً على الإيقاع بذاك الذي أسمته الرجل الثاني. هذا من دون أن ينسى المرارة التي تخلّلت تلك اللحظة الحميمة التي انتظرها مطوّلاً، عندما أخبرته بترا بابتسامة عريضة أنّها تمكّنت مؤخّراً من عيش تجربة حقيقية على صعيد الحبّ. لكنّها قالت إنّ تلك العلاقة لن تصبح قصّة فعلية، وأنّ هذا غير ممكن. تساءل عن السبب. عموماً، عندما نقول إنّنا لا نستطيع الدخول في علاقة فعلية، فهذا يعني أنّ القلب مشغول بشخص آخر. وهذا احتمال لم يرق له. أو ربّما لا تعجبه فكرة كونها مع شخص آخر.

ضحكت بلا مبالاة، وتجنّبت إطالة الحديث في هذا الموضوع، بينما ندم لأنّه طرح عليها السؤال.

* * *

في اليوم السادس، بدأت شجاعته تتلاشى. أصبح يشعر الآن أنّه ضعيف إلى حدّ لم يعد يهتمّ باختيار موعد النوم أو موعد الاستيقاظ.

telegram @ktabpdf

وعلى أيّ حال، لم يعد واثقاً أنّه يعرف ما إذا كان ينام فعلاً. فقد كان يدخل بشكل متقطّع في حالة سبات يمكن أن تكون أقرب إلى فقدان للوعي. لم يعد يهتمّ للبرد أيضاً، الأمر الذي فسّره على أنّه بداية النهاية. مع ذلك، لم يتخلَّ عمّا اعتبره الفرصة الوحيدة والضئيلة للخروج من مأزقه. فما إن تمكّن من حشد ما يكفي من الطاقة، حتّى عاد يحاول بعناد حلّ الحبل الذي يقيّد معصميه بهزّات صغيرة.

البارحة، شعر أنّ الكومة الصغيرة من فتات الخبز هي أكبر من حجمها الحقيقي. فعلى الرغم من الجوع الذي يعتصر معدته، إلاّ أن لم يستطع أن يجبر نفسه على الأكل. لم يعد يشعر بالرغبة في ذلك. كما أنّه رفض القيام بتلك الرحلة الطويلة والمؤلمة التي تتطلّب منه الزحف للوصول إلى فتات الخبز والتقاط شيء منه بفمه عن الأرض. مع ذلك، وبما أنّه مستلقٍ بجانب وعاء الماء، كان يجبر نفسه أحياناً على لعق شيء منه. بقي ممدّداً بلا حراك، يشلّ الألم أطرافه المخدّرة، ولا يغيّر وضعيته إلاّ عند الضرورة القصوى.

تعاقبت الأفكار والأحلام، واختلطت، مسبّبة له التشويش التامّ، بحيث لم يعد قادراً على معرفة مكان وجوده. أصبحت معاناته العقلية أكبر وأكثر تعذيباً من ألمه الجسدي الدائم. مع ذلك، كانت أحلامه تسمح له أحياناً بالفرار من واقعه الرهيب. لكن كلّما استيقظ، وجد نفسه في مأزقه الدائم والمؤلم: مرّة أخرى، تغرقه الحياة في مستنقع الآلام، وتجبره على تذكّر إحساس الذنب الدائم الذي سيرافقه حتّى القبر. هذا بالإضافة إلى الذكريات التي تلاحقه لتذكّره كيف كانت حياته. حياة صغيرة، لا قيمة لها ومثيرة للشفقة، ابتلعته في أحد أيّام مايو، منذ زمن طويل، مع رائحة العشب المجزوز حديثاً التي تملأ أنفه، ممتزجة برائحة التراب الذي ستنمو فيه حياة جديدة، وبرائحة

زهر الكرز المنبعثة من الجهة الأخرى من الطريق. كان يوماً من أيّام مايو هبّ فيه هواء لعوب من البحيرة، وداعب شعر زوجته الأشقر. وقفت في الطابور أمام الكشك لشراء مصّاصتين. قريباً، ستفقد القدرة على الكلام.

قفزت بضعة عصافير تحت سلّة المهملات المجاورة، تنقر بقايا بسكويتة بوظة. راحت ترقص حول غنيمتها الشهية بقفزات قصيرة، وعندما ألقت زوجته نظرة على السيّارة، لاحظت أنّ الأمور هناك أيضاً ليست هادئة. كان توبياس، الأصغر بين الولدين، يحاول تخطّي المقاعد للجلوس على مقعد السائق. فألقت نظرة على ساعتها قائلة إنّ إينار سيعود قريباً. في اللحظة نفسها، أعطاها الزبون الواقف أمامها مكانه.

سألت البائع وهي تلقي نظرة أخرى باتجاه السيّارة: «هل لديك مصّاصات؟» لاحظت بارتياح أنّ توبياس يتأرجح بين المقعدين، ورأسه إلى الأسفل. فاعتقدت أنّه يحاول العودة إلى المقعد الخلفي.

أجابها البائع: «بالطبع»، وقدّم لها علبة لتختار المقاس واللون الذي تريد.

لسبب ما، تناولت واحدة سوداء وحملتها بيدها، ثمّ توجّهت بخطىً متردّدة إلى السيّارة التي بدأت تتحرّك ببطء. راحت تركض، لكن بخطوات عصبية صغيرة، ومن ثمّ أكبر، يربكها حذاؤها العالي. في تلك اللحظة، ازدادت سرعة السيّارة إلى الخلف، باتجاه البحيرة المتلألئة.

وصلت إلى السيّارة قبل أن تعبر العجلات حافة الرصيف. فحاولت فتح الباب المجاور للسائق، لكنّ حركتها كانت مربكة بحيث فشلت في ذلك. راحت تصرخ، والتقت نظراتها المرعوبة بنظرات أحد

الولدين، من دون أن تعرف أيّ منهما، وكانت عيناه مليئتين بالدهشة. في اللحظة نفسها، تراجعت السيّارة، وانقلبت عن الرصيف لتغوص في المياه المظلمة. وقفت هناك كالمشلولة تشاهد مقصورة السيّارة وهي تمتلئ بالماء من خلال نافذة السائق. أطلقت صرخة حادّة تصمّ الآذان، هُرع على أثرها البائع وبقية الموجودين، بمن فيهم زوجها، ثمّ رمت نفسها في المياه الجليدية، قبل أن تأخذ نفساً عميقاً وتختفي تحت السطح. بينما كانت تخوض معركتها المستحيلة، انضمّ إليها زوجها ورجلان من المارّة. غاصت السيّارة حتّى الأعماق. أعماق سحيقة، وتيّارات مائية لم يستطع أيّ منهم السيطرة عليها، لا سيّما مع نقص المعدّات والمنقذين.

أظهرت حركاتهم مدى يأسهم وإرهاقهم، وفي النهاية، اضطرّوا إلى الاستسلام والعودة إلى السطح. وبين الصرخات والدموع، عادوا إلى الأرض الصلبة. لكن منذ تلك اللحظة، انهار العالم تحت قدميهما. وبالقرب من الرصيف، طافت مصّاصة سوداء على سطح الماء.

* * *

جلس شوبيرغ في سيارته وحاول تهدئة أنفاسه، ونبضه المتسارع بفعل الغضب الذي يلهب أذنيه. كان بحاجة إلى كلّ قواه لكي يدفع عنه الانطباع الذي خلّفته تلك المرأة المليئة بالمرارة، والأنانية، التي يفترض أن تكون جدّته. في الوقت نفسه، اجتاحت الحرارة جسده. لم يكن قد شغّل المحرّك بعد، فاستند إلى المقود، وحاول استعادة رشده. لاحظ أنّ موجة الدفء تغلّفه بشكل متزايد، إلى أن زال كلّ غضبه على جدّته القاسية ليحلّ مكانه إعجاب كبير بأمّه.

رأى فجأة صورة أمّه كما كانت في شبابها، قبل أن تترمّل.

تذكّر الصور القديمة، وكوّن لها صورة جديدة، صورة امرأة مفعمة بالحياة، ذات ابتسامة دافئة. كانت تلك الصورة مختلفة عن رأيه بها حتّى الآن. شابّة قوية، وواثقة، الحياة أمامها، سعيدة بزواجها، تقطن في منزل ريفيّ صغير، وتحمل طفلها بين ذراعيها. لكن في إحدى الليالي، تحطّمت حياة تلك الشابّة بسبب حريق مشؤوم. فوجدت نفسها وحيدة في ضواحي مدينة لا تعرفها، تحمل على أكتافها عبئاً مضاعفاً: طفل صغير سيكون عليها تربيته بمفردها، وألم فقدان زوجها، وإحساس عظيم بالذنب حمّلها إيّاه حمواها.

إن كانت قد لزمت الصمت، فذلك من أجله، لتجنيبه مواجهة الحزن الكبير المرتبط بمصير أبيه وذكريات الحريق. اليوم، لم يعد الموضوع يتعلّق بكيفية التعامل مع تلك الكارثة، بل بالطريقة التي اتّبعتها لتربية ابنها ليكبر ويصبح شخصاً مستقلاً ومتوازناً. وقد نجحت تماماً في ذلك. هذا إن تجاهلنا ما يدور في رأسه في الآونة الأخيرة، عندما يشعر بانفعالات مؤقّتة تعصف بذهنه. لكنّ هذا الأمر يحدث للجميع. وقد تكون أزمة منتصف العمر، إن كان لهذا الشيء وجود.

تنهّد شوبيرغ وشغّل المحرّك. لقد كُتبت للتوّ صفحة جديدة من تاريخ أمّه، وتاريخه. وسيبذل قصارى جهده لجعل هذا الاكتشاف عنصراً إيجابياً في علاقته بها. لكنّه سيؤجّل هذا الموضوع الآن، فحالياً، عليه أن يتصدّى لماضي إينار إريكسون.

* * *

ذهب شوبيرغ إلى قسم شرطة أربوغا لمقابلة ضبّاط الشرطة الأقدم الذين يعملون هناك. دلّه الشابّ المسؤول عن مكتب الاستقبال على مكتب في الطابق الثالث.

كان يعمل في المكتب مفتّشان يدعيان مولر وإيدن، وكلاهما

telegram @ktabpdf

في العقد السادس من العمر. كان مولر رجلاً طويل القامة ، يتكلّم بلهجة أهالي جنوب السويد. أمّا إيدن فكان متوسّط القامة، ورشيق الجسد، لكنّه أصلع.

عرّفهما شوبيرغ عن نفسه، ودعياه للجلوس على أحد المقاعد. عرض عليه مولر أن يقدّم له شراباً، ثمّ خرج من الغرفة لإحضاره. اقترب إيدن من شوبيرغ وهو يجرّ كرسيّ المكتب. تبادلا بضع كلمات مع الضوضاء الناتجة عن إصلاحات جارية لأضرار سبّبتها المياه في غرفة مجاورة. عاد مولر حاملاً طبقاً من الفاكهة وزجاجات من المياه الغازية وضعها على طاولة منخفضة قبل أن يجلس على مقعده. عندئذٍ عرض شوبيرغ مسألته عليهما.

«أنا أعمل على جريمة قتل امرأة وطفليها، عُثر عليهم مذبوحين. ربّما سمعتما عن الجريمة؟»

هزّ المفتّشان رأسيهما بأسف.

«ثمّة رجلان مرتبطان بالتحقيق كانا يعيشان في أربوغا، وقد أتيت لاستجواب أقربائهم. لأسباب مختلفة، لم تسفر هذه الاستجوابات عن نتائج تُذكر، لكن تبيّن أنّ أحد الرجلين كان شرطياً هنا. فأتيت راجياً الحصول منكما على بعض المعلومات، لا سيّما وأنّكما تعملان هنا منذ بداية السبعينيات كما فهمت، أهذا صحيح؟»

أجاب إيدن: «صحيح»، بينما أومأ مولر برأسه مؤكّداً.

سأله مولر: «أهو مشتبه به؟»

أجاب شوبيرغ: «كلاّ، لكنّه يملك دوراً مركزياً في القضية، وهو مختفٍ حالياً».

سأله إيدن: «وماذا عن الرجل الآخر، هل تبخّر هو أيضاً؟»

«كلاّ، لكنّه في المستشفى، وحالته لا تسمح له بمساعدتنا».

سأل مولر: « ما اسم الشرطي؟»

«عمل هنا بين عامي 1975 و1980، واسمه إينار إريكسون».

تبادل المفتّشان نظرة لم يفهمها شوبيرغ.

«هل تعرفانه؟»

مال إيدن، وأسند مرفقيه على ركبتيه، ثمّ رفع يديه أمام فمه قبل أن يومئ برأسه بجدّية. أمّا مولر، فأخذ نفساً عميقاً قبل أن يجيب: «أجل، نعرفه جيّداً. ما حدث كان رهيباً، وقاسياً جدّاً على إينار».

تابع إيدن وهو يهزّ رأسه بأسف: «المسكين».

عبس شوبيرغ بحيرة. هل يتحدّثان عن شيء يُفترض أن يعرفه؟

«لا أفهم، ما الذي حدث مع إينار؟»

قال مولر: «المعذرة، اعتقدت أنّك تعرف. حسناً، من أين نبدأ؟»

قال إيدن: «إليك ما حدث باختصار. كُلّف إينار وسولفاي، زوجته، برعاية ولدَي الجيران. كانا صبيين بين الثالثة والخامسة من العمر. وكان عليهما إيصالهما إلى أمّهما التي تعمل في صالون لتصفيف الشعر في المدينة. في الطريق، توقّف إينار، الذي كان يقود السيّارة، لشراء شيء ما. وعندما تأخّر، قادت سولفاي السيّارة للاقتراب من كشك قريب لشراء حلوى للطفلين. ركنت السيّارة بحيث كانت مقدّمتها باتّجاه الطريق والجزء الخلفي باتّجاه البحيرة المجاورة. في ذلك الوقت، لم يكن قد بني حاجز بين الرصيف والماء، وفي ذلك المكان، كان الرصيف منحدراً قليلاً. وبينما هي تشتري السكاكر، بدأت السيّارة تنزلق و...».

صمت إيدن، ونظر إلى زميله طالباً منه المتابعة. فتوتّر شوبيرغ متخوّفاً من سماع الباقي، وإن كان قد بدأ يستنتج ما آلت إليه الأمور. تولّى مولر متابعة القصّة.

telegram @ktabpdf

«ركضت سولفاي نحو السيّارة، لكنّها لم تستطع أن تحول دون سقوطها في الماء. وبما أنّ زجاج إحدى النوافذ كان مفتوحاً قليلاً، سرعان ما امتلأت السيّارة بالماء وغاصت إلى قاع البحيرة، وبداخلها الطفلين. رمت سولفاي نفسها في الماء لتحاول فتح الأبواب، ثمّ وصل إينار وحاول مساعدتها مع أشخاص آخرين. غير أنّ السيّارة غُمرت تماماً، واستحال إنقاذهما. بعد هذه المأساة، لم يكن من السهل عليهما مواجهة والدَي الطفلين. ربّاه، يا لتلك الحادثة الرهيبة!»

أحسّ شوبيرغ بالدوار. لقد عمل إينار منذ ثلاثين عاماً على دفن كلّ شيء: الذكريات، والقلق، وعذاب الضمير، وكلّ ما خلّفته تلك الحادثة.

«هل عوقبت سولفاي؟»

أطلق إيدن ضحكة قصيرة ومكتومة.

«أجل، من دون شكّ. لكن ليس بالمعنى القانوني للكلمة».

لفتت تلك الجملة الأخيرة انتباه شوبيرغ.

تابع إيدن روايته المحزنة: «لم تعد كما كانت أبداً. في الأيّام الأولى، حاولت أن تشرح، وتبرّر، وتطلب السماح، وتصرخ معلنة ذنبها أو براءتها. بعد ذلك صمتت. أُدخلت إلى المستشفى في البداية، لمدّة طويلة كما أذكر. لكن بعد ذلك، أدخلها إينار إلى مصحّة، ومكث هنا ثلاث سنوات أخرى. يمكنك أن تتخيّل الحياة التي عاشها بعد ذلك. الهمسات، وشفقة الناس، واتّهاماتهم، لكنّه تحمّل كلّ شيء من أجل سولفاي».

تابع مولر بصوت يملؤه الإعجاب: «كان يأتي إلى العمل كلّ يوم. خسر حبّه للحياة، لكنّه ظلّ يناضل. أمضى كلّ وقت فراغه إلى جانب سولفاي، أوّلاً في المستشفى، وبعد ذلك في المصحّة. لكن بعد ثلاث سنوات، فقد الأمل في شفائها، وانتقل إلى ستوكهولم».

قال شوبيرغ: «كلاّ، لم يفقد الأمل. فقد اشترى منزلاً محاطاً بقطعة أرض لكي ينتقلا إليه عندما تشفى. وحتّى اليوم، ما زال يزورها كلّ سبت. يبقى بجوارها طوال النهار، يحدّثها، وينزّهها. يزورها في ذكرى ميلادها، وفي الميلاد، وفي رأس السنة».

قال إيدن: «الخلاصة أنّ إينار نال عقابه، لا سيّما وأنّ سولفاي لم ترتكب ذنباً. فأحد الولدين كان مجنوناً بالسيّارات وغير مطيع. أطلق فرامل اليد، مع أنّها نبّهته وأمرته بعدم لمس أيّ شيء. بالطبع، لم يكن يجدر بها أن تتركهما بمفردهما».

أضاف مولر: «وكان باستطاعتها أن تركن السيّارة بطريقة أكثر ذكاء. لكن اللعنة، جميعنا نرتكب أخطاء صغيرة. وفي معظم الحالات، تسير الأمور على ما يرام. بعد الحادث، تمّ تثبيت حاجز على طول البحيرة، لكي لا يتكرّر ما جرى».

ألقى شوبيرغ نظرة على طبق الفاكهة، لكنّه لم يعنِ له شيئاً. فقد صدمته قصّة مصير إينار وزوجته. كان يشعر بالاضطراب، لكنّه أُعجب أيضاً بزميله الذي لم يتخلَّ عن سولفاي أبداً.

قال إيدن: «عندما وصلت، ذكرتَ رجلاً آخر. ما اسمه؟»

أجاب: «كريستر لارسن».

نظر المفتّشان إلى بعضهما، وتجمّد شوبيرغ في مكانه عندما سمع إيدن يقول: «كريستر لارسن كان والد الطفلين».

راحت الأفكار تعصف برأسه، ولعن نفسه على افتقاره للحدس متسائلاً لماذا لم تخطر هذه الفكرة في باله أبداً. كان يرزح تحت ثقل هذه المعلومة الأخيرة عندما أنهى الزيارة وشكر الزميلين.

قال وهو يتركهما لأشغالهما: «عليّ ترتيب أفكاري».

* * *

telegram @ktabpdf

خلال الساعات الصعبة التي تلت تلك الكارثة العجيبة، وبينما كانت زوجته الحبيبة في المستشفى، كان عليه أن يتولّى المهمّة الرهيبة المتمثّلة في الذهاب إلى صالون التزيين. قبل ذلك، وبينما كان الغطّاسون يبحثون عن الطفلين، وقف إلى جانب زوجته، وأحاط أحياناً كتفيها بذراعيه. وما إن وصل كريستر إلى المكان، يرافقه شرطي بالزيّ الرسمي، حتّى بدأ الصدع يظهر.

أخذ الأربعة يجوبون في متاهة الحزن المظلمة، لكن ليس معاً. كان وحده يملك القوّة للاقتراب من سولفاي. فقد كانت تصرخ بيأس، بصوت ضعيف على نحو متزايد، وهي تروي تكراراً كيف وقعت الحادثة. أخذ يربّت على رأسها ويحاول مواساتها ومشاركتها الذنب. لكن كلّما مرّ الوقت، كانت ترفض مشاركته أيّ شيء. وفي النهاية، رفضت محاولاته اليائسة للتشبّث بحياتهما المشتركة. تحمّلت المسؤولية كاملة، وانغلقت على نفسها. حكمت على نفسها كأشدّ القضاة، ولم تتمكّن أيّ كلمة من غسل خطيئتها. وفي نهاية المطاف، لزمت الصمت.

ألقت إنغيغرد جزءاً من اللوم الذي لم تستطع أن تصبّه في وجه إينار على كريستر، على شكل وعظ مفعم بالغضب. فقد عهدت بمسؤولية رعاية الطفلين إلى كريستر لارسن عندما ذهبت إلى العمل. وكريستر هو الذي أوكل هذه المهمة إلى إينار بكلّ تهوّر. وهذا الأخير لا يملك أيّ خبرة في رعاية الأطفال، وبما أنّه غير مسؤول إطلاقاً، تركهما في وسط الشارع داخل سيارة حارّة، في عهدة امرأة أكثر تهوّراً منه، مجرّدة من الحدس، لا تعرف أنّ الأطفال طائشين ولا يمكن توقّع أفعالهم.

حاول كريستر يائساً أن يتحرّر من العبء الذي ألقي على كاهله

برميه كاملاً على كاهل إينار. وهمس في أذنيه بسلسلة من الألفاظ المدمّرة: «غير موثوق»، «خائن»، و«أناني». لينتهي به الأمر باتّهامه بكلّ دناءة أنّه أخطأ في اختيار زوجته، ووصفها بضعف الشخصية.

* * *

خيّم الصمت على الأربعة، وابتعدوا عن بعضهم بحيث لم يعد لديهم ما يقولونه لبعضهم. اعتمد كلّ منهم طريقته الخاصّة للانعزال. لم تعد إنغيغيرد وكريستر قادرَين على احتمال الصمت الذي يلفّ شقّتهما، ولا وجود الآخر الذي يذكّرهما بفقدان الطفلين. فجمعا أمتعتهما، وذهب كلّ منهما في سبيله. أمّا إينار، فبقي ثلاثة أعوام في الشقة التي كان يقطن فيها مع سولفاي. ثلاثة أعوام أمضاها في لوم نفسه أو تلقّي اللوم، وليس لديه سوى همّ واحد، وهو مساعدة زوجته لتعود إلى حياتها الطبيعية.

أخيراً، قرّر ترك المدينة. فهو لم يعد قادراً على احتمال النظرات الثقيلة للناس في الشارع، أو الذكريات التي تنقضّ عليه أينما ذهب. هكذا انتقل إلى العاصمة، التي لا يعرف فيها أحداً، ليختفي في زحامها. اشترى منزلاً له ولسولفاي، رافضاً أن يتخلّى عن حلمه بالعيش إلى جانب المرأة الرائعة التي عرفها.

وفي يوم من الأيّام، التقى بكايت. كانت امرأة آسيوية، وحيدة وسط مجموعة من حليقي الرؤوس. حفنة من الأوغاد الذين فرّوا هاربين ما إن رفع صوته. حتّى إنّه لم يضطرّ إلى إبراز بطاقة الشرطة لكي يتفرّقوا عنها. لكنّ كايت تأثّرت. أحاط كتفيها بحنان أبوي، ودعاها لتناول العصير والحلوى في مطعم في الزاوية. وعندما سألته عن اسمه، أجاب إريكسون. ربّما لم تفهم جيّداً، أو ربّما بدا لها الاسم معقّداً أو مملاً ببساطة. فكانت تناديه دائماً باسم إريك، ولم

telegram @ktabpdf

يكن لذلك أهميّة. لا بل وجده ممتعاً. تحدّثا عن حياتها في هذا البلد الكئيب قليلاً، وعن رغبتها في العودة إلى الفليبين، لكنّها ذكرت أيضاً المزايا التي تقدّمها السويد لها ولطفليها الصغيرين اللذين يحبّان هذا البلد.

أرته صورة لها ولأسرتها، فقفز قلبه من مكانه عندما فهم أنّ زوجها ليس سوى كريستر. شعر أنّه تلقّى ضربة على معدته، وعاد إليه كلّ شيء: الخوف، والحزن، والإحساس بالذنب.

أراد أن يضع حدّاً لهذا اللقاء. فهو لا يريد أن يتعدّى على أملاك كريستر. لم يكن يرغب في إحياء مشاعر قديمة لا بالنسبة إلى هذا الأخير ولا إليه هو نفسه. لكن كان من الصعب احتواء كايت، بسحرها وانفتاحها. فقد أحسّت أنّها التقت للتوّ بشخص يسمعها ويراها كفليبينية صغيرة وضائعة في هذه البلاد الجليدية، يرهقها الحنين إلى الوطن. هكذا فتحت له قلبها، وأخبرته بقصّتها. تحدّثت عن حياتها الزوجية مع رجل يعاني من الاكتئاب، رجل متحفّظ، تطارده الكوابيس، ويعاني من تقلّب المزاج. فأدرك أنّه أكثر من يستطيع فهم ما تعيشه هذه المرأة مع كريستر، ومساعدتها في ما تحتاج إليه لمواصلة طريقها.

استمرّا باللقاء. لم تكن راغبة في فقدانه ولم يستطع تركها. يبدو أنّ هذه هي مشيئة القدر. بالنسبة إليه، شعر أنّ الغاية من لقائهما اتّضحت منذ اليوم الذي قرّرت فيه هي وكريستر الانفصال. بارتياح وشيء من الأسف الذي بدا في عينيها السوداوين، أخبرته عن عزمها على استئجار شقّة في فيتيا. لقد حان له الوقت للتخلّي عن أمله في عيش حياة عائلية طبيعية في منزله في هودينغي. ووجد في ذلك فرصة ليسدّد شيئاً من دينه الكبير نحو كريستر لارسن. لهذا السبب،

عرض على كايت حلاً يعجبها أكثر من ذلك بكثير.

* * *

صحيح أنّه لن يتبقّى له الكثير، لكن ما من شيء يفرحه أكثر من العيش بالقرب من هذين الصغيرين بأعينهما البنيّة وبشرتهما الناعمة كالحرير، ورؤيتهما سعيدَين بين أصدقائهما في الحضانة أو في شقّتهما المريحة والمنيرة المطلّة على الماء. لا يمكن أن يكون أقرب من ذلك إلى السعادة، كما أنّه وللمرّة الأولى منذ زمن طويل، يقوم بعمل مفيد.

وجد في كايت صديقة. لم تكن علاقتهما تتضمّن أيّ شروط، وبطبيعتها العفوية والمنفتحة كانت تضحكه كثيراً. مع ذلك، خجل قليلاً من الأسرار الصغيرة التي أخفاها عنها. غير أنّها تأقلمت مع الوضع من دون أن تطرح تساؤلات لكونه لم يعطها رقم هاتفه ولم يكشف لها هويّته. اكتفت باسمه الأوّل، وبصداقتهما، وبالحبّ الذي يقدّمه للطفلين. وهكذا كان ينبغي أن تسير الأمور. فبالنسبة إليه، ما يفعله هو في المقام الأوّل وسيلة لتسديد حسابه لكريستر.

* * *

جلس شوبيرغ طويلاً في سيّارته يحدّق أمامه. شعر أنّ الحلّ في متناول يده، لكنّه مع ذلك لم يفهم شيئاً. ما الذي يفوته؟ لقد أقاموا علاقة واضحة بين كريستر لارسن وإينار إريكسون. بنظر الأوّل، إينار مسؤول عن موت الولدين. وهذا دافع قوي لارتكاب جريمة. لكن لم يثبت بعد أنّ إينار ميت. ولماذا ينتقم الآن بعد ثلاثين عاماً من وقوع الحادثة؟ والأهمّ من ذلك، لا يشكّل ذلك سبباً ليقوم شخص ما بقتل زوجته وطفليه بدم بارد. مع ذلك، يبدو أنّ موت الولدين الصغيرَين على علاقة بهذا الحادث المأساوي الذي طواه الزمن.

telegram @ktabpdf

فعندما رأى كريستر لارسن صورة إينار، انهار فجأة. وهذا مفهوم إن أخذنا بالاعتبار أنه علم في الوقت نفسه أنّ إينار كان يعيش مع زوجته وولديه، ولا سيّما عندما فهم أنّ إينار مشتبه به في تنفيذ جريمة القتل. بالمقابل، لا يُثبت هذا التصرّف أنّه متورّط في اختفاء إينار. أمّا بالنسبة إلى ردّ فعل لارسن البارد إزاء جرائم القتل، فهو إمّا يُثبت أنه ما زال متأثّراً بمأساة أربوغا وبالاكتئاب الذي أصابه منذ ذلك الحين، أو أنّه أقدم هو بنفسه على قتل أسرته. عادت إلى ذهن شوبيرغ عبارة «ليس بالمعنى القانوني». هذا يعني إذاً أنّ لارسن يعتبر نفسه مسؤولاً بطريقة أو بأخرى عن موت الولدين. هل كان يشير إلى ولديه اللذين توفّيا منذ سنوات طويلة؟ ربّما كان يلوم نفسه لأنّه أوكل رعاية الولدين إلى إينار وزوجته. فمن المؤكّد أنّ إنغيغيرد ريدن اعتبرته مسؤولاً إلى حدّ ما عن الكارثة بحيث أمطرته بالاتّهامات، كما ذكر إيدن.

فكّر شوبيرغ أيضاً بموضوع آخر. ما الذي كان يدور في رأس إينار؟ بحسب المعلومات الأخيرة، أصبح ينظر إلى تورّطه في حياة كاثرين والطفلين تحت ضوء مختلف. هل كان دافعه هو الحبّ؟ أم أنّها مجرّد صدفة أن تكون المرأة الجديدة التي ظهرت في حياته هي زوجة جاره السابق، ووالد الطفلين اللذين لقيا حتفهما وهما تحت رعايته؟ كلاّ، هذا مستحيل. بعد الجوانب المطمئنة التي اكتشفها في شخصية إينار، بدأ يفهم تدريجيّاً نوايا زميله. فحتّى لو افترضنا أنّ لقاء إينار وكاثرين لارسن هو من قبيل المصادفة، إلاّ أنّ ما فعله بعد ذلك أتى ثمرة تفكير متأنٍّ من جانبه. فالحبّ لم يكن هو دافعه، وما قالته كاثرين لصديقتها صحيح: هي وإينار لا تربطهما علاقة عاطفية.

المسألة في الواقع هي مسألة إحساس بالذنب. فنتيجة لصدفة لا

تُصدَّق، أُتيحت أمام إينار فرصة لطالما تمنّاها منذ الحادث المأساوي الذي وقع قبل ثلاثين عاماً في أربوغا، ألا وهي فعل شيء لكريستر لارسن وطفليه. هكذا، يستطيع إينار أن يكرّس نفسه تماماً لتوفير حياة كريمة لولدَي كريستر لارسن الجديدين وأمّهما. بتلك الطريقة، يتمكّن إينار من تقديم خدمة له، حتّى لو كان هذا الأخير يجهل ذلك. وجد إينار في هذا العمل وسيلة يريح بها ضميره المعذّب، ويغرس شيئاً من الفرح في حياة سوّدها الحزن. فمنذ وقوع المأساة، لم يعد لإينار إريكسون سوى هدف واحد، وهو التكفير عن ذنبه من خلال مساعدة الأشخاص الذين جرّ عليهم الحزن.

بات شوبيرغ متأكّداً من أمر واحد: إينار إريكسون ليس من قتل توم، ولين، وكاثرين لارسن. بالمقابل، وجد نفسه أمام وضع خطير للغاية. في أسوأ الأحوال، قد يكون ميتاً الآن. وما زال شوبيرغ لا يشعر بالحاجة إلى الاتّصال بآن بريت بيرغ، ممرّضة سولبيرغا، لسؤالها عن الحذاء الذي عُثر عليه لدى إينار. بلا شكّ، كان يرتديه السبت الماضي عندما ذهب لزيارة زوجته، لكن ليس في لحظة ارتكاب الجريمة، لأنّ إينار ليس قاتلاً. كما أنّ زوجة إينار ليست مجرمة هي الأخرى، حتّى لو كان العقاب الذي فرضته على نفسها أسوأ بكثير من العقوبة التي ينالها معظم المجرمين.

تحوّلت أفكاره إلى والدته. فقد اكتشف للتوّ أنّ جدّته لأبيه تبرّأت منها، واعتبرتها مجرمة مع أنها تمكّنت من إنقاذ ابنها من النيران. «كنتم نائمون جميعاً في الغرفة نفسها. لكنّها استيقظت وحملتك إلى الأسفل». كيف حدث أن بقي والده نائماً؟ من المحتمل أن يكون قد أصيب بالتسمّم من جراء الدخان، وغاب عن الوعي. ولا شكّ أنّ أمّه كانت تنوي العودة إلى المنزل لتجرّه هو الآخر، لكنّها لم تتمكّن

telegram @ktabpdf

من ذلك. لسبب ما، لم تتمكّن من إخراج زوجها من النار في الوقت المناسب. فكّر مجدّداً «كنتم كلُّكم نائمون». لكن كم كان عددهم؟

تملّكه دافع مفاجئ، فأخرج هاتفه، وراجع لائحة الأرقام التي طلبها، قبل أن يتصل مجدّداً بمكتب الأحوال المدنية لبلدة أربوغا.

قال شوبيرغ: «سبق وتحدّثنا يوم أمس. بالنسبة إلى كريستيان أونار شوبيرغ، مواليد 22 أغسطس 1933، أودّ معرفة مزيد من المعلومات».

أجابت المرأة بكلّ أدب: «بالطبع، ماذا تريد أن تعرف؟»

«أريد أن أعرف كم كان عدد أفراد أسرته عام 1961».

شدّ على الهاتف بقوّة، وأخبره حدسه أنّ الجواب سيضع الأمور في نصابها.

«لنرَ... ها هو... كانت أسرته نموذجية: أمّ، وأبّ، وولدين».

للحظة، أحسّ شوبيرغ أنّ قلبه توقّف.

«أنا و...؟»

«أليس إليونور، مواليد 03 أكتوبر 1955».

«هل توفيت؟»

«عليّ تغيير السجلّ. لحظة من فضلك...»

سرعان ما عادت لتضيف: «توفيت في 20 أغسطس 1961».

«شكراً على المساعدة، لن أزعجك مجدّداً»، ثمّ أغلق الخطّ قبل أن تتمكّن الموظّفة من قول شيء.

ما عرفه فاق كلّ توقّعاته. كانت لديه أخت تكبره بثلاث سنوات، قضت مثل أبيه في الحريق. حتّى إنّ جدته لم تذكر ذلك. اقتصر حزنها على ابنها وحسب. لا شكّ أنّ أمّه حاولت إنقاذ زوجها وابنتها معتقدة أنّهما سيتمكّنان من الخروج بمفردهما. ففي حالة طوارئ كهذه، من المنطقي تماماً أن يهتمّ المرء أوّلاً بإنقاذ الطفل الأصغر

سناً، ويعتمد على قدرة الأشخاص الأكبر سناً على النجاة بأنفسهم.

حاول شوبيرغ أن يتخيّل نفسه مكان أمّه ويستشعر الحزن الرهيب الذي عاشته. غير أنّ شيئاً بداخله رفض ذلك ومنعه من الغوص في أعماق تلك المأساة القديمة. فما عرفه للتوّ عن أخته وظروف موتها الأليمة يتجاوز قدرته على الاحتمال. لم يتمكّن من إيجاد الطاقة اللازمة لاستيعاب الخبر. أحسّ أنّه عاجز تماماً، فقرّر أن يضع جانباً همومه الشخصية لمدّة من الوقت، لكي يكرّس نفسه بالكامل لمأساة إينار إريكسون.

عاد يفكّر بالأشخاص الأربعة الذين دمّرتهم حادثة البحيرة. لو كنتُ مكان الزوجين لارسن، ما هو الأمل الذي كنت سأتمسّك به لأتابع حياتي؟ أهو إنجاب أطفال آخرين؟ تستحيل الإجابة عن هذا السؤال. فمن غير الممكن أن يحلّ طفل مكان آخر، غير أنّه من المحتمل أن يساعد مجيء طفل جديد على الكفّ عن التفكير بالولدين المفقودَين، لمدّة من الزمن على الأقلّ. أخيراً، أصبح كريستر لارسن أباً من جديد في مناسبتين. هل ساعده ذلك يا ترى؟ على ما يبدو، لم تربطه علاقة أبوية جيّدة بولديه الآخرَين، ولم يستطع أن يعتاد على هذه الفكرة. وبالإضافة إلى خسارتهما هما أيضاً في ظروف مأساوية، لم تكن أبوّته لهما متوّجة بالنجاح.

فكّر شوبيرغ بأمّه التي خسرت طفلة هي الأخرى. فعلى الرغم من جهوده، بقي تركيزه موجّهاً على هذا الموضوع. في حالتها، اكتفت بالطفل الذي بقي في عهدتها. لكنّ وضعها لا يقارن بأمّ خسرت طفلها الوحيد أو كلّ أطفالها.

وماذا عن إنغيغيرد ريدن؟ فكّر شوبيرغ أنّ الأمّهات الثكالى يخترن بين قبول الخسارة أو محاولة سدّ الفراغ بأسرع وقت ممكن

من خلال إنجاب طفل آخر. لكن يبدو أنّ إنغيغيرد ريدن رفضت فكرة الزواج والإنجاب مجدّداً. لكن ما الذي يؤكّد له ذلك؟ أدرك فجأة أنّه فوّت بعض الأمور في تحقيقه عنها. فقد أحاط علماً باسمها، وعنوانها، وزواجها من كريستر لارسن، وكونها بقيت عازبة بعد طلاقهما. كلّ ما يعرفه عن تلك المرأة مستمدّ من ملاحظاته. بالإضافة إلى ما قاله المفتّشان مولر وإيدن بشأنها. غير أنّه لم يتكبّد عناء جمع مزيد من المعلومات، لأنّه استبعدها فوراً من قائمة المشتبه بهم بسبب ضعفها الجسدي. وهو لا يعرف بالتالي ما إذا كانت قد أنجبت أطفالاً آخرين بعد موت ابنيها. لام شوبيرغ نفسه على ميله إلى الاعتماد على الأحكام المسبقة. ثمّ أخرج هاتفه من جيبه واتّصل بمكتب الأحوال المدنية. بعد أربع دقائق، أعاد الموظّف الاتّصال به وأعطاه الردّ. وبعد ثمانية دقائق، علم شوبيرغ أنّ إنغيغيرد ريدن هي أمّ لولد يدعى ميكاييل ريدن، سيبلغ الثلاثين من عمره في أوّل شهر أبريل.

* * *

قال ساندين مؤكّداً: «على كلّ حال، هو ليس في منزله. ولا يجيب لا على الهاتف ولا على قرع الباب».

سأله شوبيرغ: «وأين يقطن؟»

«في غيرديت، في غرفة للطلاّب. لكن لا يبدو أنّه يكرّس وقته للدراسة، فهو لم ينجح سوى في عدد قليل من الموادّ خلال السنوات الماضية».

«وماذا يدرس؟»

«في هذا الفصل، يدرس تاريخ الموسيقى. أمّا في الفصل السابق، فكان يدرس الحقوق».

«ما دامت نسبة نجاحه منخفضة إلى هذا الحدّ، هذا يعني أنّه لا يستفيد من منحة دراسية كبيرة. لا بدّ أنّه يعمل».

«أجل، بدوام نصفي، خمس ساعات في اليوم من الاثنين إلى الخميس، في شركة تنظيف».

كرّر شوبيرغ مفكّراً: «شركة تنظيف؟ هل يحتمل أنه كان على اتّصال بكاثرين لارسن بسبب العمل؟»

أجاب ساندين: «هذا محتمل، لكنّهما لم يعملا أبداً في المؤسّسة نفسها. فقد تحدّثنا مع طلاّب آخرين يقطنون في الطابق نفسه، وقالوا إنّ ميكاييل ريدن هو شخص وحيد، لا يشارك في الحفلات، ويأكل دائماً بمفرده في قاعة الطعام المشتركة. كما أنّه لا يتلقّى زيارات، باستثناء فتاة شابّة أو أخرى، يستقبلها من وقت إلى آخر وتنام عنده أحياناً، لكن ليس لأكثر من ليلة واحدة».

«أصغر منه؟»

«في سنّ المراهقة».

«وماذا يفعل خلال النهار، خارج وقت الدراسة والعمل؟»

«على ما يبدو، يمارس كثيراً رياضة كمال الأجسام. ومع أنّ أحداً لا يعرف أين، إلاّ أنّه غالباً ما يتجوّل حاملاً حقيبة رياضية. كما يعزف على الغيتار، بحسب ما قاله الجيران. لكن يمكننا الاعتبار أيضاً أنّه ينقل مدفعاً رشّاشاً في حقيبة الغيتار، فربّما كان ينهب المصارف».

سأله شوبيرغ وقد ملأه الأمل: «هل لديه سوابق؟»

«كلاّ».

«وهل من ملاحظات أخرى حوله؟ هل يحبّه زملاؤه؟»

«بالطبع لا. فهو بالكاد يجيب عندما يتحدّثون معه. غير أنّه مع ذلك لم يتشاجر يوماً مع أحد. يعطي انطباعاً أنّه يريد أن يُترك وشأنه،

telegram @ktabpdf

لكنّ الأشخاص الذين يلتقون به يجدونه بغيضاً».

«منذ متى وهو يسكن هناك؟»

«منذ أربعة أعوام».

«يمكن إذاً للطالب أن يعيش في المسكن الجامعي من دون أن يتابع المنهج التعليمي؟ كنت أعتقد أنّنا نعاني من نقص في المساكن الطلاّبية».

قال ساندين: «أظنّ أنّه ما دام يملك الحقّ بالتسجيل، يمكنه متابعة العيش هناك. وربّما لهذا السبب ينتقل من مادّة إلى أخرى. لهذا السبب أيضاً تمكّن من النجاح في بعضها. لكن خلال العام الفائت، لم يحضر الدروس كثيراً، ومن المحتمل بالتالي أن يُطرد قريباً».

«هل نعرف من يكون أباه؟»

أجاب ساندين بجفاف: «الوالد مجهول. هل تظنّ أنّ ميكاييل ريدن هو الرجل الذي نبحث عنه».

«أوصلتنا كلّ المعطيات إلى طريق مسدود، وهذا الرجل يفتح أمامنا آفاقاً جديدة».

«وما هو دافعه؟»

تعب شوبيرغ من هذه التخمينات المستمرّة. «أوف... أميل إلى التفكير في الانتقام، لكنّني لا يمكنني الجزم. سأعود للتحدّث قليلاً مع إنغيغيرد ريدن. فخلال لقائنا، لم أجد شيئاً في بيتها أو حديثها يشير إلى أنّها تملك ابناً، وأريد أن أعرف السبب. بعد ذلك، سأعود إلى منزلي. في أثناء ذلك، حاوِل أن تجد الشابّ».

«عاجلاً أم آجلاً سيعود إلى مسكنه. عندئذٍ، سننقضّ عليه لاستجوابه».

اقترح عليه شوبيرغ: «يمكننا أيضاً العثور عليه في العمل».

أجابه ساندين ساخراً: «قلت لك للتوّ إنّه لا يعمل يوم الجمعة. هل كنت نائماً أم ماذا؟»

اعترض شوبيرغ بضعف: «كفى».

لـم يشـعر أنّـه في مزاج للمزاح. عليه إيجـاد إينار وهذا الطالب المزعوم قد يقوده إليه.

«انتظار ظهوره ليس هو الحلّ. ابذل ما في وسعك لإيجاد هذا الشابّ».

سأله ساندين بحذر: «هل يمكننا اقتحام غرفته؟»

«حتماً لا، فنحن لا نملك دليلاً ملموساً ضدّه، ويجب أن تسير كلّ الأمور حسب القانون».

«أنت من يقول ذلك؟»

«ثمّة فرق. ما فعلتُه كان بداعي القلق على زميل مفقود، وليس بنيّة القبض عليه بتهمة ارتكاب جريمة».

«بحسـب فهمـي المتواضـع للأمـور، يبقى إينار المشـتبه به رقم واحد في هذه القضية. هل أنت خائف من المدّعي العام و...»

قاطعـه شـوبيرغ بيـن الجـدّ والمزاح: «كفّ عـن الهذيان. اذهب لاستجواب زملاء ريدن في العمل، حيثما كانوا، واعثر عليه».

* * *

تناهى صوت إنغيغيرد ريدن من داخل الشقّة: «من؟»

انحنى شوبيرغ وحاول إسماعها من خلال فتحة الباب المخصّصة للبريد: «أنا الشرطي كوني شوبيرغ. سبق وتحدّثنا أمس، هل يمكنني الدخول؟»

لم يكن أكيداً من الجواب، غير أنّه اعتدل وفتح الباب مع ذلك.

telegram @ktabpdf

وجدها جالسة على أريكة في الصالة، فأومأت له برأسها ليدخل.

سألها من دون أن يكترث للجواب: «كيف حالك؟»

أجابته من طرف شفتيها: «لا أقوى على النهوض لفتح الباب».

كان جوابها كافياً لتجعل شوبيرغ يعاني الأمرّين وهو يحاول محو الصورة التي خطرت في باله، صورة رئتيها السوداوين اللتين تجاهد لتتنفّس بهما.

مدّ يده لمصافحتها قبل أن يجلس على المقعد نفسه الذي جلس عليه في المرّة الماضية. كانت تتنفّس بصعوبة شديدة بواسطة أنبوب، ولم يكن من الممكن أبداً تجاهل رائحة التبغ في الشقّة.

قال شوبيرغ: «لديك ابن، لكنّك لم تخبريني شيئاً عنه البارحة».

سحبت الأنبوب من فمها، وارتسمت على وجهها ابتسامة ودهشة.

«لم نتحدّث في هذا الموضوع...»

أقرّ شوبيرغ أنّها محقّة في ذلك. فعندما تحدّثا أمس، لم تكن لديه أيّ فكرة عن الماضي المشترك لأسرتي إريكسون ولارسن. ومسألة إنجابها لطفل بعد طلاقها لم تكن لها أيّ علاقة بالقضية بنظره.

قال شوبيرغ: «يبلغ الثلاثين من عمره».

أجابته إنغيغيرد ريدن، من دون أن تفهم بعد إلام يرمي الحديث: «أجل، قريباً. فقد ولد في أبريل».

«ولد إذاً بعد وقت قصير من طلاقك من كريستر. من يكون أباه؟»

«لا أدري، فقد كانت حياتي خلال تلك الفترة غارقة بالفوضى، بعد الطلاق وكلّ ما جرى».

شعر شوبيرغ أنّه لاحظ شيئاً من الضيق على وجهها.

تابع بصوت جادّ: «بعد لقائنا الأخير، عرفتُ بما جرى».

لم تجب، لكنّه لاحظ توتّر جسدها الضعيف. يبدو أيضاً أنّها تتنفّس بصعوبة أكبر، وتنظر إليه بشيء من الريبة. ومع أنّه أراد أن يجنّبها هذا العذاب، إلاّ أنّه لا يستطيع.

«أنا آسف جدّاً، لكن لا بدّ لي من فتح الموضوع. أفهم أنّه من الصعب عليك التحدّث فيه، لكن أريد أن أعرف ماذا جرى في الفترة التي أعقبت الحادثة».

لزمت الصمت لبضع لحظات، تتساءل ربّما ماذا ستقول وماذا يمكنها أن تكشف. لاحظ شوبيرغ أنّها تتغيّر. فالمرأة الضعيفة التي تتنفّس الأوكسجين من خلال أنبوب تبقيه في فمها تحوّلت في لمح البصر إلى محاربة. استقام وجهها فجأة على نحو غير طبيعي لمواجهة كلّ المصاعب. إنغيغيرد ريدن هذه، التي خسرت ولدين في حادثة مأساوية وقعت منذ سنوات عديدة هي امرأة قوية لا تنوي أن تنكسر. إنّها امرأة ترفض الرثاء، وتنأى عن كلّ ما يربطها بذلك الماضي الرهيب. على عكس سولفاي أو كريستر، لم تسمح للحزن والذنب بتدميرها، ولم تقلّد إينار في صراعه الدائم للصمود في وجه الرياح المعاكسة. خلافاً لهم، دفنت إنغيغيرد ريدن ألمها بداخلها، ولم تبُح به أبداً. حاربت كلّ ما يذكّرها بتلك المصيبة، كما لو كانت تحارب وحوشاً ضارية. وكان شوبيرغ ينوي اختراق دفاعاتها.

سألته بشيء من التردّد في نظراتها: «أهذا هو سبب عودتك؟ هل تظنّ أنّ الجرائم التي تحقّق فيها على علاقة بموت ولديّ».

«تتضمّن الحادثة معطيات اكتشفناها حديثاً، وعلينا أن نأخذها بالاعتبار في التحقيق».

غير أنّه سارع إلى العودة إلى المسألة التي تهمّه.

telegram @ktabpdf

«كيف تصفين الفترة التي أعقبت الحادثة؟»

أجابته بصوت متوتّر: «كانت مؤلمة بلا شكّ. في تلك الفترة، لم يكن ثمّة عيادات تساعد الأشخاص الذين تعرّضوا لمحنٍ كهذه، بل كان يتحتّم على المرء أن يواجه مشاكله بمفرده».

«وماذا فعلتِ؟»

أجابته بابتسامة جانبية: «انفصلت عن كريستر. فبعد ما جرى، لم يعد بإمكاننا الاستمرار سوية. إذ لم يعد يربطنا شيء. جمع أمتعته، ورحل ليعيش في ستوكهولم. ومنذ ذلك الوقت، لم نتحدّث أبداً. أمّا أنا، فانتقلت إلى هنا بعد أن استحال عليّ الاستمرار بالعيش في الشقّة نفسها».

«هل تعتبرينه مسؤولاً عن الحادثة؟»

رمقته للحظة قبل أن تجيب: «في ذلك الوقت، أجل، عليّ الاعتراف بذلك. فقد خرجتُ إلى العمل في صباح أحد الأيّام، وبعد بضع ساعات... فقدت أسرتي. ترك الولدين لدى زوجين لا يملكان أطفالاً. كان عليه أن يهتمّ بهما، غير أنّه لم يفعل».

«والآن؟ أما زلت تلومينه؟»

«كلاّ، بالطبع لا. نادراً ما أفكّر فيه، لكن عندما ذكرتَ...»

قال شوبيرغ: «اكتئابه؟»

هزّت رأسها موافقة. «عندئذٍ، تألّمت من أجله. في الحقيقة، لم تكن غلطته، بل غلطتهما».

«ومن هما؟»

أراد شوبيرغ أن يسمعها تلفظ اسميهما، لكنّها لا تنوي أن تفعل. صحّحت قائلة: «غلطتها هي. كانت تعرف ولديّ، وتعرف كيف هما».

«يبدو أنّ سولفاي تحمّلت بسرعة ذنب ما حدث، أم أنّك لا توافقينني الرأي؟»

أجابت إنغيغيرد ريدن بشفتين مشدودتين: «لكنّ هذا لا يعني أنّني سامحتها. فثمّة أمور لا يمكن أن نغفرها، حتّى لو أردنا ذلك».

«لكن في حالتها، ليس المطلوب أن تسامحي أنت، بل هي التي لم تتمكّن من مسامحة نفسها. هل تعرفين كيف تعيش؟»

هزّت إنغيغيرد ريدن رأسها نافية، والتفتت إلى النافذة.

«وماذا عن إينار، هل كنتِ على اتّصال به بعد الحادثة؟»

رمقته مجدّداً، ثمّ أجابت من دون أن يزول التوتّر عن فمها: «في البداية، كان عنيداً. لم يتركنا وشأننا، بل توسّل إلينا لنسامحه، وعرض التعويض علينا بكلّ الطرق الممكنة. غير أنّنا لم نرغب في التحدّث معه. أخيراً استسلم. وبعد انتقالي، لم أسمع عنه شيئاً».

سألها شوبيرغ، وهو يدرك أنّه يجازف بالغوص في مياه عكرة: «أما زلتِ تشعرين بالحقد عليه؟» مكتبة الرمحي أحمد

أجابته من دون تردّد: «لقد قبلا برعاية ولدينا لفترة من الوقت، غير أنّهما لم يتحمّلا تلك المسؤولية. كما سبق وقلت، لا يمكن محو كلّ شيء بمجرّد طلب العفو».

سألها في محاولة لاستفزازها: «وماذا عن ميكاييل؟ هل ربّيته على هذه الأفكار عن استحالة المصالحة؟»

ظهرت الدهشة على إنغيغيرد ريدن.

«نشأ ميكاييل وهو يجهل كلّ شيء عن هؤلاء الأشخاص، حتّى إنّه لم يكن يعرف ماذا حدث لشقيقيه».

بدا شيء من الفخر في جوابها.

أتى ردّ شوبيرغ على كلمة في آخر جملة: «لم يكن؟»

«نعم، إلى أن أخبرته بما جرى لشقيقيه في تلك الحادثة. ولم أفعل إلاّ عندما كبر».

«ومتى كان ذلك؟»

«منذ عدّة أعوام، ثلاثة أو أربعة ربّما. قمت بإخباره عندما مرضت، فقد اعتبرت أنّ لديه الحقّ بمعرفة هذا الجزء من تاريخه. فكما ترى، أيّامي باتت معدودة».

«هل تعنين أنّه لم يعرف مصير أخويه حتّى تلك اللحظة؟»

أومأت برأسها موافقة.

«أريتُه صوراً لهما، أو بالأحرى صوراً لنا جميعاً، الطفلين، والأبوين. حتّى إنّني لم أكن أنظر أبداً إلى تلك الصور، لكنّني فكّرت أنّ الوقت قد حان له ليعرف... القصّة».

وجّه إليها شوبيرغ نظرة أمل أن تكون ثاقبة، وسألها: «هل أخبرته أيضاً من كان أبوه؟»

كانت على وشك أن تقول شيئاً، ثمّ امتنعت. وجّهت إليه نظرة متسائلة، قبل أن تجيب: «كلاّ، عليّ أن أنتظر قليلاً. فأنا لا أريد أن أسبّب له مزيداً من الاضطراب وأنا على قيد الحياة».

فقال شوبيرغ بنبرة رقيقة: «أنت تحمين نفسك، لأنّك لا تملكين القدرة على إحياء الماضي. هل تخشين مواجهة كريستر مجدّداً؟»

تنهّدت، وتقوقعت في مقعدها.

اكتفت بالقول: «يمكنك قول ذلك».

لقد نجح في هدم دفاعاتها، فقد شعر أنّها تسترخي. لكن قبل أن يترك هذه المرأة المريضة بسلام، عليه أن يطرح عليها بعض الأسئلة الإضافية.

قال لها بحذر: «هلاّ أخبرتني عن ميكاييل؟ أيّ نوع من

الأشخاص هو؟»

«إنّه طفل طيب، لم يسبّب لي مصاعب أبداً. فهو حنون، ومخلص».

«مخلص؟»

شعر شوبيرغ أنّها تتحدّث عن كلب.

«أجل، لطيف، ومحبّ، وخدوم».

ماذا أراد أن يسمع؟ لم يستطع شوبيرغ معرفة السبب، لكنّه شعر بشيء غير شخصي بالطريقة التي تصف بها إنغيغيرد ريدن ابنها. فكّر عندئذٍ بكريستر لارسن. هو أيضاً أنجب طفلين من كاثرين من دون أن يبذل أيّ جهد ليكون أباً من جديد.

جازف قائلاً: «أتخيّل أنّه من الصعب التعلّق بطفل جديد عندما يكون المرء قد فقد للتوّ اثنين».

اعترفت إنغيغيرد ريدن من دون أيّ حرج: «لم أكن يوماً أمّاً صالحة لميكاييل. كان يجدر بي أن أجهض، لكن... لم يكن هذا جيّداً. لم أستطع اتّخاذ هذا القرار. غالباً ما اضطر في طفولته لتدبّر أموره بنفسه. غير أنّه لم يشتكِ يوماً. على العكس من ذلك... يهتمّ بي على نحو يخنقني أحياناً. قد يبدو هذا قاسياً بعض الشيء، لكن عندما تكون الأمّ عزباء... تحتاج أحياناً إلى أن تُترك بسلام وحسب».

سارع شوبيرغ إلى تخفيف ضغوطه عليها. فهذه المرأة الغارقة في البؤس لا تستحقّ أن تُدفع فيه أكثر.

أجابها بضحكة ودّية: «هذا هو حال كلّ الأمّهات، والآباء أيضاً. فأنا أب وأعرف ذلك».

تغيّر تعبيرها على الفور.

«ما كان ردّ فعل ميكاييل عندما عرف بالحادثة؟»

telegram @ktabpdf

«اضطـرب كثيـراً. فعندمـا أخبرتـه عن أخويه، لـم يصدّقني على الفور». أضافت وهي تبتسم بحزن: «أخوين صغيرين ولدا قبله... بعد ذلك، تألّم من أجلي كثيراً، وأراد مواساتي. لكنّني لا أحتمل أبداً هذا النوع من المشـاعر، ولا أسـمح لأحد أن يشـفق عليّ، حتّى لو كان ميكاييل. لا شـكّ أنّه فهم ذلك، فراح يسـألني عن تفاصيل الحادثة. وكمـا لاحظـت، لا أحـبّ أن أتكلّـم عمّـا جرى في ذلـك اليوم. غير أنّني فكّرت أنّها فرصة لكي أروي له كلّ شيء لمرّة واحدة وأخيرة، ففعلت».

«وهل أريته صوراً؟»

«أجـل. كان يرغـب كثيـراً فـي تكوين فكرة عن كلّ الأشـخاص المتورّطين».

«أفترض إذاً أنّه رأى أيضاً إينار وسولفاي؟»

«أجل، أصرّ على ذلك».

«وهل يمكنني رؤية الصورة؟»

«إنّها في الدرج الثاني من الأعلى».

أشارت بإصبعها إلى مكتبة خلفه. فنهض شوبيرغ وفتحها.

أجابت قبل أن يسأل: «تحت الفوط».

أخـرج مـن الـدرج مجموعـة سـميكة مـن الصـور الفوتوغرافية المحاطـة بربـاط مطّاطي، ثمّ جلس على المقعد وفردها على الطاولة المنخفضة.

سألها وهو يتأمّل الصور: «هل ميكاييل هو شابّ رياضي؟»

«أجـل، أصبـح كذلـك. ففي صغره، لم يكن يهتمّ بكرة القدم أو هذا النوع من الأنشطة التي يحبّها الفتيان. لكن في السنوات الأخيرة، تدرّب كثيراً».

«علام تدرّب؟»

«أظنّ أنّه مارس كمال الأجسام، وتطوّر جدّاً. ففي الماضي، كان ميكاييل قصيراً وهزيلاً، لكنّه أصبح الآن طويل القامة وقوي البنية».

«هل لديك صورة له؟»

«ثمّة صورة ربّما بين تلك الموجودة في درج الطاولة».

أنهى شوبيرغ أوّلاً تصفّح الصور الموضوعة أمامه، قبل أن يجمعها مجدّداً ويضعها في متناول المرأة.

سألها: «هل أريتها كلّها لميكاييل؟»

هزّت رأسها من دون أن تحاول أخذ الصور.

«أريد رؤية صور إينار إريكسون».

تناولت مجموعة الصور على مضض، ووضعتها في حضنها. ثمّ استغرقت بضعة دقائق لتأمّل الصور جيّداً.

أجابت متفاجئة: «ليست هنا، يبدو أنّ ميكاييل أخذها. لا أجد أيضاً بعض الصور للولدين».

تغيّرت تعابير وجهها، وظهرت تجاعيد بين حاجبيها تنمّ عن القلق، فأحسّ شوبيرغ أنّه رأى شيئاً من الاضطراب في عينيها.

«لكن ما سبب وجودك هنا؟ ولماذا تهتمّ إلى هذا الحدّ بميكاييل؟»

«ثمّة أمر لم أخبرك به. عندما انفصلت كاثرين عن كريستر، سكنت هي والولدين في شقّة باهظة الثمن بالنسبة إلى قدراتها المادّية. وبعد الجريمة، اكتشفنا أنّ إينار هو من تكفّل بتمويلها».

نظرت إليه إنغيغيرد ريدن بهلع، ولاحظ شوبيرغ أنّها تعاني من صعوبة متزايدة في التنفّس. فأمل ألاّ يقصّر حياة المرأة المسكينة وهو يتابع كلامه.

telegram @ktabpdf

«في البداية، افترضنا وجود علاقة حميمة بينه وبين كاثرين، لكنّ الترتيب الذي كان بينهما مختلف تماماً. فقد تعرّف إينار على كاثرين بالصدفة، وعندما فهم من تكون، أو بالأحرى من يكون الزوج الذي توشك على الانفصال عنه، قرّر أن يعرض عليها المساعدة. امرأة فليبينية، بلا مال، مع طفلين صغيرين، تستعدّ للانتقال إلى ضاحية غير ملائمة في ستوكهولم... فكّر إينار أنّ طفلي وزوجة كريستر لارسن يستحقّون حياة أفضل».

قاطعته قائلة: «لكن ألم يفعل كريستر شيئاً لمساعدتهم؟»

«كريستر هو شخص منهك نفسياً ويعاني من الاكتئاب. لم يتعاف أبداً من الكارثة التي خسر فيها ولديه، ولم يتمكّن من عيش حياة أسرية طبيعية إلى جانب كاثرين، أو من إقامة علاقة جيّدة مع الطفلين. حسب ظنّي، عندما اكتشف إينار هذا الوضع، رأى في ذلك فرصة حياته لفعل شيء من أجل كريستر وولديه، حتّى لو لم يعرف كريستر شيئاً عن ذلك. لم يكشف إينار هويته إطلاقاً لكاثرين، واعتبر أنّه من الأهمّية بمكان عدم إيقاظ الأحقاد النائمة. كلّ ما أراده هو فعل الخير، وها هو مفقود الآن».

«مفقود؟ ماذا تعني؟»

«اختفى إينار في وقت وقوع جريمة كاثرين وولديها. وبرأيي، إمّا أن يكون مرتكب الجرائم قد قتله هو الآخر، أو أنّه سجنه. علينا التحدّث مع ميكاييل».

اتّخذت إنغيغيرد ريدن فجأة موقفاً دفاعياً.

«وكيف تعرف أنّ إينار ليس هو القاتل؟»

أقرّ شوبيرغ: «هذا محتمل بالتأكيد. لكن نظراً لما أخبرته لك للتوّ، لا أجده منطقياً. فقد أراد إينار أن يُحسن إلى كريستر، ومقتل

أحمد

زوجته وولديه بهذه الطريقة العنيفة لا يمكن أن يندرج ضمن مخطّط كهذا». صمت شوبيرغ قليلاً قبل أن يضيف: «بالمقابل، وبالنسبة إلى ميكاييل، يمكنني رؤية دافع معقول».

رمقته بنظرة باردة، ثمّ سحبت الأنبوب من فمها بحركة حازمة.

«ليس لميكاييل أيّ علاقة بكلّ ذلك. إنّه شابّ طيّب، يتّصل بي عدّة مرّات في الأسبوع، ويساعدني فوراً عند الحاجة. إنّه مستعدّ لفعل أيّ شيء من أجلي».

قال شوبيرغ بنبرة هادئة وودّية: «وقد يكون هذا مفتاح القضية. ربّما أراد أن ينتقم لك ولأخويه».

صاحت قائلة قبل أن تعيد الأنبوب إلى فمها بعجل: «بأن يقتل أخويه الآخرَين وزوجة أبيه؟»

تابع شوبيرغ بالنبرة نفسها: «بحسب ما قلتِه لي، ميكاييل يجهل كلّ شيء عن أبيه. إن كان ميكاييل هو القاتل، فقد ارتكب جريمته انتقاماً من إينار وحسب، انتقاماً من الشخص الذي يعتبره سبب طفولته البائسة. فهل من انتقام أفضل من وضع حدّ لحياة المرأة والطفلين الذين يشاركون إينار حياته؟»

«لكن هذه ليست الحقيقة!»

«بالضبط، لكن هكذا كانت تبدو الأمور».

«وإن أردنا الإقرار بفرضية هذا النوع من الانتقام، كان ينبغي أن يستهدف أوّلاً... زوجته الأولى».

«لكن كما أخبرتِ ميكاييل بالتأكيد، نالت سولفاي عقابها أساساً. أرجوك، ساعديني على إيجاد ميكاييل. ففي أفضل الأحوال، سيتيح لنا ذلك استبعاده من قائمة المشتبه بهم. ومن ناحية أخرى، قد تكون هذه مسألة حياة أو موت بالنسبة إلى إينار».

لم يكن لدى شوبيرغ أيّ أمل في أن يضرب تحقيقه على وتر حسّاس لدى إنغيغيرد ريدن. انحنى وفتح الدرج الذي يحتوي على الصور التي لا تحتاج إلى إخفاء. لم يجد سوى حفنة منها، فأخرجها لينظر إليها.

أجابت بنبرة قاطعة: «على كلّ حال، لا فكرة لديّ عن مكانه. إن لم يكن في مسكنه، هذا يعني أنّه في العمل».

أجاب شوبيرغ وهو يضع الصور على الطاولة: «لا يعمل يوم الجمعة».

«إذاً لا بدّ أنّه يتدرّب، لكن لا أدري أين».

قال شوبيرغ وهو يقارن الصور الموضوعة أمامه: «يبدو أنّه يتدرّب كثيراً».

أظهرت الصورة الأولى شاباً هزيلاً، مشعّث الشعر. أمّا في الأخرى، فقد ظهر حليق الرأس، يتبختر بعضلاته المفتولة. كان يرتدي قميصاً ضيقاً، وبدا وشم على أسفل ذراعه لم يظهر منه في الصورة سوى ذيل وحش.

«كم سنة تفصل بين هاتين الصورتين؟»

رفع شوبيرغ الصورتين أمامها لكي لا تُضطرّ إلى تغيير وضعيتها.

أجابته وهي تشير إلى الشابّ الموشوم بجسده الرياضي: «تعود هذه الصورة إلى الميلاد الماضي. أمّا الأخرى، فالتُقطت في ذكرى ميلادي الخمسين، أي منذ ثلاث سنوات».

لم يجد شوبيرغ سبباً لإزعاج إنغيغيرد ريدن أكثر، وامتنع عن سؤالها ما إذا كان ميكاييل يتعاطى المنشّطات. لقد بدأت صورة هذا الطفل غير المرغوب فيه تتوضّح. دسّ الصورتين في محفظته، ثمّ نهض قائلاً: «سنعيدهما إليك». وغادر المكان بقلب منقبض.

عصر الجمعة

غارت الأرض تحت قدميه مجدّداً، واختفى كلّ ما حوله. لكن هذه المرّة، تكفّل أحدهم بذلك عمداً. كان لا يزال في سيّارته عندما ظهر الغريب من الظلام ليضغط بقطعة قماش على وجهه. ولا يذكر ما الذي حدث بعد ذلك بين الاعتداء الذي تعرّض له في موقف سيّارته في المبنى واستيقاظه في هذا المكان. عندما استعاد وعيه، كانت الدهشة تسيطر على أيّ إحساس آخر. في ذلك الوقت، كان الألم والبرد لا يزالان محمولَين. ها هو وحيد في الظلام، من دون أن يعرف مكانه وسبب وجوده هنا. يذكر أنّه كان يتثاءب عندما عاد إلى منزله بالسيّارة من سولبيرغا، وأنّه توقّف في استراحة وتناول فنجاناً من القهوة لكي لا يغلبه النعاس وهو يقود. هل انحرف عن الطريق؟ على كلّ حال، لم يكن لا في الغابة، ولا في المستشفى. أحاطت برأسه فجأة قطعة قماش ، وغطّت فمه بإحكام لكتم صوته. كان مقيّد اليدين والقدمين. وحتّى لو كانت حرارة الغرفة مشابهة للحرارة في الخارج، إلاّ أنّه يشعر بوجود سقف فوقه، كما يحسّ تحت يديه بصلابة أرضية خشبية غير ملساء.

بقي على هذه الحال لمدّة طويلة، يحاول أن يفهم ما جرى. خسر عدّة أسنان، واستبدّ الألم بكلّ أنحاء جسده. من الذي يُضمر له هذا الشرّ؟ هل قاومه؟ إن كان ما تعرّض له هو عملية خطف معتادة، فإنّ المجرم أخطأ الهدف. ذلك أنّه لا يملك المال ولا يعرف أحداً

telegram @ktabpdf

على استعداد ليدفع له فدية. لا بدّ أنّه ثمّة خطأ. أصبحت وضعيته غير مريحة، وبدأ يتلوّى. قلب جسده إلى الجهة الأخرى، ولاحظ أنّ مفاتيحه اختفت من جيب سرواله، مفاتيح السيّارة ومفاتيح الشقّة. ولسبب مجهول، خلعوا له حذاءه، لكنّهم تركوا له سترته.

في تلك اللحظة، عادت إليه ذكريات الاعتداء. في الواقع، لم يتسنَّ له الوقت لرؤية وجه خاطفه. نظراً إلى طريقته في الحركة وملابسه، فكّر أنّه لا بدّ أن يكون رجلاً، لكنّه لم يستطع تحديد سنّه، ولا ما إذا كان سويدياً أم غريباً. غير أنّ شكوكه لم تدم طويلاً. إذ سمع صوت مفتاح يُدسّ في قفل، قبل أن يدخل أحدهم إلى الكوخ الصغير. بعد ذلك، توالت الأحداث على نحو غير متوقّع. سمع الباب يُغلق، والضوء ينير الغرفة. لم يرَ في البداية سوى المصباح المضاء في السقف، قبل أن يظهر رجل مخيف فوقه. راقبه الرجل لبضع ثوانٍ بصمت، ثمّ تمدّدت شفتاه في ابتسامة غير مرحة على الإطلاق. ومن دون أن يتفوّه بأيّ كلمة، انهال عليه ضرباً. بطنه، صدره، وجهه... من دون أن يتمكّن من فعل شيء لحماية نفسه. ومع القيود التي تكبّل قدميه ويديه، لم يتمكّن حتّى من التقوقع على نفسه لردّ الضربات عن رأسه. لم يستطع سوى الصراخ، حتّى بُحّ صوته. لكن مع الكمامة التي تغطّي فمه، لم يستطع إيصال صرخاته بعيداً. أمّا الرجل، فواصل ضربه بغضب وقوّة بالغَين، من دون أن يردعه رادع. وبعد مدّة من الوقت، غاب عن الوعي. غير أنّه ليس واثقاً ما إذا كان ذلك قد وضع حدّاً للعنف.

ارتجف عندما سمع الصوت المعتاد للمفتاح الذي يدور في قفل الباب. فتوقّع مجدّداً أن تنهمر عليه الركلات واللكمات، مصحوبة بالشتائم والإهانات. عندما ظهر الرجل الضخم في الباب، لم يحاول

تغيير وضعيته. فما من شيء يمكن أن يغيّر سير الأحداث. وهو ينوي أن يتلقّى عقابه بكرامة، من دون أن يحاول الدفاع عن نفسه. لكن عندما رأى خاطفه، أخذ يشدّ تلقائياً الحبل الذي يقيّد يديه خلف ظهره. حاول بحركات صغيرة فكّ الحبل. والآن، لا بدّ أنّ محاولاته أصبحت بالآلاف.

قال الرجال بصوت بشوش ومليء بالتهديد: «حان الوقت لمشاهدة فيلم. بعد ذلك، قرّرت تصويرك قليلاً. لقد بدأتَ تضعف، إينار، وعليّ فعل ذلك قبل فوات الأوان».

واجه إينار نظرته من دون أن يرفّ له جفن. فهو لم يعد يخشاه، ولم يعد لديه ما يخشاه. تقدّم الرجل منه بخطوة كبيرة، وأمسكه من تحت ذراعيه، ثمّ حمله إلى الجهة الأخرى من الكوخ وهو يجرّه على الأرض، قبل أن يسند ظهره إلى الجدار. بعد ذلك جلس إلى جانبه وأخرج كاميرا فيديو صغيرة من جيب سترته. وبحركة سريعة، شغّل الجهاز واختار نمط التشغيل.

سأله بصوت عذب: «من الجيد أن يغيّر المرء وضعيته، أليس كذلك؟ فكّرت أنّك قد لا تصدّقني. لذلك أحضرتُ بعض الإثباتات بالصور. انظر جيّداً، وأعطني رأيك».

شعر إينار بصعوبة في التنفّس، وتخيّل الأسوأ. فقد سبق وأخبره الرجل بالتفصيل عمّا جرى في شقّة ترولغراند، لكنّه حاول حتّى الآن ألاّ يصدّق. على الرغم من الجوّ البارد، بدأ العرق يتصبّب من وجهه. أغمض عينيه، وأخذ عدّة أنفاس عميقة. فهو لا يريد أن يفقد وعيه. عليه أن يشاهد بأمّ عينه الكارثة التي تسبّب بها.

بدأ الفيلم. رأى بعينه السليمة كايت الجميلة ممدّدة على السرير إلى جانب طفليها. كانت لين الصغيرة نائمة بين أمّها وأخيها، وهي

telegram @ktabpdf

تمصّ إبهامها. في حين استلقى توم بجانبها، بملابس النوم المزركشة بصور الرجل العنكبوت، وبدا أنّه نائم بسلام. فجأة، رأى إينار الدماء على شكل بقعة كبيرة تحيط بهم. اقتربت الكاميرا ببطء من الجثث الثلاثة، إلى أن بدا بوضوح وجه كايت الخالي من الحياة، ورقبتها المذبوحة. راح إينار يزدرد ريقه، وقد تملّكته رغبة بالتقيّؤ، وأوشك على الإغماء منهاراً. غير أنّه أجبر نفسه على متابعة النظر. توقّفت الكاميرا بعد ذلك عند لين الصغيرة، والجرح الكبير الذي يشقّ رقبتها، والدم الذي ما زال يسيل منها. ثمّ ظهر توم، الذي لم يعد رأسه تقريباً موصولاً بجسده الصغير.

لم يعد إينار قادراً على الاحتمال، إذ انتفض جسده بأكمله. أخذ يتقيّأ، وانتابته تشنّجات عنيفة. راح العرق يتصبّب منه وهو يرتعد، ثمّ خيّم الظلام.

لم يعرف ما إذا كان إغماؤه قد دام لثوانٍ أو ساعات، غير أنّه استعاد وعيه بفعل الضربات التي انهالت عليه.

«لا يمكنك النوم الآن، أيّها الوغد! ستستريح قريباً بما فيه الكفاية».

عندما فتح عينه، رأى الرجل أمامه راكعاً على ركبتيه، يحمل الكاميرا بيد، ويوجّهها نحوه، وهو يضربه باليد الأخرى على بطنه وصدره. ومع كلّ ضربة، كان رأسه يصطدم بالحائط. كان الأزيز يُثبت أنّ الكاميرا تصوّر محنته.

«والآن، ستخبرني كيف قتلتَ شقيقيّ الصغيرين».

أخذ إينار يئنّ بضعف شديد.

«أعرف أنّ صوتك مبحوح من شدّة الصراخ، لكن ليس عليك سوى أن تهمس. انظر إلى الكاميرا».

ركع الرجل، وألصق الكاميرا بوجه إينار. أخذ هذا الأخير نفساً عميقاً، قبل أن يركّز نظر عينه السليمة على العدسة. بعد ذلك، وللمرّة الأولى في حياته، روى القصّة كاملة. أخبره أنّه منذ زمن طويل، وفي يوم جميل من أيّام مايو، كان يزرع الأزهار على شرفة منزله هو وزوجته الحبيبة. ثمّ قُرع باب الشقّة، وحدث كلّ ما حدث. تحدّث بقلبه، من دون أن يجمّل شيئاً، ومن دون أن يراعي زوجته أو نفسه. كما أنّه لم يحذف أيّ تفصيل من أحداث ذلك اليوم المشؤوم. تجاهل تماماً الرجل الذي يحمل الكاميرا ويصوّره. استسلم، وأفرغ ما في داخله، وهو أمر لم يفعله يوماً. روايته التي سردها بصوت أجشّ استعادت الروائح، والأحاسيس، والابتسامات، والمداعبات. وعلى الرغم من حباله الصوتية المتلفة، أخبره بكلّ كلمة، وكلّ صرخة، وتحدّث عن إحساسه الهائل بالذنب. ذاك الذنب الذي لم يرحم أيّاً من الأشخاص المعنيين، مثل شظايا انفجار عنيف، قبل أن يدفنهم جميعاً تحت ركامه.

بعد ذلك، تحدّث إينار إريكسون عن ذاك اليوم الذي ظهرت فيه امرأة فليبينية ضائعة في حياته، لديها طفلان. فقبلت بامتنان اهتمامه ومساعدته، الأمر الذي أراح ضميره بعض الشيء. ولم يُخفِ المسؤولية الجديدة التي وقعت على عاتقه، ولا الأنانية التي دفعته إلى التدخّل في حياة تلك الأسرة المسكينة. وهو يتحمّل العواقب ويتلقّى اليوم عقابه على ذلك.

* * *

أمامه، سجّل الرجل كلّ القصّة بواسطة الكاميرا، التي كانت تئزّ بهدوء. أخيراً، نهض من دون أن يقول شيئاً، ووجّه إليه ركلة عنيفة في الوجه. تلك الضربة الجديدة منحت إينار إريكسون إحساساً بالسعادة

والحرّية لم يشعر به منذ الحقبة التي سبقت الحادثة المشؤومة.

خرج الرجل من هناك، وصفق الباب خلفه بعنف، تاركاً إينار إريكسون مجدّداً غارقاً في دمه على أرض الكوخ. شاهده هذا الأخير وهو يرحل، والابتسامة تعلو شفتيه.

* * *

غادر شوبيرغ قسم شرطة أربوغا، بعد أن قام بزيارة أخرى للمفتّشَين إيدن ومولر، لكي ينسخ صورتي ميكاييل ريدن ويرسلهما إلى ساندين عبر البريد الإلكتروني. استقلّ بعد ذلك سيّارته عائداً إلى ستوكهولم. بعد بضع دقائق، بدأ الثلج يتساقط. فاستنتج متنهّداً للمرّة الألف أنّ الربيع سيتأخّر هذا العام. سلك طرقات ضيّقة، وشقّ طريقه بصعوبة نحو الطريق السريع. لكن عندما وصل، اضطر إلى القيادة ببطء بسبب تساقط الثلوج.

أخرج هاتفه، واتّصل بساندين.

«هل فتحتَ رسالتي هذا الصباح؟»

أجابه ساندين بجفاف: «كلاّ، أنا أمضي وقتي في محاولة العثور على ميكاييل ريدن».

«وهذا سبب إضافي لتقرأ بريدك. فقد أرسلت صورتين له، وظننت أنّ هذا سيسهّل عليك الأمور. هل أنت في مكتبك؟»

«أنا في الطريق».

«ترجع إحدى الصور إلى ثلاث سنوات، وقد أرسلتُها من باب الفضول. أمّا الأخرى فهي حديثة. وعند مقارنة الاثنتين، نكوّن فكرة واضحة عمّا كان يفعله هذا الشابّ خلال السنوات الثلاث الماضية».

«هل أجرى جراحة وغيّر جنسه؟»

أجابه شوبيرغ من دون أن يضحك هذه المرّة على مزاح ساندين:

«بل كان يعيش على المنشّطات. فقد تحوّل في وقت وجيز من فتى هزيل إلى جبل من العضلات مكسوّ بالأوشام. ولا يمكن حدوث ذلك من دون موادّ كيميائية غير مشروعة».

«تباً، وماذا عرفتَ من إنغيغيرد ريدن؟»

«كريستر لارسن هو والد ميكاييل، لكنّ أيّاً منهما لا يعرف ذلك. فقد واجهت إنغيغيرد صعوبة في الإحساس مجدّداً بعاطفة الأمومة، شأنها شأن زوجها السابق. هكذا، اضطرّ الصبي إلى تدبّر أموره بنفسه. تعتبره حنوناً ومخلصاً. لكن استناداً إلى وصفها له، أظنّ أنّنا أمام شابّ يبحث بيأس عن حبّ الأمّ واعترافها به. منذ ثلاث سنوات وهي تعاني من انتفاخ الرئة، وتعرف أنّ أيّامها معدودة. وعندما مرضت، قرّرت أن تخبره عن أخويه والحادث. أثّر به ذلك كثيراً، وألحّ عليها لتريه صوراً. في الوقت نفسه، عثر على صورة قديمة لإينار. لكن حاليّاً، اختفت هذه الصور. وتقول إنغيغيرد نفسها أنّه هو الذي أخذها من دون شكّ».

قال ساندين بعد شيء من التفكير: «وهذا يقنعك أكثر أنّ ميكاييل ريدن هو الرجل الذي نبحث عنه؟»

«نحن نعرف جيّداً أنّ تعاطي منشّطات الستروييد تؤدّي إلى آثار جانبية. فهي تسبّب تبدّلاً في المزاج، وعنفاً خارجاً عن السيطرة. وإن رغب المرء في إخفاء نقاط ضعفه، والشعور أنّه لا يُقهر، قد يضيف إليها جرعة روهيبنول، الذي يمكن الحصول عليها من البائع نفسه. ينس، أنا واثق أنّني على حقّ. في هذه اللحظة، لا بدّ أنّ إينار في حالة مزرية، هذا إن كان لا يزال على قيد الحياة».

خيّم الصمت التامّ على الطرف الآخر. للمرّة الأولى، أحسّ شوبيرغ أنّه على وشك إقناع ساندين ببراءة إينار.

telegram @ktabpdf

«ينس؟»
استمرّ الصمت.
«ينس، أما زلت معي؟»
مرّت ثانيتان أو ثلاثة، قبل أن يجيب.
«أنا معك، كوني».
لم تعد نبرته ساخرة كعادته، بطبيعته اللامبالية.
«الوقت ليس مبكراً جدّاً».
«وأنا أعرف كيف عثر على إينار».
لاحظ شوبيرغ فجأة أنّ إريكسون أصبح فجأة إينار بالنسبة إلى ساندين. لا شكّ أنّه أدرك خطورة اختفائه أخيراً.
«كوني، أنا أمام الكمبيوتر. ميكاييل ريدن يعمل لدى شركة التنظيف المسؤولة عن تنظيف حضانة ولدَي لارسن. فقد رأيته هناك عندما ذهبت لإبلاغهم بوفاة الولدين».
«آه، اللعنة...»
دُهش شوبيرغ بالخبر بحيث أبطأ فجأة من سرعة السيّارة.
قال ساندين: «ربّما حدث ذلك بمحض الصدفة. فنحن لن نعتبر بالضرورة أنّ ريدن بحث عمداً عن إينار خلال السنوات الثلاث الأخيرة. ربّما صادفه وحسب وهو يتردّد على الحضانة برفقة ولدي لارسن. وهناك، ونظراً إلى الموادّ التي يتعاطاها، انتابه غضب عنيف، فقرّر الانتقام من الرجل الذي بدا أنّه أب سعيد لولدين».
تابع شوبيرغ وهو يقرّ بإمكانية صحّة هذه الفرضيّة: «لكن بالنسبة إلى الباقي، كان مخطّطاً له بعناية. فقد تبع إينار، ووجد منزله، وراقب عاداته، قبل أن يضرب عندما سنحت له الفرصة. فما من انتقام أفضل من حرمان إينار من الطفلين اللذين تعلّق بهما».

«وهذا يفسّر أيضاً البرودة التي ارتكبت بها الجرائم. فهو لا يملك شيئاً ضدّ كاثرين لارسن والولدين. هدفه الوحيد كان إينار المسكين، تماماً كما كنت تقول، كوني. ماذا سنفعل الآن؟»

«سنقبض عليه. سنخبر الباقين للعثور عليه فوراً».

* * *

جلس جمال عاجزاً أمام شاشة الكمبيوتر، يحاول استجماع ما فيه الكفاية من الطاقة لمشاهدة ذاك الفيلم المقزّز مرّة أخرى. كان باب مكتبه مغلقاً، بينما جلس على مقعده متردّداً في إدخال الفلاشة التي يحملها. حاليّاً، فكّر أنّ أفضل ما يمكنه القيام به هو مشاهدة الصور مجدّداً ليحاول استنتاج شيء. لم يكن يرغب حقّاً في رؤية بترا وهي تصوَّر على هذا النحو، وحاول إقناع نفسه أنّها ليست هي، وأنّ هذه الشابّة المخدّرة التي صُوّرت وهي تتعرّض للاغتصاب ليست بترا الحقيقية. فبترا ويستمان التي يعرفها قوية وعنيدة، لا تخضع لأحد، ولا تسمح أن تتعرّض للاستغلال.

قال في نفسه مبتسماً، كما تُثبت مواجهتنا الأخيرة في قاعة الملاكمة. صحيح أنّها لم تُظهر أجمل جوانب شخصيتها، لكنّها ظهرت على حقيقتها. لم تكن عادلة، لكنّها أصيلة. عادت إليه صورة بترا وهي تقف في زاوية القاعة. كان ينظر إليها من الأسفل وهو ممدّد على السجّادة: فاتنة، ومدرّبة، في حين اتّخذ مالمبيرغ وضعية الحكم، وانحنى فوقه بابتسامة نصر قاسية على شفتيه.

من حولهما، بدا الأشخاص الحاضرون مصعوقين: هولغرسن المغفّل الذي ظلّت يده ممدودة نحوه، بينما وقف برانت عند الباب حاملاً هاتفه. بدت الأصوات نفسها معلّقة في الهواء. خيّم صوت درامي قطعه رنين الهاتف بعنف، وتبعه صوت مالمبيرغ وهو يجيب.

telegram @ktabpdf

بعد ذلك، داعبت وجهه نسمة هواء لحظة مرور بترا بجانبه وهي تخرج. بدت هادئة الأعصاب تماماً، وهو يفضّل هذه الصورة.

تنهّد جمال، وتمنّى أن يكون قد خزّن مقداراً كافياً من القوّة. أدخل الفلاشة في الكمبيوتر، قبل أن يبحث بين الملفّات ليصل إلى ذاك المحتوي على صور بترا. قرّر رفع الصوت، الذي أبقاه مقطوعاً حتّى الآن، وشغّل الفيلم.

لا بدّ أنّ الكاميرا المستخدمة حديثة، لأنّ نوعية الصورة جيّدة. لا يمكن قول الشيء نفسه عن المحتوى، مع أنّ التفاصيل كثيرة على الرغم من الضوء الضعيف في الغرفة. لم يستطع أن يتعرّف على ديكور الغرفة ولا على الرجل. لا يهمّ، ما دام ليس هذا ما يبحث عنه. لكنّ ما رآه أو سمعه لم يكشف له أيّ شيء عن الرجل الواقف خلف الكاميرا. لم يرَ ظلاًّ، ولا ملابس مرميّة هنا وهناك، لا عطسة ولا قحّة. كان ثمّة ضجّة محيطة، لكنّه لم يسمع أيّ صوت بشري.

دام الفيديو دقيقتين و58 ثانية. ثمّ صدر عن الكامير شارة صوتية أعلنت انتهاء الشريط، قبل أن يعمّ الظلام.

في الوقت نفسه، دخل ساندين من دون سابق إنذار إلى المكتب، وفاجأه. على الفور، عمد جمال إلى إظهار صورة أخرى على الشاشة قبل أن ينحني زميله فوق مكتبه.

* * *

مع تكوين ساندين لصورة مختلفة تماماً عن إينار إريكسون، أخذ تعاطفه يزداد تجاه زميله، وأحسّ بدفعة أدرينالين ضاعفت من تصميمه. لم يكن الوحيد الذي أحسّ بذلك. فقد اقتنعت بترا وجمال بدورهما بصحّة فرضية شوبيرغ.

في غياب كبير المفتّشين، أخذ ساندين زمام القيادة بحماسة

زائدة. ففي الصباح، يبدو أنّ شوبيرغ قرّر عدم الدخول من دون إذن تفتيش إلى شقّة ميكاييل ريدن. لكن آخر مرّة تحدّث فيها مع زملائه، قال بوضوح إنّ الأهمّ هو إيجاد الرجل المطلوب بأسرع ما يمكن. هكذا، وعلى الرغم من تعليماته، وبالاتفاق مع المفتّشَين المساعدَين، قرّر ساندين دخول غرفة الطالب ريدن.

بقيت بترا في قسم الشرطة لتواصل بحثها عن شهود محتملين يعرفون مكان الشابّ المطلوب.

أمّا ساندين وجمال، فذهبا إلى غيرديت، إلى المبنى الذي يضمّ مساكن الطلاّب. هناك، اكتشفا أنّ ريدن لم يستأجر غرفة، بل شقّة صغيرة تعادل مساحتها تقريباً خمسة وعشرين متراً مربّعاً، مع حمّام ومطبخ صغير. استفاد ساندين من خلوّ الممرّ، وخلال ثوانٍ، فتح قفل غرفة ريدن.

كان الحمّام صغيراً: حجرة للاستحمام، ومرحاض، ومغسلة، وخزانة تحتوي على مستحضرات استحمام أساسيّة. كان كلّ شيء نظيفاً، والأمر نفسه ينطبق على المطبخ. هناك أيضاً، لم تكن المحتويات زائدة: مقعد وطاولة ونبتة خضراء موضوعة على إطار النافذة. كانت الأشياء الوحيدة الملحوظة هي ملصق معلّق على الحائط يظهر فيه الفريق الوطني لكرة القدم لعام 1994، فضلاً عن صندوق كبير للبوظة موضوع على الطاولة. لكن عوضاً عن محتوياته المعتادة، كان مليئاً بأقراص موضوعة في قوارير، أو علب. وبحسب الملصقات، بدا أنّها فيتامينات ومستحضرات أخرى مفيدة للصحّة.

في ما عدا ذلك، كانت الشقّة مؤلّفة من غرفة واحدة يحتلّها سرير، ومكتب، ومكتبة، وخزانة لأجهزة المشاهدة. رأى عليها شاشة تلفاز مسطّحة، وجهاز دي في دي، وستيريو مجهزّ بمكبّرات صوت

ضخمة. جلس جمال أمام المكتب، وشغّل الكمبيوتر المحمول العائد لريدن. خلال هذا الوقت، راح يتفحّص الأقراص المدمجة، وأقراص الدي في دي، والكتب الموضوعة على الأرفف، من دون أن يجد شيئاً مثيراً للاهتمام. إلاّ إن كانت موسيقى الراب والأفلام أو ألعاب الفيديو تؤدّي تلقائياً إلى العنف، أو أنّ هذه هي نتيجة كتب الحقوق الموجودة أمامه أيضاً. أسفل السرير، أُسند غيتار على الحائط، بالإضافة إلى ملصق لأحد الموسيقيين الذي يبدو أنّه رافق ريدن من غرفته عندما كان طفلاً يقطن في أربوغا.

تحقّق جمال من بعض الملفّات المحفوظة في الكمبيوتر. كانت تقتصر على نصوص مرتبطة بدارسته. تفحّص أيضاً كلّ ما هو مرتبط بالبريد الإلكتروني، فضلاً عن محتوى سلّة المهملات، من دون أن يجد شيئاً معيّناً. وبحسب تاريخ تصفّح الإنترنت، يبدو أنّ ريدن يهتمّ قبل أيّ شيء بالأخبار المسائية، فضلاً عن المجلاّت الرياضية التي تهتمّ بالفنون الحربية والرياضات القتالية. الأمر نفسه ينطبق على استخدامه لمتصفّح غوغل. إذ لا يبدو أنّه يهتمّ بشكل خاصّ بالتصوير عموماً، لكنّه احتفظ بمئات الصور على جهازه، وحرص جمال على تصفّحها واحدة تلو الأخرى. عندما اكتشف ساندين هاتفه الموضوع في الشاحن بجانب السرير، اقترب من الجهاز، وأوشك أن يتعثّر بالأوزان. قد يشير وجود الهاتف المحمول إلى أنّ ريدن في الجوار، وقد يعود في أيّ لحظة، الأمر الذي سيجلب لهما المشاكل. ثمّة احتمال آخر أكثر بساطة أن يكون قد لاحظ أنّ بطّارية هاتفه نفدت في لحظة خروجه. فقرّر ساندين أن يميل إلى هذه الفرضية الثانية. عندما أمسك الجهاز، أدرك أنّه شغّال. فراجع قائمة الاتّصالات الصادرة والواردة، وتفحّص الأرقام بعناية. فعل الشيء نفسه بشأن الرسائل.

ثـمّ تفحّـص بعـد ذلك قائمة جهاز الاتّصال، التي لـم تكن طويلة، من دون أن يسـتنتج شـيئاً. لـم يكن ريدن يسـتخدم الروزنامة، ولا يحتفظ بأيّ ملاحظات على جهازه. غير أنّه يستخدمه أحياناً لالتقاط الصور، وثمّة عشرة منها تقريباً في الذاكرة.

ألقى ساندين نظرة نحو جمال الجالس أمام الكمبيوتر، ولاحظ أنّه يتفحّص صوراً.

سأله ساندين: «هل وجدت شيئاً؟»

«لا أظنّ ذلك، فهو لا يلتقط كثيراً من الصور. أهمّها تلك التي التقطهـا فـي إبيـزا الصيف الماضي، هذا فضـلاً عن صور الميلاد مع أمّه، وصور حفل أقامها مع زملائه الرياضيين».

سأله ساندين: «البطّة القبيحة، هل تعرف ما هي؟»

«هـذا عنـوان إحـدى قصـص أندرسـن. لكـن أمـا زلـت تفتّـش المكتبة؟»

فكّر سـاندين بصوت عالٍ: «قد يكون اسـم دار حضانة أو شـيء من هذا القبيل».

«أو ربّما مقهى. الاسم يذكّرني بشيء».

«هل سمعته من قبل؟»

«أظنّ أنّني سمعته في مكان ما منذ عدّة أيّام».

«أين؟»

«لا أذكر، ربما سمعته من فم أحد الزملاء. لكن لماذا تسأل؟»

«وجدت في هاتفه صورة لوحة كُتبت عليها هذه الكلمات».

«هلاّ أريتني إيّاها؟»

أعطاه ساندين الهاتف.

قال جمال: «إنّها معلّقة على بوّابة. هذا يعني أنّه قد يكون اسم

مقهى في الهواء الطلق».

راح يمرّر صوراً أخرى.

«أبواب، نوافذ. قد تكون هذه الصور جزءاً من عمليّة بحث عن أماكن معيّنة في فترة التخطيط للاختطاف. لا بدّ أنّها ستوصلنا إلى شيء ما».

فجأة، شعر كلّ منهما بلفحة ساخنة في الجوّ. ربّما لم يتوصّلا سوى إلى دليل بسيط، إلاّ أنّه قد يضعهما على أوّل الطريق.

سأله ساندين: «هل انتهيت من الكمبيوتر؟»

«تقريباً».

«دعنا نذهب، واحرص على إعادة كلّ شيء إلى ما كان عليه. يجب أن نتّصل ببترا».

أغلق جمال الكمبيوتر. أمّا ساندين، فأعاد وضع الهاتف على الأرض، وقام بجولة في الشقّة للتحقّق من إطفاء كلّ المصابيح، ثمّ أصغى إلى الأصوات الآتية من الممرّ. كان كل شيء هادئاً عندما فتحا الباب وتسلّلا إلى الخارج.

ما إن أصبحا في الشارع، حتّى اتّصل جمال ببترا وطلب منها إجراء بحث على الإنترنت حول «البطّة القبيحة». لكنّ المهمّة تعقّدت كثيراً عندما أخبرتهما أنّها حصلت على أربعين ألف نتيجة. لتضييق البحث، أخبراها أنّهما يميلان إلى الاعتقاد أنّها دار حضانة أو مقهى. أخيراً، أرسل لها رسالة تتضمّن أرقام الهواتف التي عثر عليها نتيجة للبحث. كان غياب إينار إريكسون ملحوظاً على أكثر من مستوى.

قال ساندين: «فقط عندما يغيب المرء، ندرك مدى أهمّيته ونفتقد إليه».

* * *

بعد العودة من الرحلة، وضع المسؤولون عن مركز الترفيه الأطباق الصغيرة في الأطباق الكبيرة مع شراب وكثير من الفوشار. عصر يوم الجمعة هذا، سيُسمح للأطفال أيضاً بمشاهدة فيلم. بما أنّ الأرائك والمقاعد الأخرى امتلأت أساساً، انبطح يوهان وماكس إلى جانب بعضهما على الأرض، وأسندا مرفقيهما على الوسائد، بانتظار أن يبدأ الفيلم. وتعويضاً عن نقص المقاعد، حصلا على طبق فوشار خاصّ بهما. مدّ يوهان يده ليتناول قبضة منه في لحظة ظهور إيفان عند الباب. اعتقد يوهان أنّ صديقه عاد إلى منزله، لكن ها هو يشير إليه ليتبعه.

قاده إيفان إلى المدخل، وهمس له بحماسة أنّه استعار شيئاً من قاعة الأعمال اليدوية. لم يفهم يوهان على الفور، وازداد حيرة عندما أخرج إيفان من حقيبته الرياضية قطعة قماش مربوطة. في تلك اللحظة فقط، رأى الكمّاشة الكبيرة الملفوفة بداخلها. عندئذٍ، فهم ما يجري.

قال له إيفان هامساً: «هذه قطّاعة».

كان لدى يوهان فكرةٍ عمّا ينوي إيفان فعله بها، وهو أمر يعجبه إلى حدّ ما، لكنّه لم يُفصح له عن ذلك. فالرغبة في إنقاذ الحيوان هي شيء، لكن أن تصل الأمور إلى حدّ خلع البوّابة...؟ كان واثقاً أنّ هذا العمل يُعتبر جنحة. والأهمّ من كلّ هذا أنّ البوّابة المعنية تنتمي إلى عازف الغيتار المخيف ذاك. بالإضافة إلى ذلك، كان يشكّ أنّ إيفان هو أكثر اهتماماً بخلع الباب منه بإنقاذ الحيوان.

قال يوهان في محاولة ضعيفة لجعل إيفان يعدل عن تنفيذ خطّته: «على كلّ حال، أنا ذهبت إلى الشرطة».

«حقّاً، وهل تمّ إنقاذ الحيوان؟»

رفع يوهان كتفيه، فقال إيفان بقناعة: «اعترف أنّهم لم يكترثوا بك».

telegram @ktabpdf

«هذا صحيح إلى حدّ ما... لكن... لنقل لم يكترثوا تماماً».

لم يشأ أن يفصح عمّا يجول في خاطره. لم يخبره أنّه لم يتقدّم بشكوى فعلية لأنّه لم يجرؤ على كشف هويّته. فقد خشي ممّا قد يقوله أمّه وأبوه عندما يعرفان بما قام به سرّاً.

«إذاً، سنقوم بذلك بمفردنا. هيّا، يوهان. ما المشكلة؟ هل تريد أن تطلب الإذن من أمّك أوّلاً؟»

شعر أنّ إيفان يقرأ أفكاره.

قال وهو يُجبر نفسه على الابتسام: «أوتظنّ ذلك؟»

ها قد وجد نفسه في الوضع الذي أراد تجنّبه، محاصراً بين مخالب إيفان الذي لا يعجبه في الواقع. عاد إلى القاعة وأخبر المسؤولين أنّه سيعود إلى منزله. فسمحوا له لأنّه من الطلاّب الذين يملكون إذناً بالعودة إلى المنزل بمفردهم. تبّاً!

* * *

خرجا إلى الشارع الذي يسوده جوّ قاتم وكئيب مع بدء الثلوج بالتساقط. ربّما كانت ستختلف الأمور وتكون أسهل في يوم مشمس. فقد شعر يوهان بانقباض في صدره، لكنّه لم يجرؤ على تغيير رأيه. فهو لا يريد أن يراه إيفان جباناً. على الرغم من القطّاعة الملفوفة بالقماش التي خبّأها هذا الأخير في سترته، إلاّ أنّه كان يتنقّل بخطىً خفيفة وواثقة، معتبراً نفسه على الأرجح لصّ مصرف أو شيئاً من هذا القبيل.

سأله يوهان: «وماذا سنفعل بالحيوان؟ لا يمكننا تحريره ببساطة وتركه يموت برداً أو تصدمه سيّارة».

يبدو أنّ إيفان فكّر بالمشكلة أساساً، فأجابه أنّهما سيتصلان بالشرطة من دون أن يكشفا عن هويّتهما، ويُبلغانهم أنّهما رأيا حيواناً

يجري في الشارع كالمجنون وأنه مصدر خطر.

«وماذا عن الرجل؟ ماذا لو قتلنا...»

ارتسمت على وجه إيفان ابتسامة جعلته يبدو كأنّه خرج للتوّ من فيلم حركة أميركي، قبل أن يربّت على سترته بيده كأنّه يشير إلى وجود سلاح هناك.

أكّد له بثقة تامّة: «لن يحدث ذلك».

هكذا، راحا يتخبّطان في الثلج الموحل في طريقهما إلى تانتولوندن. تصاعد توتّر يوهان كلّما اقتربا. فهو ليس واثقاً جدّاً أنّه يرغب في اقتحام منزل شخص ما بواسطة قطّاعة، حتّى لو كان هذا الشخص يعذّب الحيوانات.

* * *

كانت رحلة العودة أطول من المتوقّع بسبب تساقط الثلوج.، لكنّ شوبيرغ شعر بارتياح كبير بعد حديثه مع ساندين. فقد تمكّن أخيراً من توحيد آراء رجاله، وأصبح الجميع يعملون في اتجاه واحد. والأهمّ من ذلك أنّهم لا يسيرون على غير هدى، غير قادرين على معرفة الجاني. لم يعد القبض على القاتل سوى مسألة وقت. لكن بالنسبة إلى إينار، كان القلق يتآكله. عليهم الافتراض أنّه ما زال على قيد الحياة، لكن لا بدّ من العثور عليه سريعاً. تملّكه الإحباط عندما علق في ازدحام مروري في كونغنز كورفا، مع ذلك، ظلّ على يقين أنّ جهود ساندين، وجمال، وبترا ستؤتي ثمارها في نهاية المطاف. فاتّصل بكبير المفوّضين ليطلب منه وضع قوّاته على أهبة الاستعداد للتدخّل. وكلّ ما يتمنّاه الآن هو أن تكون تلك القوّات متاحة. تمطّى في مقعده، وتاق للخروج من السيّارة وتحريك مفاصله.

انتقلت أفكاره عن غير قصد من إينار والجريمة إلى موت أخته

telegram @ktabpdf

المأساوي. في الواقع، لا بدّ له من مواجهة أمّه بآخر اكتشافاته في أسرع وقت ممكن. لكن لا، لن تكون مواجهة، بل سيكتفي بإخبارها أنّه التقى بجدّته، وأنّه أصبح يعرف القصّة كاملة، ويقدّر القوّة التي تعاملت بها مع تلك المأساة خلال كلّ تلك السنوات. لكنّه سيجبرها هذه المرّة على إخباره بكلّ شيء، من البداية إلى النهاية. قال في نفسه، لديّ الحقّ في ذلك. تماماً مثلما اعتبرت إنغيغيرد ريدن أنّه من حقّ ابنها أن يعرف قصّة أخويه. فللإنسان الحقّ دائماً بمعرفة حقيقة ماضيه.

كيف ستكون نهاية هذا الأسبوع؟ إن انتهى البحث عن ميكاييل ريدن وإينار بسرعة، سيجد الوقت الكافي للذهاب لرؤية والدته. صحيح أنّ أوسا لن تكون سعيدة بذلك، لكنّها ستتفهّم. فهي أيضاً تشعر بالفضول بلا شكّ لمعرفة الحقيقة عن أسرة شوبيرغ. كان يجدر به الاتّصال بها، فلا شكّ أنّها تتوق لمعرفة ما جرى في زيارته الصباحية لجدّته. عليه الاتّصال بها الآن، لكنّ الوقت ليس مناسباً. فيوم الجمعة تُعطي دروساً حتّى وقت متأخّر من بعد الظهيرة، ثمّ تُسرع لإحضار الأولاد من مركز الترفيه ودار الحضانة.

أخذ يتثاءب. فعلى الرغم من الليلة التي أمضاها في الفندق من دون أن يوقظه الأولاد، ما زال يشعر بتعب هائل. فالإزعاج لا يتوقّف. ذلك أنّه بعد مكالمة جيني، لم يتمكّن من النوم مجدّداً. يا لتلك الفتاة الساذجة. اتّصلت به في منتصف الليل، بعدما أمضت ساعات في سريرها بلا نوم. هكذا هي جيني، ومن الجيد ألاّ يكون الناس متشابهين. أصبح لديهم الآن مدافِعة عن حقوق الحيوان! فلا بدّ من وجود من يدافع عن حقوق الحيوان في المجتمع، عن حقوق الحيوان في الحصول على البطاطس. كان شوبيرغ ما زال يفكّر بتلك

المسألة عندما رنّ الهاتف في جيبه.

إنّه ساندين، يتّصل به من المترو. كان هو وجمال في طريق العودة إلى مركز الشرطة، وأراد إخباره بما أسفر عنه تفتيش شقّة أوريغروندسغاتان.

«أتمنّى ألاّ تكونا قد تركتما آثاراً خلفكما. ألم يركما أحد؟»

«لا تقلق. هل تعرف شيئاً يدعى البطّة القبيحة؟»

«إنّها قصّة...»

«لأندرسن، أعرف ذلك. لكن يوجد في هاتف ريدن صورة ليافطة تحمل تلك الكلمات. واليافطة معلّقة على بوّابة، تبدو كأنّها بوّابة مقهى أو دار حضانة. هل لديك فكرة أفضل عن ذلك؟»

«أيّ نوع من البوّابات؟»

«كلاسيكية، بيضاء، وإن يكن الطلاء بالٍ بعض الشيء. بوّابة جميلة قديمة، بكلّ بساطة».

«في هذه الحالة، قد تكون بوّابة منزل قديم».

«لحظة من فضلك، يبدو أنّ جمال خطرت له فكرة».

انتظر شوبيرغ، بينما تحرّك المرور قليلاً. هل سينتهي الازدحام أخيراً؟ عاد إليه صوت ساندين: «يقول إنّ لوتن ذكرت البطّة القبيحة، أو ربّما جيني. ها هو يتّصل بالاستقبال».

«أنا معك على الخطّ. آه، جيني... لقد اتّصلت بي هذه الليلة».

«في منتصف الليل؟»

أجابه متنهّداً: «عند الساعة الثالثة والنصف صباحاً. قالت إنّها لا تستطيع النوم، وكلّمتني عن حيوان. يبدو أنّك لم تتمكّن من طمأنتها».

«آه، فهمت. حدّثتني هي ولوتن لكنّني كنت منشغلاً. اسمع، جمال يقول شيئاً...»

telegram @ktabpdf

تذكّر شوبيرغ حديثه مع جيني. فقد أخبرته عن حيوان، لكنّ هذه الكلمة قد تحمل معانٍ كثيرة. فهي تُستخدم أيضاً لإهانة شخص قذر. كما تُستخدم في اللغة العاميّة السويدية لوصف شرطي. ماذا لو كانت هذه القصّة لا تتعلّق بحيوان بل بشرطي؟ هل كان الشابّ الصغير الذي تحدّث مع جيني شاهداً على سوء معاملة شرطي يا ترى؟ تصلّب شوبيرغ في مقعده في اللحظة التي تناهى إليه مجدّداً صوت ساندين.

«تقول لوتن إنّ الاسم يعود لمنزل صيفي أو شيء من هذا القبيل. وبحسب الصبي، فإنّ البطّة القبيحة هو اسم المكان الذي سُجن فيه الحيوان. لكن لم يتسنَّ لهما سؤال الصبيّ عن المكان بدقّة، فقد فرّ هارباً ما إن سألتاه عن هويته».

قال شوبيرغ، وقد أصبح واثقاً من شكوكه: «الأمر لا يتعلّق بحيوان، بل بشرطيّ، ينس. إنّه إينار».

«حسناً، أنا معك».

كان ساندين جاهزاً للانطلاق، لكن إلى أين؟ تابع بسرعة: «بالنسبة إلى البطّة القبيحة، لم تجد بترا شيئاً على الإنترنت للوصول إلى العنوان. لا بدّ أنّه الاسم الذي أطلق على المنزل، وقد يكون منزلاً ريفياً».

«كم هو عمر الولد؟»

«بين 8 و10 سنوات، بحسب لوتن وجيني».

«من الواضح إذاً أنّه ليس في سنّ تسمح له بالذهاب وحده إلى الريف. هذا يعني أنّ البيت ليس بعيداً. قد يكون في المدينة، يسهل الوصول إليه سيراً على الأقدام أو بوسائل النقل العام. أعتقد أنّه قد يكون منزلاً خاصّاً أو كوخاً يقع في إحدى حدائق العمّال».

«والآن، ماذا نفعل؟»

«تابعوا الاتّصال بقائمة جهات الاتّصال لدى ريدن». ثمّ خطرت له فكرة فأضاف: «لكن أقترح أوّلاً أن تتّصلوا بباربرو».

«باربرو؟»

«باربرو دالستروم هي حقّاً خبيرة في كلّ ما يتعلّق بحدائق العمّال في ستوكهولم».

التقيا منذ ستّة أشهر عندما عملا على قضية عُثر فيها على طفل صغير وامرأة ميتة في حديقة فيتا بيرغن. تبلغ باربرو دالستروم 72 عاماً، وفي هذه القضية، أثبتت جدارتها، وكانت بطلة.

قال ساندين: «بالطبع! سأتّصل بها حالاً».

منذ دقائق، كان شوبيرغ يفكّر في التوقّف قليلاً لتناول سندويش، لكنّ الوضع تغيّر الآن. كان قلبه ينبض أكثر عندما قرّر أن يضاعف من سرعته متوجّهاً إلى ستوكهولم. وصل صفّارة الإنذار بالمقبس وخفض الزجاج ليضع المصباح على سطح السيّارة.

* * *

انحنيا خلف السور، وتقدّما إلى أن وصلا إلى يافطة «البطّة القبيحة». كانت البوّابة مقفلة، مع أنّها تبدو قديمة وعلى وشك أن تتهالك في أيّ لحظة.

همس إيفان: «يا له من أحمق، لماذا يضع قفلاً؟ حتّى القزم يمكنه أن يقفز فوق البوّابة، أو يُسقطها بركلها من قدمه»، وسرعان ما قرن القول بالفعل.

لكنّ يوهان أمسكه من ذراعه ليمنعه.

«ماذا تفعل؟ أتريد أن يُكشف أمرنا قبل أن نبدأ؟»

«هل تظنّ أنّه ثمّة كثير من الناس في الجوار؟»

telegram @ktabpdf

أجابه يوهان وهو يشير إلى الكوخ: «وماذا تعرف أنت؟ حتّى إنّه قد يكون في الداخل».

«ألا ترى القفل على الباب؟ بما أنّه مغلق، فهذا يعني أنّه ليس موجوداً. كما أنّ كلّ المصابيح مطفأة في المنزل الصغير. هيّا، تعال!»

اتّكأ على أحد الأعمدة، وقفز من فوق البوّابة بسهولة، ثمّ سقط على الثلوج. بقي يوهان صامتاً للحظة، يصغي إلى ما يجري، قبل أن يقفز عن الحاجز هو الآخر، بعدما اطمأنّ إلى عدم سماع شيء. تسلّل إيفان حتّى وصل إلى باب الكوخ، ثمّ أخرج الحزمة التي خبّأها تحت سترته، وتركها تسقط على الأرض محدثة جلبة مكتومة. أمّا يوهان، فعاد يصغي ويعير انتباهاً لما يجري حوله بعصبية. غير أنّه لم يلحظ أيّ دليل على الحياة، باستثناء ضوضاء المرور المنخفض في البعيد.

أخرج إيفان القطّاعة، بينما ألصق يوهان أذنه على الباب، من دون أن يسمع أيّ ضجّة في الداخل.

انكبّ إيفان على فتح القفل. واجه صعوبة في ذلك، حتّى لو بدت الأداة التي يستخدمها مناسبة لهذا الغرض. ذلك أنّ استخدامها كان يحتاج إلى القوّة. كان يوهان على وشك مساعدته، عندما عادت إليه فجأة صورة الأرض المكسوّة بالثلوج في هذا الجزء من الباحة. بقيت يده معلّقة في الهواء، وألقى نظرة إلى الخلف. كيف كانا بهذا الغباء؟ تبع بنظراته آثار الأقدام فوق الثلوج، وبدت واضحة أنّها تمتدّ من الكوخ إلى البيت الصغير، لكن فقط بهذا الاتجاه. هذا يعني أنّ أحدهم أتى إلى الكوخ قبل أن تتساقط الثلوج، أي منذ ساعتين تقريباً، قبل أن يعود إلى المنزل بعد أن تراكمت الثلوج على الأرض. ولا شكّ أنّه حاليّاً داخل المبنى. ألقى نظرة في هذا الاتجاه، وأدرك أنّ باب المدخل يبدو في حالة سيّئة. راح قلبه ينبض بسرعة.

«علينا أن نتوقّف، إيفان! إنّه في المنزل. انظر إلى آثار الأقدام».

جمد إيفان في مكانه وراقب المبنى الرئيس.

«تباً... هل تعتقد أنّه رآنا؟»

«ربّما لم يفعل بعد، لكن علينا الرحيل حالاً، أسرِع!»

استقام إيفان بسرعة، وبدأ يركض نحو البوّابة. في الوقت نفسه، فُتح باب المنزل، وأخذ الرجل الذي يشاركهما دورس الغيتار ينزل الدرج، قبل أن يندفع مباشرة نحوه. أمسك يوهان بأعلى البوّابة بيديه ليرفع جسده إلى الأعلى، لكن لم يتسنَّ له سوى إنزال القدم الأولى قبل أن يمسك الرجل بذراعه ويُنزله عن البوّابة، ثمّ يجرّه خلفه نحو الكوخ. أمّا إيفان، فوقف مذهولاً، حاملاً الكمّاشة بيده. راح ينظر بعينين مذعورتين إلى المشهد الذي يجري خلفه. أخيراً، وضع الكمّاشة على الأرض ورفع يديه بمستوى أذنيه فاتحاً أصابعه.

قال بصوت مثير للشفقة: «حسناً».

أحسّ يوهان بالرعب عندما رأى ذراع الرجل وشماً بدا كأنّه يخرج من تحت القميص. وراح الرجل يجرّ الولدين إلى داخل المنزل بوجه خالٍ من التعابير.

سألهما بعدما أجبرهما على الجلوس في زاوية مليئة بالغبار في الغرفة الوحيدة من البناء: «ماذا تفضّلان؟ ممّن أتخلّص أوّلاً، منك أم منه؟»

أجابه إيفان بنبرة أرادها أن تكون مقنعة: «لن نخبر أحداً بأيّ شيء. فنحن لا دخل لنا بما يجري لهذا الحيوان».

«نعم هذا صحيح. هل أتيتما فقط لاستخدام خرطوم الحديقة؟»

كرّر يوهان وهو على وشك البكاء: «نعدك ألاّ نخبر أحداً. أرجوك، دعنا نذهب من هنا، ولن ترانا مجدّداً».

«يصعب عليّ تصديق ذلك. كما أنّ المكان كافٍ لكم أنتم الثلاثة».

ارتسمت ابتسامة غريبة على وجهه، لكنّها لم تكن مرحة على الإطلاق، ثمّ بدأ يضرب.

* * *

في غياب كوني، وينس، وجمال، لا سيّما إينار، وجدت بترا نفسها أمام مهمّة شاقّة: الاتّصال بكافة الأرقام الموجودة على هاتف ميكاييل ريدن وهي بمزاج سيّئ جدّاً. كانت مضطرّة إلى شرح ما تريده مطوّلاً، وإخفاء أسباب اتّصالها بأكاذيب معقولة. وكانت تقوم بين وقت وآخر بالاتّصال بباربرو دالستروم، لكن من دون جدوى. أخيراً، لم يستطع أحد إعطاءها فكرة عن مكان ريدن أو مشاريعه.

ومن المفارقات أنّ شاشة الكمبيوتر ما زالت تحمل آثار عمليّات البحث الأخيرة غير المثمرة. فقد بذلت محاولات عديدة لتربط «البطّة القبيحة» بمطاعم، أو مقاهٍ، أو دور حضانة، أو مراكز لعب، أو حدائق عمّالية، أو مكتبات، أو مسارح، فضلاً عن العديد من الأماكن الأخرى. أصغت إلى الرنات الخمس المتلاحقة في محاولتها للاتّصال بباربرو دالستروم، وهي تتساءل ما إذا كان يجدر بها الاتّصال بمصنّعي اليافطات في المنطقة. أظهر محرّك البحث أنّه يبلغ عدد هؤلاء 228 شخصاً، الأمر الذي يجعل العمليّة مستحيلة على المدى القصير. علاوة على ذلك، قال جمال إنّ البوّابة قديمة، واليافطة كذلك على الأرجح.

لكن ماذا لو كانت كلّ المنازل المجاورة للمنزل المسمّى «البطّة القبيحة» تحمل أسماء مستوحاة من إحدى الحكايات، من المحتمل في هذه الحالة أن يكون اسم الشارع مميّزاً أيضاً. بعد عدّة محاولات،

وجدت بترا ضالّتها، فاتّصلت برقم شوبيرغ.

هتفت قائلة: «ساغوستيغن*. هذا هو اسم شارع في تانتولوندن يحتوي على حدائق عمّالية. قد يكون غير ذي صلة، لكنّ هذا أفضل ما توصّلت إليه».

«أحسنت بترا، سنحاول. لكن يبدو لي أنّنا في عجلة من أمرنا. سأتولّى إرسال مجموعة من قوّات التدخّل وسيّارات الإسعاف إلى المكان. فمن المحتمل أن يكون ميكاييل ريدن هناك ومسلّحاً. وإن كان إينار معه، لا بدّ أن يكون في حالة سيّئة».

«فهمت. أين أنت؟»

«أنا في سيغيلتورب، سأسرع في التوجّه إلى هناك».

«ومتى تصل إلى تانتولوندن؟»

«مع الثلوج، يمكنني الوصول خلال عشر أو اثنتي عشرة دقيقة. هذا إن لم يصادفني ازدحام غير متوقّع. انتظروا وصولي».

ألقى شوبيرغ نظرة على ساعته.

«لا تطلقوا صفّارات الإنذار أو تحدثوا أيّ جلبة. فأنا لا أريد لريدن، إن كان موجوداً، أن يشتبه بشيء ويفرّ هارباً. أبقوني على اطّلاع بما يجري».

«حسناً».

«أتمنّى فقط أن نكون على الطريق الصحيح، وفي هذه الحالة أن نصل قبل فوات الأوان».

* * *

شعر إينار إريكسون أنّه أكمل المشروع العزيز على قلبه قبل أن

(*) يعني ها الاسم حرفياً «طريق الحكايا».

telegram @ktabpdf

يمـوت. فهـو يحـسّ بتحرّر رائع لأنّه تمكّن من وصف حياته والتعبير عن مشـاعره والأسـئلة التي تحتشـد في رأسـه. فابن إنغيغيرد الرهيب أسداه خدمة كبيرة عندما عامله بهذه الطريقة المهينة من دون أن يدرك ذلك.

كان ممدّداً على الأرض الباردة، يشدّ تلقائياً الحبل الذي يطوّق معصميه إلى الخلف. أشدّ، وأشدّ، وأشدّ، وأتوقّف، ثمّ أشدّ، وأشدّ، وأشدّ، وأتوقّف. لكنّ القيد يقاوم بعناد. كان يحاول من وقت إلى آخر تمرير يده في العقدة بينما يعمل على توسيعها باليد الأخرى، لكن إمّا أن تكون يده كبيرة جدّاً أو العقدة صغيرة جدّاً. سال خط من الدماء مـن أنفـه إلـى فمـه، لكنّه لـم يتكرث. فقد فرح لأنّـه تمكّن أخيراً من منح نفسه الغفران الذي سعى إليّ منذ ثلاثين عاماً. ثلاثون عاماً من الظلام، اختلط فيها الحزن بالشفقة على النفس والمرارة. لكنّ حديثه عن خطأه الجسيم سـمح له بالتحرّر منه. بضع كلمات خرجت من فمه، قدّمت له العزاء!

عندمـا قـرّر فجـأة أن يرمـي ورقة الصراحة، فُتـح الطريق أمامه. بـكلّ صـدق، أعطى نفسـه حقّ قـول الحقيقة مـن دون تجميل، ومن دون اللجوء إلى الظروف المخفّفة أو نقد الذات غير المنضبط. ولا يهتـمّ مـا إذا كان الجـزّار المتعطّش للدماء الذي جرّه إلى هذا المكان قد اسـتمتع بسـماع قصّة حياته. فإينار لم يفعل ذلك سـوى من أجل نفسـه، وليس من أجل ذاك الذي نصّب نفسـه قاضياً وجلاّداً، أو أيّ شخص آخر. لقد سوّى حساباته مع ضميره.

هكذا نظر بعينين جديدتين إلى الفتحة الموجودة بجانب الباب، وبينما انشغلت يداه خلف ظهره، لاحظ أنّ الثلج توقّف عن التساقط. كما تسلّل شعاع من ضوء الشمس من خلال النافذة، واخترق الهواء

البـارد الـذي يخيّـم على الكـوخ، وجعل حبيبات الغبـار تتراقص في شعاع النور الرقيق.

تملّكـه أمـل بالـكاد كان يعيـه، واسـتمدّ طاقـة مـن أعماق تلك القوقعة المؤلمة التي تكوّن جسـده، فراح يشـدّ الحبل في كلّ اتجاه مـن دون أن يشـعر بالتعـب. وبما أنّه بـات يتحكّم بمصيره، ولأنّ الله أشفق على حاله، نجح في تحرير إحدى يديه.

علت شفتيه ابتسامة، وبقي بضع دقائق في مكانه يحاول التقاط أنفاسه بعد هذا المجهود. بعد ذلك، استند على يده المحرّرة ليجلس. وقـام بحركـة خرقاء بحلّ العقـدة وتحرير يده الأخرى. عندئذٍ، اندفع بنهم وشـرب وعاء الماء دفعة واحدة. بعد ذلك، أخذ يحرّك أصابع المتصلّبة ليستعيد ليونتها الطبيعية. أخيراً، فكّ الحبل الذي يقيّد قدميه ويبقيه أسيراً للجدار.

أيـن إذاً هـو خاطفه المرعب؟ هـل انتهى عمله معه لهذا اليوم؟ أيمكـن أن يكـون قـد اكتفـى بلكمة على وجهه بعدمـا روى له قصّته طوعـاً؟ هـذا أمـر بعيد الاحتمال، نظـراً إلى الوحش الذي يختبئ فيه. فهـو لا يكتفـي بضربـة واحـدة. بـل يحتـاج إلى أكثر مـن ذلك بكثير ليطفئ غضبه تجاهه. لا بدّ أنّه في الجوار يترصّد له، ويشمت بالأمل الكاذب الذي تركه لديه، عندما جعل ضحيته تعتقد أنّها حصلت على جرعتهـا اليوميـة مـن الضربـات. لكن لماذا خرج بهذه السـرعة؟ هل فاجأه شيء في حديثه لم يكن يعرفه؟

خطـر لـه فجـأة أنّ ابـن إنغيغيرد لـم يكن يعـرف ربّما من يكون كريستر لارسن. فمن دون أيّ تردّد، وجّه كلّ انتقامه ضدّه. ربّما اليوم فقـط، عندمـا اعتـرف أمـام الكاميرا، أدرك قاتل تـوم ولين – الطفلين اللذيـن قُتـلا بـدم بـارد – أنّهما يملكان هما وشـقيقيه الغريقَين الأب

نفســه. لقـد عـرف للتـوّ أنّ تـوم ولين لارســن هما شـقيقي أندرياس وتوبياس اللذين أراد أن ينتقم لهما.

تـراءت لإينـار إريكسـون صورة الطفلين البريئيـن الممدّدين في السـرير بجانـب أمّهمـا الجميلـة. كانوا سيشـكّلون لوحـة رائعة لو أنّ الظروف المأساوية لـم تجعل المشهد قبيحاً بقدر ما هو عبثيّ. للمرّة الأولى منذ صغره، سـمح لنفسـه بالبكاء. فانهمرت دموعه في سـيول شقّت طبقة الغبار التي تغطّي وجهه.

* * *

قـد يعـود القاتـل فـي أيّ لحظـة ليواصل انتقامـه ويتخلّص من الشـخص الـذي يعتبـره سـبب تعاسـته فـي هـذا العالم. اعتـدل إينار إريكسـون بصعوبـة علـى الأرض الصلبـة والبـاردة. ليـس لديه وقت ليضيعه.

* * *

بعد دقيقتين من وصول بترا والباقين، وصل شوبيرغ إلى مكان اللقـاء، فـي حـيّ من أحياء المزارع العمّالية. بحسـب الأوامر، انتظره زمـلاؤه بجانب السـيّارات. وكانت إحـدى المجموعات التابعة لفوج التدخّل قد ذهبت أساساً لاستكشاف المكان، قبل أن ينضمّ إليهم أحد عناصرها، وهي فتاة تدعى هيغلوند، لوضعهم في الصورة.

أحسّ شـوبيرغ والآخرون بالارتياح وهي تؤكّد لهم قائلة: «يقع هدفنـا هنـاك في الأعلـى. البوّابة مغلقة بقفل نقوم حاليّاً بفتحه. أمامه مباشرة لدينا منزل صغير مع سلّم من ثماني درجات يصل إلى باب المدخل، وقد تمّ خلع قفله أساساً. وإلى اليمين، بعد البوّابة مباشرة، ثمّـة كـوخ، مقفـل أيضاً، لكن مـن الممكن فتحه. يوجـد في الداخل شخصين على الأقلّ، أمّا بالنسبة إلى المنزل، فلسنا واثقين من وجود

أحد، لكنّ الاحتمال وارد أيضاً. فثمّة آثار أقدام عديدة على الثلج».

هزّ شوبيرغ رأسه موافقاً، ثمّ قسم عناصر الشرطة إلى فريقين.

«سنشنّ الهجوم على المبنيَين في وقت واحد. أنتم تذهبون إلى المنزل ونحن إلى الكوخ. لا تطلقوا الرصاص من دون داعٍ. فأولويتنا هي تحرير إينار حياً، وحصوله على الرعاية الطبّية على وجه السرعة. لا بدّ أنّه في حالة من الضعف الشديد. أطفئوا الهواتف المحمولة وكلّ الأجهزة المشابهة. هيّا، انطلقوا».

توقّف الثلج فجأة عن التساقط، وتسلّلت أشعة الشمس على نحو غير متوقّع من فتحة في طبقة السحب ظهرت خلفها سماء زرقاء. قاد شوبيرغ وساندين المجموعة وهم يركضون تقريباً، وهيغلوند بينهما. أشارت إليهما أنّها لم تلحظ أيّ أثر للعجلات على الثلج في الشارع الصغير الذي يذهبون إليه، لكنّها لاحظت وجود آثار أقدام لشخصين. باستثناء ذلك، فإنّ الحدائق العمّالية مقفرة جدّاً في هذا الوقت من العام.

تقدّموا بصمت، والتفت شوبيرغ عدّة مرات إلى الخلف للتأكّد من أنّ الجميع هناك. كان المشهد غريباً: عناصر شرطة من فوج التدخّل مجهّزين بخوذاتهم، يتقدّمون وسط منظر طبيعي رائع من المنازل والأسوار المكسوّة بالثلوج والسياجات المقلّمة. أعطى هذا المشهد لسوبيرغ إحساساً غير واقعي.

تمتم يسأل هيغلوند من دون أن يبوح بالقلق الذي يعتمل بداخله: «هل اقتربنا؟»

«لسنا بعيدين جدّاً. فالمكان يقع قليلاً إلى اليمين. سنصل قريباً إلى السياج الذي يحيط بالكوخ».

بعد وقت قصير، انضمّوا إلى عناصر الشرطة الموجودين في

المكان. فأبطأ شوبيرغ من مشيته. انحنى وراح يتقدّم على طول السياج المحيط بالكوخ ليعثر على فتحة تطلّ على الباحة.

بدا كلّ شيء مهملاً. فالحديقة لم تحظَ بأيّ عناية منذ سنوات. والبوّابة بالية ومتهالكة. بدت بالفعل آثار أقدام عديدة على الثلوج في الباحة الممتدّة أمام المبنيَين. وهذا يؤكّد وجود شخصين على الأقلّ. رأى أيضاً قفلاً ضخماً يحصّن باب الكوخ من الخارج، ما يعني أنّ أحد الشخصين على الأقلّ موجود داخل المنزل الذي تمّ خلع بابه. لن يكون من الصعب جدّاً الدخول إليه. لكن بالنسبة إلى الكوخ، يجب خلع الباب من دون معالجة بالقفل.

تسلّل شوبيرغ وعاد لينضمّ إلى الفريق.

قال لهم: «بحسب آثار الأقدام على الثلوج، ريدن موجود في المنزل. لكن من الواضح أنّه ليس بمفرده. الباب مخلوع ويمكن فتحه بسهولة. ويبدو أنّ المنزل مكوّن من غرفة واحدة. أفترض أنّ الدرجات الخشبية ستصدر صريراً عالياً، لذلك سيتحتمّ عليكم التحرّك بسرعة عند وصولكم. وبالنظر إلى القفل الضخم الذي يسدّ باب الكوخ، يمكننا الافتراض أنّ إينار ما زال في الداخل. وأنا موافق على كسر الباب. احملوا أسلحتكم جميعاً، لكن كما سبق وقلت، لا تستخدموها إلاّ عند الضرورة القصوى. فإن لم يشعر بدخولنا بعد، قد لا نحتاج إلى إطلاق النار. هل من أسئلة؟»

سأله أحد أعضاء الإسعاف: «هل ننتظر هنا أم نتبعكم؟»

أجابه شوبيرغ: «من الأفضل أن تبقوا هنا، واختبئوا في حال حدوث تبادل لإطلاق النار. إن احتجنا إليكم، سنخبركم».

نظر حوله، لكن لا يبدو أنّه ثمّة مزيد من الأسئلة.

«حظّاً موفّقاً للجميع. فلننطلق».

تولّى أحد أعضاء فوج التدخل فتح البوّابة، قبل أن يتوجّه الفريق الأوّل إلى اليمين ويتمركز عند أطراف الكوخ، بحيث وقف أعضاء الشرطة المجهّزين بالخوذ والمدجّجين بالسلاح بالصفّ الأوّل، يتبعهم شوبيرغ وبترا.

* * *

توجّهت المجموعة الثانية بخطوات مكتومة إلى المنزل المهمل. وقف جمال وساندين أيضاً خلف عدد من أعضاء فوج التدخّل والتفتا نحو شوبيرغ بانتظار إشارة منه. ارتفعت يد هذا الأخير في الهواء مثل الفأس. في تلك اللحظة، كُسر الصمت. اندفع الجميع مثل رجل واحد، حاملين أسلحتهم، وقلوبهم تنبض ترقّباً، وصعدوا السلّم الصغير، قبل أن ينقضّوا على الغرفة الوحيدة في المنزل.

جلس ميكاييل ريدن بهدوء على كرسيّ بجانب طاولة ملتصقة بالجدار. حمل بيديه كاميرا فيديو. غير أنّ ساندين لم يلاحظ فوراً ما كان يصوّره. فجأة، أُطلقت صرخة مدوية. فتحرّك جمال أوّلاً. اندفع نحو زاوية الغرفة التي يراقبها ريدن بطرف عينيه، وجلس راكعاً. وجد نفسه أمام الصبيّ الذي التقى به ساندين في مدخل مركز الشرطة والذي راح ينظر إلى العناصر بعينين تائهتين. لم يصدر عنه أيّ صوت، لكنّ الدماء كانت تسيل من أنفه. إلى جانبه، جلس صبيّ آخر، وتقوقع على الأرض. ظنّ ساندين أوّلاً أنّه غائب عن الوعي، قبل أن يدرك أنّه هو من يصرخ.

لم يُظهر ريدن أيّ ردّ فعل وهو ينظر إلى الرجال المسلّحين والمستعدّين لإطلاق النار. غير أنّه خفض الكاميرا وأطفأها. وبينما اندفع ساندين إلى الخارج لمناداة فريق الطوارئ، تولّى جمال الاهتمام بالولدين المذعورَين. عاد ساندين، وبذل قصارى جهده لمخاطبة

المجرم رسمياً، مع أنّه بدا غير مبالٍ على الإطلاق بما يجري.

قال بصوت أعلى من اللازم: «ميكاييل ريدن، أنت موقوف بتهمة ارتكاب عدّة جرائم». في هذا الوقت، تمكّن جمال من إسكات الصرخات الهستيرية لأحد الولدين. «ستعرف في مركز الشرطة ما هي التهم الموجّهة إليك. ضع الكاميرا من يدك ببطء واخفض يديك إلى الطاولة، وابسط كفّيك إلى الأعلى. إن قاومت، لن نتردّد في إطلاق النار».

نفّذ مايكل ريدن الأوامر بلا مبالاة، في حين تقدّم منه أحد عناصر فوج التدخّل بخطوات حازمة لتكبيل يديه بالأصفاد. وقف أحد زملائه خلف الكرسي، ثمّ ساعده الشرطيان على الوقوف ودفعاه إلى الخارج. عندئذٍ، حمل ساندين الكاميرا ووضعها في جيب سترته.

* * *

في تلك الأثناء، اقتحم رجلان من فوج التدخّل باب الخشب الضعيف الذي يسدّ الكوخ عند إشارة شوبيرغ. فتحطّمت ألواحه واقتحم عناصر الشرطة المكان، بينما تدلّى القفل من مصراع الباب الذي ما زال معلّقاً على مفاصله. كان شوبيرغ يتوق إلى الدخول، لكنّ عدّة رجال شرطة ذوي مناكب عريضة وقفوا في المدخل وحجبوا الرؤية.

سمع أحد الرجال وهو يهتف في الداخل: «أوه، تبّاً».

حاول أن يشقّ طريقه للدخول، لكنّ جدار المناكب أعاق طريقه. حتّى إنّ من كانوا في المقدّمة تراجعوا إلى الخلف، الأمر الذي أجبر شوبيرغ على التراجع بضع خطوات هو الآخر. عندئذٍ، انبعثت من الداخل رائحة براز وبول فظيعة، فتمنّى أن يكون احتجاج الشرطي بسبب ذلك.

صاح شوبيرغ غاضباً من دون أن يفهم السبب فعلاً: «دعوني أمرّ».

هُرع عدد من ضبّاط الشرطة إلى الداخل، وتوجّهوا نحو شيء لم يميّزه شوبيرغ بعد. لحقت به بترا ودخلا إلى الكوخ، وما رآه أكّد أسوأ مخاوفه. أضاء أحدهم المصباح المتدلّي من السقف، ملقياً الضوء على وعاء الكلب الفارغ، وبضع قطع من الحبال، وفتات خبز جاف على الأرض. وكان كلّ ذلك على مساحة لا تتجاوز ستّة أمتار مكعّبة، ملوّثة بالكامل بالبول والبراز البشري. على الجدار المقابل، ثُبّت حبل متين على عارضة خشبية، وتدلّى عمودياً فوق مقعد خشبي صغير مقلوب على الأرض. ومن عقدة في طرف الحبل ملتفّة حول العنق، تدلّى رجل قذر، وهزيل، مضرّج بالدماء. كان جسده المكسوّ بالكدمات لا يشبه بشيء إينار إريكسون.

عندما اندفع إليه شوبيرغ، كان ثلاثة من عناصر فوج التدخّل يحاولون فكّ الحبل. وما إن تمّ تمديد الجثّة بحذر على الأرض، حتّى انحنى شوبيرغ بقرب إريكسون ووضع إصبعين على عنقه. كانت بشرته لا تزال دافئة، لكنّ النبض متوقّف. صاح بكلّ ما أوتي من قوّة: «الإسعاف!»

هُرعت بترا إلى الخارج لمناداة الفريق الطبّي.

تلقائياً، بدأ شوبيرغ يمارس التنفّس الاصطناعي. وسرعان ما وصل المسعفون وتولّوا محاولة إنعاشه. نهض شوبيرغ وتراجع بضع خطوات، ثمّ وقفت بترا بجانبه. أحاط كتفيها بذراعه، وشدّها إليه محاولاً أن يستمدّ بعض القوّة. وقفا على هذا النحو بضع دقائق، ينظران إلى الممرّضين وهم يبذلون محاولتهم اليائسة.

أخيراً، سألهم شوبيرغ بصوت مختنق عندما توقّفوا: «منذ متى

telegram @ktabpdf

وهو ميت؟»

أجاب أحد المسعفين: «لم يمضِ وقت طويل. برأيي، منذ دقائق».

قال شوبيرغ: «هذا خطأي. لم يكن يجدر بي أن أطلب منكم انتظاري. كان ينبغي أن تدخلوا من دوني».

«كوني، لولاك لما تمكّنا...»

لم يرغب شوبيرغ في سماع أعذار بترا، فقد كان يشعر بوطأة الذنب. أحسّ بألم فقدان زميل لم يكن مقرّباً منه، لكنّه يتمنّى اليوم لو عرفه بشكل أفضل. من حوله، بدا أنّ كلّ شيء يتباطأ. إن أراد التغلّب على إحساسه بالفشل، عليه التركيز على المجرم.

قاطعها قائلاً: «وماذا عن ذاك النذل! هل أوقفوه؟»

تردّدت كلماته في رأسه، وشعر أنّه على وشك الإغماء.

أجابه أحد عناصر فوج التدخّل وهو ينزع خوذته الواقية: «إنّهم يقتادونه إلى السيّارات».

سرعان ما استعاد شوبيرغ رباطة جأشه. كما لاحظ أنّ بقيّة أعضاء القوّة حذوا حذوه. فقد وقفوا يراقبون المسعفين بصمت وهم يضعون جثّة إينار إريكسون على نقّالة، ويغطّونها ببطّانية، ثمّ يحملونه إلى خارج الكوخ.

أحسّ شوبيرغ أنّ بترا تنظر إليه، لكنّه يعرف أنّه غير قادر على التجاوب مع أيّ مواساة. لذلك، ترك المكان وتبع المسعفين. عند عتبة الباب، التقى بساندين وجمال اللذين راقبا بحزن محاولة الإنعاش. لم يجد شيئاً يقوله لهما، فعاد بصمت إلى سيّارات الشرطة.

* * *

جلس يوهان بروسيو في إحدى سيّارات الإسعاف لتلقّي الرعاية،

فصعد ساندين وجلس أمامه.

أعلن قائلاً من دون أن يبدو عليه أيّ مرح: «أحسنت يا صغيري. لكنّك لا تملك أيّ فكرة كم أنت محظوظ».

سأله يوهان: «محظوظ؟» ووقع نظره على الشرطيين اللذين يدفعان الرجل المكبّل إلى إحدى السيّارات.

«هذا الرجل لا يكتفي بالضرب، فقد خسرنا أحد رجالنا. من سمعتَه وهو يتعذّب كان شرطياً، وليس حيواناً. لكن بفضلك، سينال المجرم عقابه».

أجابه يوهان دامع العينين: «لكن... كان يجب أن أفهم... كان يجب عليّ تقديم شكوى فعلية».

«أنا من كان يجب أن أصغي إليك. ما فعلته رائع حقّاً، ويجب أن تتلقّى ميدالية».

أضاء وجه يوهان، وملأه الفخر بعد مجاملة الشرطي. أمّا ساندين، فتمنّى لو أنّ إحساس الذنب الذي ينتقل من شخص إلى آخر في هذه القضية، يجنّب هذا الصبيّ الصغير.

«حان الوقت للعودة إلى المنزل. يقول الممرّض أنّكما لستما بحاجة إلى رعاية طبّية أنت وصديقك، لذا سأطلب من أحدهم مرافقتكما».

«لماذا لا ترافقنا أنت؟»

«عليّ العودة إلى مركز الشرطة للزجّ بهذا المجرم خلف القضبان».

* * *

شكر شوبيرغ عناصر فوج التدخّل بطريقة آلية، ثمّ التحق بزملائه الثلاثة الذين وقفوا ينتظرونه على ما يبدو، وأيديهم في جيوبهم. بما

أنّـه لـم يجـد ما يقوله لوصف ما يشـعرون بـه جميعاً، انتقل فوراً إلى الأمور العمليّة.

«شكراً لكما بترا وجمال، أحسنتما عملاً. استفيدا من عطلة نهاية الأسبوع للذهاب إلى البيت والاستراحة».

بدا على كلّ منهما أنّه يرغب في قول شيء، لكنّ شوبيرغ اكتفى بهزّة الرأس التي وجّهتها له بترا من باب الشكر.

«سأقوم باستجواب ميكاييل ريدن. إن أردتَ المجيء ينس، أهلاً بك، وإلاّ فأنت حرّ في الاستفادة من العطلة».

أجابه ساندين: «أنا آتٍ معك بالطبع».

«سأتّصل بهادار لأشرح له الوضع، وبكاي زيترستروم من أجل التشـريح، وكذلـك ببيـلا لفحـص مسـرح الجريمـة. أمّا بالنسـبة إلى تقاريركم، فيمكنني الانتظار حتّى يوم الاثنين. عطلة سعيدة».

تفرّقت السيّارات والرجال، وعاد الهدوء إلى حيّ حدائق العمّال فـي تانتولونـدن. وحدهـا الآثـار علـى الجليـد ما زالت شـاهدة على المأسـاة التـي وقعـت في هـذه الجنة الصغيرة. لكن قريبـاً، هي أيضاً ستتلاشـى. بعـد ظهـور قصيـر، اختفت الشـمس هـي الأخرى خلف المنازل، وسرعان ما خيّم الظلام.

مساء الجمعة

بقي ساندين وشوبيرغ جالسَين لفترة طويلة، يحدّقان إلى الشاشة، بعد مشاهدة فيديو ميكاييل ريدن المثير للاشمئزاز على التلفاز في غرفة الجلوس. لم يعرف أيّ منهما كيف يبدأ الحديث، على الرغم من إدراكهما لضرورته. أخيراً، نهض ساندين وأطفأ الجهاز.

قال مؤكّداً: «هذا الشريط هو بقيمة دليل. علينا ضمّه إلى الملفّ».

«برأيك، ماذا كان سيقول إينار لو علم بما رأيناه؟»

طرح هذا السؤال على نفسه أوّلاً، لكنّه لم يعرف بماذا يجيب. لم يجبه ساندين على الفور، بل عاد أوّلاً إلى مقعده.

أجاب بعد شيء من التفكير: «يعجبني اكتشاف إينار على حقيقته. أنا لا أتحدّث هنا عن الإذلال أو الظروف بحدّ ذاتها، بل عن الرجل الذي ظهر خلف كلّ ذلك، شخص مختلف تماماً عن الرجل سيّئ الطباع الذي عرفناه في العمل. فهذا يفسّر عنه الكثير، غير أنّه فجأة أصبح بالنسبة إلينا كائناً بشرياً حقيقياً، يملك ذكريات، وأحلاماً، ومشاعر. وحتّى لو أنّه في خلال هذه... العمليّة، أو لا أدري ماذا نسمّيها، وصف نفسه بعبارات سلبية، إلاّ أنّه يعطيني انطباعاً أنّه إنسان... يتمتّع بلطف نادر. يؤسفني حقّاً أنّه لم تجمع بيننا علاقة جيّدة».

اختنق صوته، وللمرّة الأولى منذ أن تعرّف عليه، رآه شوبيرغ يبكي. أمّا هو، فقد أبقى منديله بيده طوال مشاهدته للفيديو.

telegram @ktabpdf

قال شويبرغ: «لو لم أطلب منكم الانتظار، لتمكّنتم من التدخّل قبل فوات الأوان».

«لا أحد يدري. على أيّ حال، ما كان ذلك ليحلّ كلّ شيء. فالرجل فقد حبّه للحياة، وهذا أفضل بالنسبة إليه. لم يعد لديه أيّ سبب للاستمرار».

أجاب شويبرغ: «لا يمكننا التفكير على هذا النحو. ففي تلك اللحظة، كان منهكاً، جسدياً ونفسياً، لكن ربّما كان حاله سيتغيّر بعد بضعة أشهر، بعد تلقّي العناية المناسبة والدعم من محيطه، منّا نحن مثلاً».

«لكن ألم ترَ السعادة التي بدت على وجهه وهو يفارق الحياة، ممدّداً على الأرض؟ حتّى لو كان منهكاً من الناحية الجسدية، إلاّ أنّه روى قصّته بقوّة وباندفاع لم أعهده لديه. لقد بدا... سعيداً. وأنا أعرف عن سابق تجربة ما يعنيه هذا التعبير. إنّه تعبير شخص اتخذ قراره. لقد سبق واختار، كوني. وما كنّا لنتمكّن من تغيير شيء. ولكي أجيب عن سؤالك، أجل، أنا أعتقد أنّ إينار أرادنا أن نرى هذا الشريط، وكان يعرف أنّنا سنفعل. لقد كانت طريقته لتركَ رسالة قبل أن يقدم على الانتحار. بالإضافة إلى ذلك، يحتوي الفيلم على عديد من العناصر التي ستجعل محاكمة ميكاييل ريدن تسير من تلقاء نفسها».

«وهل تظنّ أنّ هذا الشابّ عاش حياة سعيدة؟ لم يكن طفلاً مرغوباً منذ أن كان في بطن أمّه. لقد وُلد ليحلّ مكان أخوين لا يمكن تعويضهما».

قال ساندين: «غير أنّ معظم الناس لا يقتلون أشخاصاً أبرياء بسبب ذلك».

نهض شويبرغ قائلاً: «فلنذهب لنرَ ماذا يقول».

للوهلة الأولى، بدا ميكاييل ريدن متعباً جدّاً. فقد سقط قناع البرودة الذي احتمى خلفه عند توقيفه. وعلى الرغم من عضلاته المثيرة للإعجاب، بدا قصير القامة وهو جالس إلى الجهة الأخرى من الطاولة لاستجوابه أمام الحرّاس، والأصفاد تقيّد يديه. تفحّصه الشرطيان لبرهة بصمت، قبل أن يبادره شوبيرغ قائلاً «ميكاييل ريدن».

نظر إليه هذا الأخير. من الواضح أنّ الآثار الجانبية للروهيبنول تلاشت، لأنّه لم يعد يعتقد نفسه شخصاً لا يُقهر على ما يبدو.

«ابن إنغيغيرد ريدن وكريستر لارسن».

فجأة، بدأ الشابّ يشعر بالذعر. فلم يستطع ساندين أن يقاوم سؤاله التالي.

«ألم تخبرك ماما بذلك؟»

لم يجبه ميكاييل ريدن، بل بقي نظره مثبّتاً في الفراغ بين الشرطيّين.

تابع شوبيرغ: «رأيت إنغيغيرد هذا الصباح، وأكّدت لي ما كنتُ أعرفه أساساً. يكفي إجراء حساب بسيط لنفهم أنّها لم تقفز إلى السرير مع رجل مجهول بعد خسارتها لولديها على الفور. فخلال الأشهر الثلاثة المظلمة التي تلت الحادثة، حاولت هي وكريستر البقاء معاً، لكن لأسباب لا يتعذّر فهمها، لم ينجحا في ذلك. وفي هذه الفترة، حملت بك، ميكاييل».

تابع ساندين: «هذا يعني أنّك أقدمتَ على قتل أخيك وأختك من أبيك، فضلاً عن أمّهما. وبنيّة القتل، عمدتَ إلى إساءة معاملة الرجل الذي كان يؤمّن لهم احتياجاتهم ويساعدهم على عيش حياة كريمة في هذا البلد، بحيث دفعته إلى الانتحار. تسبّبتَ أيضاً في دخول أبيك إلى المستشفى، وإصابته بلا شكّ بأضرار دائمة في الدماغ».

«كلّ ما أردته هو الانتقام لأخويّ، ولأمّي. أمّا الباقي... فلا أعرف شيئاً عنه».

اختفى الغضب الذي كان يعتمل في صدر الشاب. نظر إلى ساندين مذعوراً، وهو يطقطق أصابعه بعصبية.

سأله شوبيرغ من دون أن ينتظر جواباً: «أوتظنّ حقّاً أنّ إينار وزوجته تركا أخويك يموتان عمداً؟ لقد كانت حادثة. حتّى إنّها لم تنتج عن الإهمال، بل عن سوء الحظّ بكلّ بساطة. وهل تعرف من هو الشخص الذي خرج من كارثة أربوغا بأقلّ أضرار ممكنة؟ إنّها أمّك. فبعد تلك المأساة، كانت الوحيدة التي نجحت في عيش حياتها من دون الإحساس بالذنب، ومن دون أن تعاني من أضرار نفسية عميقة. وهذا وضع لن تتمكّن أنت، ميكاييل، من عيشه أبداً. لأنّ ما ارتكبته كان يهدف إلى القتل والتعذيب. لكن مهما يكن مقدار السخط والغضب الذي يمزّقنا، ومهما طالب قلبنا بالانتقام، لا يمكننا تغيير الماضي. فالإحساس بالذنب ليس لطخة يمكن أن نمسحها بظاهر يدنا».

«لم أكن أملك أيّ فكرة...»

قاطعه ساندين قائلاً: «ميكاييل، لا يجب على الإنسان أن يكون مهمِلاً في أبحاثه. لكن لا بدّ لي من الاعتراف أنّك ماهر في استخدام سكّين الصيد. أين وضعتَه؟»

«في الكوخ الصغير».

«في تانتولوندن؟»

أومأ برأسه منهاراً.

تابع ساندين: «شريط الفيديو الذي صوّرته جيّد للغاية، ربّما يجدر بك دخول هذا المجال عندما تخرج من السجن بعد حوالى عشرين عاماً. لكن بالطبع، إن حُكم عليك بالخضوع للعلاج النفسي

في مكان مغلق، حينئذٍ لن تتمكّن من الخروج يوماً».

أخذ ميكاييل ريدن يتأمّل يديه من دون أن ينبس ببنت شفة.

فجأة، لاحظ شوبيرغ أنّه لم يعد لديهما ما يقولانه لهذا الرجل. كلّ ما يفعلانه حالياً هو مضايقته، وذلك انتقاماً لإينار إريكسون وأسرة لارسن. أرادا التأكّد وحسب أنّ ميكاييل ريدن لن يخرج من هذه الغرفة من دون أن يشعر بالذنب. وفجأة، فهم شوبيرغ أنّ إينار كان ليفضّل تجنيبه ذلك.

كان أساس كلّ هذه القضية هو إحساس بالذنب قديم العهد، كما هو الحال في حياة شوبيرغ الحالية من نواحٍ عديدة. لكنّ إينار، الذي عاش معظم حياته فريسة لإحساس بالذنب لا حدود له، ما كان ليتمنّى حتّى لألدّ أعدائه أن يعاني منه. هكذا دفع شوبيرغ كرسيه بحركة حاسمة ونهض. فوجئ ساندين عندما رآه يفعل، لكن حين لاحظ تصميم رئيسه، فضّل أن يحذو حذوه.

قال شوبيرغ الذي أصبح أمام الباب: «سنتوقّف هنا».

اكتفى ساندين باللحاق به، من دون أن يفهم ما يجري حقّاً. وعندما همّا بمغادرة الغرفة، تناهى إليهما صوت ميكاييل ريدن، الذي تمتم قائلاً خلفهما: «أنا آسف».

لكنّ ساندين لم يكن في مزاج للردّ عليه.

أجابه شوبيرغ بصوت بارد: «لن يتبقّى أحد ليغفر لك، فقد سلبتهم حياتهم. لم يعد لأمّك كثير من الوقت، أمّا أبوك... فمن غير المرجّح أن يتعافى. وحتّى لو شُفي، لن يرغب بلا شكّ في رؤيتك. فكّر في كلّ ذلك يا صديقي».

عندما توقّف شوبيرغ عن الكلام، كان قد ابتعد في الرواق.

* * *

telegram @ktabpdf

فوجئت إيفور شوبيرغ وهي تستقبل ابنها في هذه الساعة المتأخّرة من مساء يوم الجمعة.

«ما الأمر، كوني؟ لقد تجاوزت الساعة التاسعة».

احتضنها بين ذراعيه وطبع قبلة سريعة على خدّها.

«علينا أن نتكلّم، يا أمّي. ولا أنوي الخروج من هنا قبل أن أسمع ما أريد».

أجابته بابتسامة بريئة، حتّى لو كان شوبيرغ واثقاً أنّها تعرف إلام يلمّح: «أوه، تبدو المسألة خطيرة. هل تريد قهوة؟»

قبِل عرضها، ثمّ وضع سترته على ظهر الكرسي، وجلس أمام طاولة المطبخ. وبينما وقفت إيفور تحضّر القهوة، مديرة ظهرها إليه، راح يروي لها زيارته لجدّته. عندما لفظ اسمها، رأى أمّه تتوتّر.

قال: «بدت عدائية جدّاً. لذلك لم أمكث سوى لبعض الوقت، فأنا لم أحتمل البقاء أكثر. مع ذلك، تمكّنتُ من استخراج بعض المعلومات منها. لكنّني أعتقد أنّه من الأفضل لكلينا أن تعطيني روايتك للأحداث، بما أنّك أنت من عاشها.

راحت أمّه تطرق بأصابعها على الإناء الخزفي، كأنّها تحاول إعادة الهدوء إلى أفكارها، وإبعاد اللحظة الحتمية.

«أوّلاً، أريدك أن تعرفي يا أمّي أنّك كنت أمّاً رائعة لي، وما زلتِ. وأنا معجب بشجاعتك وتصميمك. فقد منحتني تعليماً ممتازاً، وجعلتِ منّي رجلاً متوازناً وقادراً على خوض غمار الحياة. أنا لا ألومك على شيء، فهذا ليس قصدي إطلاقاً. كما أنّني أفهم كيف جرت الأمور معك. الآن فهمت. أنت امرأة رائعة، وأنا أدرك أيضاً لماذا لم تخبريني شيئاً. لقد كانت هذه هي طريقتك لتجاوز تلك المأساة، وقد فعلتِ ما اعتبرته الأفضل بالنسبة إليّ. غير أنّني أحتاج

اليوم إلى أن أعرف، عليك إخباري. أريد أن أعرف القصّة كاملة، مع كلّ اللحظات المرعبة التي مرّت عليك في تلك الليلة وكلّ ما عشتِه بعدها».

جمدت أمّه في مكانها، وظهرها ما زال إليه. تساءل ما إذا كانت تبكي، وتذكّر أنّه لم يرَ دموعها أبداً. أخذت الركوة تغلي، وفاحت رائحة القهوة الطيّبة في المطبخ.

قال لها بصوت دافئ: «تعالي لتجلسي، أمّي».

«أوشكت على الانتهاء».

«هل تريدين بعض الشراب مع القهوة؟»

«لا أعرف إن كانا يصلحان معاً...»

هذا أفضل ما يمكن لأمّه أن تقوله تعبيراً عن موافقتها. نهض شوبيرغ، وأحضر زجاجة شراب برتقال كان قد أهداها إيّاها. ثمّ ذهب إلى الصالة وأتى بكأسين من الخزانة الزجاجية.

عندما عاد إلى الطاولة، ملأهما، وانتظر صامتاً بينما صبّت أمّه القهوة وجلست أمامه إلى الطاولة. وضع أمامها كأساً، ثمّ ارتشف شيئاً من قهوته بحذر.

سألته فجأة: «هل تريد شطيرة؟»

غير أنّ شوبيرغ لم يكن ينوي أن يسمح لها بالمماطلة.

«هيّا أمّي، تكلّمي. أعرف كم تجدين الأمر صعباً، وهو صعب بالنسبة إليّ أيضاً، لكن لهذا السبب أتيت».

وضع يده على إحدى يديها، ولم تحاول سحبها.

قال لها بصوت هادئ وهو ينظر إلى عينيها مباشرة: «أخبريني عن أليس».

هذه المرّة، لم تبعد نظرها عنه، ورأى عينيها تترقرقان بالدموع،

فشدّ على يدها أكثر.

أجابته ببطء: «لا يمكنني التحدّث عن أليس».

«عليك ذلك، أمّي. أريد أن أتعرّف على أختي».

أخذت الأمّ نفساً عميقاً، قبل أن تنفجر باكية. سالت الدموع على خدّيها المسنَّين، وللمرّة الأولى، تركت لحزنها العنان، واضعة حدّاً للصمت الذي أبقاها صامدة على مرّ السنوات. بدوره، لم يستطع شوبيرغ أن يكبح دموعه عندما بدأت أمّه حكايتها.

خلال الساعات التي تلت، بكيا معاً، واحتضنا بعضهما، على مدى الرحلة الشاقّة التي تلخّص حياة أمّه وطفولته.

في إحدى ليالي شهر أغسطس من عام 1961، استيقظت إيفور شوبيرغ من نومها على رائحة دخان قوية وحرارة قويّة في الغرفة الواقعة في الطابق العلوي. كان زوجها نائماً إلى جانبها، فراحت تصرخ وتهزّه من دون أن يستيقظ. حاولت أن ترفعه، لكنّ جسده بدا كأنّه يزن أطناناً.

صرخت: «أليس!»

كانت ابنتها التي ستبلغ قريباً السادسة من عمرها نائمة بلا حراك هي أيضاً في سريرها بجانب النافذة.

هُرعت إليها وأخذت تهزّها. كان شعرها الأحمر المجعّد يحيط بوجهها الصغير المكسوّ بالنمش. استدارت الفتاة الصغيرة وفتحت عيناً واحدة.

صرخت مجدّداً: «أليس! البيت يحترق! انزلي فوراً إلى الفناء! سأهتمّ بأخيك الصغير!»

سمعت صوت الزجاج وهو يتحطّم في الطابق السفلي. فعادت وهي تركض إلى السرير الكبير، واستجمعت كلّ قواها لجرّ جسد

زوجها الثقيل على الأرض. عندئذٍ فتح عينيه، وجلس وهو يتمتم بكلمات غير مفهومة.

صاحت وهي تنزع غطاء الصبيّ الصغير المستغرق في النوم على فراش على الأرض، وتحمله بين ذراعيها: «البيت يحترق، كريستيان! اهتمّ بأليس وانزلا إلى الفناء».

قبل أن تغادر الغرفة، التفتت إلى صغيرتها التي أغمضت عينيها مجدّداً واستدارت على جنبها. لكنّها رأت كريستيان يتوجّه إليها، وهو يدبّ على أطرافه الأربعة، ويلهث، ويشتم.

نادت مجدّداً عدّة مرّات: «أليس!» ولم تعرف ماذا تفعل.

أخيراً، عوضاً عن البقاء واقفة في مكانها تصرخ، قرّرت نزول السلّم مع ابنها بين ذراعيها.

أصبحت الدرجات الأخيرة، شأنها شأن بقية الطابق السفلي، فريسة للنيران التي بدأت تلتهم الخشب الجاف لعوارض السقف. ولم تكد تمرّ دقائق معدودة حتّى وصلت النيران إلى الطابق العلوي. خرجت من المنزل وهي تركض ووضعت الطفل الذي استيقظ الآن على مسافة بعيدة من المنزل المحترق، ثمّ عادت تجري إلى البيت، غير أنّ جداراً من اللهب أعاق طريقها. إن حاولت الدخول بقميص النوم وشعرها المشعّث، ستتفحّم خلال ثوانٍ. لاحظت من باب المدخل أنّ السلّم بدأ يحترق ولم يعد من الممكن النزول عبره. فراحت تصرخ باسم زوجها وطفلتها مراراً وتكراراً، وتلتفت إلى الجهة التي يمكنها منها رؤية نافذة الغرفة.

صاحت بملء رئتيها: «أليس! كريستيان!»، وبحثت بعينيها عن شيء ترميه على النافذة.

تناولت عن الأرض قطعة خشب، ثمّ رمتها على نافذة الغرفة.

telegram @ktabpdf

فأصابت الهدف، وتحطّم الزجاج.

صرخت: «أليس! اقفزي من النافذة! أنا هنا سألتقطك! أليس! أليس!»

وقف الصبيّ على بعد خطوات يراقب بصمت أمّه وهي تخوض معركتها ضدّ الزمن والنيران. لكن فجأة، ظهرت أخته من النافذة. تعثّرت أليس فوق كسر الزجاج وظهر وجهها في إطار النافذة ثمّ التقى نظرها بنظرهما. راحت عيناها المذهولتان تنتقلان من أخيها إلى أمّها، والصرخة التي أطلقتها هذه الأخيرة كانت مدوية. فقد راحت تصيح في اللحظة التي بدأ شعر ابنتها يحترق. شكّلت النيران هالة حول وجه الفتاة المذهول، وتقلّص وجهها ألماً قبل أن تسقط وتختفي عن أنظارهما، وحياتهما، ومن ذاكرة أخيها الصغير.

حملت الأمّ ابنها بين ذراعيها وبدأت تركض. كان أقرب جيرانهم يعيشون على بعد عدّة مئات من الأمتار. أخذت تركض كما لم تفعل يوماً، حاملة ابنها إلى صدرها، حافية على الطرقات الوعرة الغارقة في الظلام. وصلت إلى مقصدها، وراح الخبر ينتقل من بيت إلى بيت: مزرعة آل شوبيرغ تحترق. توجّه كلّ من استطاع إلى المكان في محاولة لإطفاء الحريق. بالنسبة إلى الفتاة، فات الأوان. أمّا الزوج، فقد عثروا عليه مستلقياً على الأرض، وتمكّنوا من إخراجه إلى الباحة قبل فوات الأوان.

بعدما نُقل إلى مستشفى العاصمة، بدأ يستعيد وعيه تدريجياً. لكن مع الحروق التي أصابته، كان من الأفضل له لو مات. خلال فترة علاج كريستيان، لم تسمح إيفور شوبيرغ لابنها بزيارة أبيه أو بحضور جنازته.

وكانت خسارة الطفلة كبيرة بالنسبة إلى إيفور، بحيث لم تستطع

حتّى أن تلفظ اسمها خلال الأشهر الطويلة التي أعقبت الكارثة، مع زوجها الذي يُحتضر وأسرته التي لم ترحمها. فالأب والأمّ لم يتقبّلا فكرة نجاتها، وموت ابنهما. ولم يتفهّما أبداً كيف تمكّنت من الخروج من المنزل من دون أن تتأكّد أوّلاً أنّ كلّ أسرتها قد نهضت من نومها. لم يتركاها بسلام مع ألمها إلاّ بعدما اختفت من حياتهما، ورحلت عن المكان الذي كبرت فيه، حاملة معها ابنها الصغير الذي لم يحتملا شبهه الكبير بفقيدهما الغالي.

هكذا وجدت نفسها في ستوكهولم، في المدينة التي تلقّى فيها كريستيان العلاج. وببراءة الطفل الذي كان عليه، أعتقد كوني أنّه المكان الذي عاش فيه طفولته. ستبقى الأحداث التي قادتهما إلى هنا حبيسة الصمت إلى الأبد. وعلى أيّ حال، ما الذي يمكن قوله حقّاً؟

بعد فيض من الدموع، وعدد لا يحصى من فناجين القهوة وكؤوس الشراب، أحسّ شوبيرغ أنّه أصبح جاهزاً هو وأمّه لمستقبل جديد.

* * *

بدا كلّ شيء غير واقعي. جلس جمال في المترو. غير أنّه لم يعد يعرف نفسه. شعر أنّه ينظر إلى نفسه من الخارج. لم يعد في جسده، ولم يعد ينتمي إلى الحشد الرمادي المحيط به. كان يطفو فوقه، وخارجه. لم يعد يشعر بأيّ ألم، ولم يعد لأيّ شيء أهمّية. جلس متراخياً في مقعده، ومدّ ساقيه أمامه، من دون أيّ اعتبار لبقية الركّاب. لم يعد يبالي بأحد، بل أخذ إجازة هو بأمسّ الحاجة إليها من العقل ومن اللياقات الاجتماعية.

نزل عند محطّة تلفونبلان، وأعاده هواء المساء البارد إلى الواقع. عادت إليه صورة إينار عندما قطعوا الحبل الذي شنق به

نفسه، وأحسّ بالذنب. قال في نفسه، لقد كنتُ ضعيفاً. تذكّر بعد ذلك الضغوط التي تعرّض لها من الفريق، لكن سرعان ما أبعد تلك الفكرة واعتبرها ذريعة كاذبة. فهو وحده المسؤول عن أفعاله، وبالتالي عن سلوكه تجاه إينار إريكسون. والشيء نفسه ينطبق على رؤيته الضيقة للأمور، والتي رافقته خلال التحقيق.

عوضاً عن سلك الشوارع التي تقوده إلى تفينغفيغن، وهو الحيّ الذي تقطن فيه بترا، توجّه جمال إلى الباحة الرياضية المظلمة والمقفرة. كان خياراً أحمق بالنسبة إلى متنزّه وحيد، لكنّه لم يكترث. لا يهمّ ما يجري له، فهو يستحقّ بلا شكّ. مع ذلك، قام ببعض الخيارات الصحيحة. فهو من اكتشف تورّط إينار في القضية. وبالنسبة إلى أفلام جيني وبترا، هو مَن... أجل، في النهاية، قد لا يكون بهذا السوء.

حثّ خطاه، وسرعان ما أصبح تحت أضواء شارع كلينسميدفيغن. فأحسّ أنّ الوقت قد حان ليتمالك نفسه. فبعد كلّ هذا الوقت، لا يمكنه مقابلة بترا وإظهار صورة جيّدة عن نفسه إن كان يشعر بهذا السوء. وبعد هذا اليوم المأساوي، وكلّ ما جرى ليلة الجمعة في مقهى كلاريون، منذ عام ونصف تقريباً، عليه أن يظهر كسند لها وأن يشعرها أنّها تستطيع الاعتماد عليه مهما تكن الظروف.

في اللحظة التي عبر فيها الشارع ليدخل المبنى رقم 24، لفتت انتباهه سيّارة مركونة في الجوار. كانت سيّارة ليكسوس حمراء داكنة وفارهة، ليس من المعتاد رؤيتها مساء يوم الجمعة في فيستبيرغا، ذاك الحي الشعبي الواقع على مقربة من الطريق السريع E4. كان يعرف السيّارة، لكنّه لم يتذكّر فوراً إلى من تنتمي. الشخص غير المناسب في المكان غير المناسب. راحت الأفكار تتصارع في رأسه. وفجأة،

اتّخذت قطع الأحجية أماكنها الصحيحة.

عاد إلى ذاكرته مشهد مواجهته مع بترا في صالة الألعاب الرياضية ورآه في وضح النهار. وقف هولغرسون أمامه بشكل عمودي، جاهزاً لمساعدته على النهوض. عند عتبة الباب، جمد رولاند برانت في مكانه، حاملاً هاتفه ليجيب على اتّصال. في الزاوية، استندت بترا إلى الجدار، جسدها مائل إلى الخلف وهو يتصبّب عرقاً، وقفّازات الملاكمة ما زالت بيديها، فيما ارتسمت ابتسامة عريضة على شفتيها. أهي ابتسامة انتصار؟ أجل، ربّما. لكن لماذا، لأنّها فازت عليه في تلك الجولة؟ أم لسبب آخر؟ إلى من كانت تنظر؟ كان غونار مالمبيرغ منحنياً فوقها، يحيط وجهها بيديه، ويحاصرها في الزاوية، كأنّه يحاول السيطرة عليها. كفّا عن القتال. هذا يكفي، بترا.

كلاّ، لم يكن الأمر كذلك. ليست هي من ركّزت نظرها على عينيّ مالمبيرغ، بل هو من كان يرسم حدود أملاكه. وحتّى لو كانت بترا تبتسم بانتصار، فالسبب لم يكن فوزها على جمال، بل لأنّها قامت للتوّ... بسحق مالمبيرغ. وماذا كان يهمس في أذنها؟ «اخلعي قفّازاتك»، أو ربّما «سأمرّ عليك مساء الجمعة»؟

ما الذي قالته له بترا عندما تحدّثت عن مغامرتها الأخيرة؟ إنّها بلا مستقبل، ولا يمكن أن تكون كذلك. وهذا صحيح. فبالإضافة إلى كون مالمبيرغ نائب رئيس المفوّضين، للرجل زوجة وأولاد. ومن البديهي أنّ العلاقة معه لا مستقبل لها. ما الذي يجري بينهما إذاً؟

غير أنّ جمال لم يفرغ بعد من حادثة الصالة الرياضية. تذكّر رؤيته للأمور، وراح ينظر إلى المشهد من كلّ الزوايا، بينما كان ممدّداً على الأرض، بعد تعرّضه للضربات، وقد انتابه الدوار. ما الذي جرى بعد ذلك؟ ماذا رأى وماذا سمع؟ تحرّك الوقت مجدّداً عندما رنّ

هاتـف مالمبيـرغ. أجـل... إنّه اللحن. ما كانـت الرنّة؟ لـم يتركها ترنّ سوى بضع ثوانٍ قبل أن يجيب. كانت صادرة عن آلة واحدة... غيتار. يعرف جمال اللحن جيّداً، ولا بدّ أن يتذكّر. إذ يشـعر أنّه مهمّ، لكن لمـاذا؟ بغـضّ النظـر عن السـبب، عليـه أن يتذكّـر الآن. لماذا يعرف اللحن، لأنّه يعجبه؟ من دون شكّ. الغيتار... كلابتون؟ بالطبع، إنّها معزوفة ليلى! النسخة الصوتية.

بعـد ذلـك، ردّ مالمبيـرغ على الهاتـف. ولـم يجد جمال صعوبة في تذكّر ما قاله: «تحدّث مع لو.... الفتاة الجديدة. جيني. أجل. لا مشـكلة في ذلك». أهذا أيضاً مهمّ؟ ربّما. مع من كان يتحدّث؟ وما معنى «تحدّث لو...»؟ لو-لو... لوسي؟ لوسي في السماء... مستحيل. هـل يعـرف مالمبيـرغ بمـا حدث مـع جيني؟ كيف ذلـك؟ أيمكن أن يكون قد شـاهد الفيلم على موقع أماتور6؟ لماذا يختار هذا الموقع دوناً عن آلاف المواقع الأخرى؟

عـاد تفكيـره إلـى بترا، وفيلم الاغتصاب. كان يعرف أنّ في هذا الموضـوع أمـراً يحيّـره، فكـرة لم يتمكّن بعد مـن تحليلها. أحسّ أنّه يوشـك على ذلك... مرّت الكاميرا على الجسـدين المسـلتقيَين على السـرير، لكن فجأة، بلينغ بلونغ، توقّف كلّ شـيء. كلاّ! في اللحظة التي قُطع فيها الفيلم، سُمع صوت في التسجيل. سُمع الصوت قبل انتهـاء الفيلـم. بلينـغ بلونغ، كانت نوتتا غيتـار. غيتار إريك كلابتون، ليلى، النسخة الصوتية.

ألقـى جمـال نظرة خاطفة إلى شـقّة بترا، التـي كان ينيرها ضوء خافـت. مـاذا يفعـلان يـا ترى؟ هذا لا يهمّ، فهمـا لن يصبحا زوجين أبداً، وذلك لسببين. الأوّل هو أنّ مالمبيرغ لن يتخلّى أبداً عن حياته المهنية وعن أسرته من أجلها. أمّا الثاني فهو يرجع إلى كون بترا لا

تهمّه في الواقع. فهو المغتصب، الرجل الثاني. إنّه يعاقبها، لكن من دون أن تعرف. فالاغتصاب هو مسألة سلطة، وليس علاقة. أعاقت بترا طريقه، وهو لا يسمح بذلك. وبعدما فشل في طردها من العمل، قام بتغيير التكتيك. فاستولى عليها، بملء إرادتها، وسلّمت نفسها للرجل وهي تجهل أنّه اعتدى عليها. وهذا يعطيه إحساساً بالسلطة والانتصار.

لم يعرف جمال ماذا يفعل. لكنّه واثق من شيء واحد: لن يخبر بترا بشيء، وإلاّ تسبّب بانهيارها. صحيح أنّه يفضّل دائماً قول الحقيقة، لكن في هذه النقطة بالذات كان مقتنعاً بالعكس. وبما أنّ العلاقة لن تدوم أبداً بين بترا وهذا النذل، من حقّها أن تعيش سعيدة وهي تجهل أنّها أقامت علاقة عابرة مع أحد الرجلين اللذين اعتديا عليها.

ماذا يستطيع أن يفعل؟ ليس الكثير في الواقع. فهذا الرجل الثاني لم يترك خلفه أيّ أثر لاستخدامه كدليل ضدّه. بالتالي، لن يملك دليلاً ملموساً لإدانته. ولا يوجد حاليّاً بين يديه سوى مؤشّرات لا قيمة لها. غير أنّه سيراقب مالمبيرغ، في حال ظهر شيء. وحاليّاً، عليه أن يجمع كلّ الأدلّة التي يحتاج إليها ليستعيد راحة باله.

عاد إلى المترو للذهاب إلى مركز الشرطة، تصاحبه صورة زجاجة مياه معدنية فارغة موضوعة على مكتبه. وفي رأسه، تردّد الاسم الذي ذكرته بترا عندما أخبرته بتفاصيل حادثة الاغتصاب: هوكان كارلبيرغ، من مختبر الطب الشرعي في لينكوبينغ.

* * *

قبل حلول عطلة نهاية الأسبوع، ما زال على شوبيرغ مهمّة واحدة. فخلال حديثه مع أمّه، اتّضح له تدريجيّاً سبب هاجسه الذي لاحقه خلال الأشهر الستّة الماضية. فقد أدرك أنّ المرأة التي كان

telegram @ktabpdf

يراها من خلال عيني مارغيت أولفسن الخضراوين أو شعرها الأحمر المتطاير لم تكن سوى أخته أليس، الأمر الذي أشعره بالاشمئزاز والارتياح على حدّ سواء.

لقد سعى إلى إيجاد الراحة عندما واجهته مصاعب في حياته إلى جانب أليس. لجأ إلى ذراعيها عندما ازداد ضياعه، من دون أن يتمكّن من إيجاد الكلمات لوصف حالته تلك. وحلمه المتكرّر بتلك المرأة الواقفة أمام النافذة ليس سوى تحوير لتلك الذكرى المرعبة عن شقيقته، والتي كبرت صورتها بداخله مع مرور الزمن. في الواقع، كان الجسد الذي يتراقص في إطار النافذة بينما تلتهمه النار هو لفتاة في السادسة من عمرها. لكن في الحلم، حوّل لاوعيه الفكرة غير المفهومة إلى شيء ملموس أكثر. فاتّخذت الفتاة الصغيرة مظهر امرأة يعرفها وتعجبه. وقامت مارغيت أولفسن بملء الفجوة التي تركتها أخته الكبرى منذ خمسين عاماً تقريباً، وذلك من دون علمها، وربّما بسبب صبرها، أو دفئها، أو روحها الحانية. وفي الواقع، اتّخذت علاقتهما منعطفاً خسيساً. فالحبّ غير المحدود الذي يحمله الصبيّ الصغير لأخته الكبرى تحوّل إلى شهوة رجل ناضج لجسد امرأة. وقد حان الوقت لوضع حدّ لعلاقة ما كان ينبغي أن تبدأ.

* * *

«سأخبرك الحقيقة، مارغيت، حقيقة من أكون. ومع أنّها لم تعجبني ولن تعجبك، إلاّ أنّني أظنّ أنّها السبيل الوحيد أمامنا».

نظرت إليه بعينين خضراوين تملأهما الدهشة، ولاحظ أنّها خائفة بعض الشيء من نبرته الجادّة. ظهرت على شفتيها ابتسامة صغيرة تنمّ عن القلق، وفهم شوبيرغ معناها.

أجابت: «مع أنّني لا أرغب في سماعها، أو معرفتها، إلاّ أنّه

يجب أن أمضي قدماً. لذلك، تكلّم».

«بعدما أنهي حديثي، لن ترغبي في رؤيتي بعد اليوم، وهذا جيّد لكلينا. قد تصفحين عنّي يوماً، وإن فعلتِ، يجب أن يكون ذلك من مصلحتك أنت».

وضعت يدها على يده فضغط عليها بأصابعه. في تلك اللحظة، لم تعد بالنسبة إليه خيالاً بل كائناً بشرياً. كانت امرأة جميلة، تفيض بالرقّة، لا يكنّ لها سوى احتراماً عميقاً. لن يبكي بعد اليوم بين ذراعيها، ولن يجعلها تنصاع لأهوائه.

جلسا في سيّارة شوبيرغ المركونة أمام منزلها. لم يكن زوج مارغيت في المنزل، وقد عرضت على كوني الدخول، غير أنّه رفض واعتبره خطأ. فهذا منزلها، وليس مكاناً للقاء.

«أنا أرى حلماً، يتكرّر هو نفسه، مراراً».

هكذا، راح يحدّثها عن المرأة الواقفة في النافذة، والعشب المبلّل بالندى، والشعر الأحمر المتموّج، والعرق واليأس.

لم تقل مارغيت شيئاً. راقبته بعناية، من دون أن تقاطعه بالأسئلة التي لا يملك لها جواباً على أيّ حال. شدّ على يدها بقوّة وهو يتابع.

«لم أكن أعرف معنى هذا الحلم. لكن عندما التقيت بك في المستشفى في الخريف الماضي، بدا لي بوضوح أنّ المرأة التي كنت أراها في النافذة هي أنت. ولم أستطع مقاومة الإغراء. كان ذلك خطأ، لكنّني أردت حقّاً أن أعرف المرأة التي أراها في الحلم».

لم تبذل مارغيت أيّ محاولة لسحب يدها. وتابع كوني مداعبتها، ليس ليؤكّد لها شيئاً أو يوهمها بشيء، بل كإشارة أخيرة إلى الحنان الذي ما زال يكنّه لها.

«واليوم، ذهبت لزيارة أمّي».

telegram @ktabpdf

أخبرها عن الحريق، وعن الليلة التي انهارت فيها حياة إيفور شوبيرغ، واتّخذت حياته منعطفاً مختلفاً تماماً.

وكلّ ذلك، من دون أن يبقى أيّ أثر في ذاكرته عن حياته السابقة.

«كنتُ في الباحة في السفل، وشاهدت من خلال النافذة أختي وهي تحترق في الداخل. رأيت النار وهي تلتهم شعرها الأحمر الجميل».

سَحبت مارغيت يدها، ووضعت يديها على فمها.

«لقد خلطتُ بينك وبين أختي، يا مارغيت. أنا آسف جدّاً. فقد وجدت لديك شيئاً كنت أتوق إليه منذ سنوات عديدة، من دون أن أدرك ماهيّته. لكن لم يكن الحبّ الجسدي هو ما أحتاج إليه. إنّ علاقتنا هي سوء فهم رهيب. فحياتي تدور حول بحث مربَك عن أخت ضائعة. أنا رجل سيّئ رأيت طفلة صغيرة، لا بل رأيت أختي، من خلال امرأة خيالية، هي أنت. لكن أريدك أن تعرفي أنّني ما كنت لأبدأ معك علاقة كهذه لو كنت أعرف القصّة. فأنا أيضاً لديّ قيماً».

خفضت يديها، وفوجئ أنّها تبتسم. كانت ابتسامة ودّية، ومتفهّمة، قامت بعدها بتمرير ظاهر يدها على خدّه برقّة.

قالت له بصوت صادق ودافئ: «أنا آسفة، ليس لأنّ العلاقة بيننا انتهت، بل بسبب ما عاشته أسرتك. أتمنّى ألاّ تحلم بذلك مجدّداً. والآن، عليّ الذهاب».

فتحَت الباب، وخرجَت إلى الليل البارد. تصاعدت أنفاسها على شكل دخان أبيض عندما انحنت إلى داخل السيّارة التي يضيئها مصباح السقف، ثمّ نظرت إليه بعينيها الخضراوين اللامعتين.

ظهر عبوس طفيف بين حاجبيها، عرف شوبيرغ أنّه دليل صدق، بينما أضافت: «ما من شيء أسامحك عليه، كوني. عليك أن تجد طريقة لتتعامل مع إحساس الذنب مثلما فعلت أنا نفسي منذ سنوات عديدة».

مكتبة الرمحي أحمد

عُقْدَةُ ذَنْب

كارين جيرهاردسن

في ستوكهولم، الشرطة في حالة من الصدمة بعدما تمَّ العثور على أمَّ فيليبينيـــة وطفليها مقتولين بوحشية. علامات الاستفهام كثيرة: كيف يمكن لخادمة متواضعة أن تقطـــن في مثل هذا المنزل الفخم؟ ولماذا يعيش والد الطفلين، السويدي، بمعزل عـــن العالم الخارجي؟ ومن هـــو الرجل الغامض الـــذي يتردَّد علـــى الأسرة ويؤمن احتياجاتها؟

تولّـــى المفوَّض كوني شوبيـــرغ التحقيق في الجريمة، لكنّه لم يحـــرز تقدّماً ملموساً مـــع فريقه الذي يعاني أساساً من المشاكل: ينس ساندين يتعافى بصعوبة من أزمة قلبية، وبترا ويستمـــان تلاحق رجلاً استغلّها، اما إينـــار إريكسون فهو غائب تماماً عن الساحة. سيكتشف شوبيـــرغ أنّ مفتاح اللغز يكمن ربّما في إحساس الذنب الذي ينهش أبطال هذه الرواية حتى الرمق الأخير، بدءاً منه هو نفسه.

هكـــذا يسعى المحقّقون إلى حل لغز جريمة كان دافعها الأوَل الانتقام الذي يرتدّ في نهاية المطاف على صاحبه، لتكتمـــل بذلك حلقة الذنـــب المفرغة التـــي تدور فيها شخصيات الرواية.

مكتبة الرمحي أحمد
telegram @ktabpdf

ISBN 978-614-01-1665-8
9 786140 116658

SPOTLIGHT ON RIGHTS

الدار العربية للعلوم ناشرون
جائزة النشر والتقنيات الثقافية
2015

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com

facebook.com/ASPArabic twitter.com/ASPArabic www.aspbooks.com asparabic

جميع كتبنا متوفرة في موقع نيل وفرات.كوم www.nwf.com - www.neelwafurat.com